(٤١) أىُّ عُـرى الإيمانِ أوثَقُ .. يا رسول الله ؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (**أوثقُ عُرى الإيمان: الموالاةُ فى الله، والمُعَاداةُ فى الله، والحبُّ فى الله، والبُغْضُ فى الله**).

[رواه الطبرانى فى الكبير]

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**أوثقُ عُرى الإسلام: أن تُحِبَّ فى الله، وأن تبغض فى الله**) [أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان]

ففى هذين الحديثين الشريفين يخبرنا الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عن أوثق عُرى (٥٣٨) الإيمان، أو الإسلام .. (ولكى) نفهم المراد من هذا التعبير بكلمة (عُرى) فإنه حسبنا أن نقرأ قول الله تعالى: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ**﴾ أى: فمن يكفر بكل معبود من دون الله، من شيطان، أو وثَن، أو صَنَم، كائنًا من كان، ويُصَدِّق بالله أنَّه إلهه وربه ومعبوده ﴿**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾ أى: فقد تَمسكَ واعتصم بالإيمان، الذى هو أوثقُ ما تمسَّكَ به من طلب الخلاص لنفسه، من عذاب الله وعقابه(٥٣٩) ﴿**لا انفِصَامَ لَهَا**﴾ أى: لا انكسارَ لها ولا انقطاع ﴿**وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(٥٤٠) أى: سميع لإقرار من شَهِد بوحدانية الله، عليم بإخلاصه.

وقول الله تعالى: ﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾ أى: ومن يتذلَّلْ للَّه بالعبوديَّة، مُقرًا لهُ بالألُوهيَّة، وهو مُطيعٌ للَّه فى أمره ونَهْيه ﴿**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾ أى: فقد تمسَّك بالطَّرفِ الأوثق، الذى لا يُخاف انقطاعه ﴿**وَإِلَى**

---

(٥٣٨) جمع عُروة . قال فى مختار الصحاح ص ٤٢٩: (وعروة القميص والكوز معروفة) . والمراد بها والله أعلم: أن بها يجتمع شمل الإسلام .

(٥٣٩) شبه المستمسك بالإيمان، بالمتمسك بعروة الشىء المتين، الذى لا ينقطع ولا ينكسر، أو بالحبل الوثيق المحكم، وهو من لطيف أنواع الاستعارة.

(٥٤٠) البقرة: ٢٥٦ والتفسير من مختصر تفسير الطبرى . بتصرف .

اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [٥٤١] أى: وإلى الله مرجع كل أمرٍ فيسأل أهله عنه.

(فعُرى) الإيمان، أو عُرى الإسلام إذًا، هى: أوثق ما ينبغى علينا أن نتمسك به طلبًا للخلاص لأنفسنا من عذاب الله وعقابه ، وهى : الطرف الأوثق الذى لا يُخاف انقطاعه.. (ولهذا) كان لابد لنا كمؤمنين أو كمسلمين أن نستمسك بتلك العرى حتى لا نَضِلَّ أو نذِلَّ، أو حتى لا نكون نَهْبًا للأمم الأخرى التى تعمل ليلاً ونهارًا من أجل القضاء علينا، والاستيلاءُ على أهَمِّ ثرواتنا .. كما حدث فى بعض البُلدان الإسلامية .. بسبب تمزقنا وعدم ترابطنا .. أو تعاوننا على البرِّ والتقوى .. حتى أصبحنا للأسف الشديد كغُثاء السيل .. بتلك الصورة التى وردت فى حديث شريف، يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه:

(يوشك أن تتداعى عليكم الأُمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها .. قالوا: أو من قلّة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا. بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غُثاء كغثاء السيل [٥٤٢]**، ولينزعنَّ الله من صُدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنَّ فى قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهَن يا رسول الله؟ قال:حب الدنيا وكراهية الموت)** [٥٤٣] أو كما قال رسول الله .

(وهذا) الذى أشار إليه الرسول ﷺ: (هو) موطن الداء .. ولهذا فقد ورد: (عن) عمرو بن عوف الأنصارى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنه إلى البحرين يأتى بجزْيَتها [٥٤٤]، فقدم بمالٍ من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة، فوافوا صلاة الفجر [٥٤٥] مع رسول الله ﷺ، فلما صلَّى رسول الله ﷺ انصرفَ، فتعَرضوا له [٥٤٦]، فتبسَّمَ رسول الله ﷺ حين

---

(٥٤١) لقمان: ٢٢، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى . . بتصرف .

(٥٤٢) أى : كالرغاوى التى تكون على سطح الماء . . أو ما شابه هذا . . . من الكثرة الزائفة التى لا وزن لها .

(٥٤٣) رواه البيهقى فى دلائل النبوة .

(٥٤٤) وكان العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه قد فتحها على عهد رسول الله ﷺ وكان أهلها مجوسًا.

(٥٤٥) أى: شهدوا صلاة الصبح مع النبى ﷺ .

(٥٤٦) أى: تصدوا له وطلبوا منه أن يعطيهم .

رآهم ثم قال: (**أظنكم سمعتم أن أبا عبيدةَ قدم بشيء من البحرين؟**) قالوا: أجل يا رسول الله، قـــال: (**أبشروا وأمِّلُوا ما يَسُرُّكُم،**[٥٤٧] **فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم**[٥٤٨]**، ولكن أخشى أن تُبسَطَ الدنيا عليكم** [٥٤٩] **كما بُسِطتْ على من كان قبلكم، فتنافسوها** [٥٥٠] **كما تنافسوها فتهلكَكُم كما أهلكتهم**) [رواه البخارى ومسلم]

(وقد) وقع ـ فعلاً ـ ما كان يخشاه النبى ﷺ ـ عليهم ـ وأقبلت الدنيا على أُمَّته من كل ناحية، فأوقعت بينهم العداوة والبغضاء وحملتهم على التنافس والتزاحم حتى أهلكتهم .. إلا مَن عصم الله..(ومن) أجل ذلك كان لابد أن نُخرِجَ حُبَّ الدنيا من قلوبنا بهذا المعنى الذى جاء على ألسنة العلماء، وهو: (ليس الزاهد من لا مال عنده، وإنما الزاهد من لم يُشغِلُ المال قلبه وإن أُوتى مثل ما أُوتى قارون)، أى: أنه لا مانع شرعًا أن يكون معك مال كمال قارون، ولكن بشرط أن يكون المال هذا فى يدك لا فى قلبك .. لأنه إذا كان فى يدك استطعتَ أن تستغلَّه فى طاعة الله تعالى .. أما إذا كان مُتَربِّعًا على قلب البعيد فإنه سيكون مَطِيَّةً له.

(وكان) لابد لكى يتحقق المعنى المراد من قول الرسول ﷺ فى نص الحديث، وهو: أن تكون (الموالاة فى الله، والمعاداة فى الله، والحبُّ فى الله، والبغض فى الله) أو (أن تُحِبَّ فى الله، وأن تبغض فى الله): لأن كل هذا سيكون معناه أنك قد استمسكت ـ فعلاً ـ بالعروة الوُثقى ـ التى ـ لا انفصام لها .. (وحسبك) أن تكون أهلاً لهذا الخير الذى لا نجاح ولا فلاح إلا به .. (ولاسيَّما) إذا كان حُبًا لله وفى الله .. فقد ورد:

(عن) أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: (**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد بهِنَّ حلاوة**

---

(٥٤٧) أى: أبشروا بقضاء حاجاتكم وتوقعوا كل ما يفرحكم.

(٥٤٨) أى: ليس الفقر هو الذى أخافه عليكم .

(٥٤٩) أى: تكثر عندكم الأموال وتزداد الأرزاق .

(٥٥٠) بحذف إحدى التاءين تخفيفًا أى: تتنافسوا وتتكالبوا عليها.

الإيمان: مَن كان اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه [٥٥١] مما سواهما [٥٥٢]، ومَن أحَبَّ عبدًا [٥٥٣] لا يُحبُّه إلا للَّه [٥٥٤]، ومن يَكْرهُ أن يعود فى الكُفر بعد أن أنقذه اللهُ منه، كما يكرهُ أن يُقْذَف فى النارِ).

وفى رواية: **(ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان وطَعْمه [٥٥٥]: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يُحِبَّ فى الله [٥٥٦]، وأن تُوقد نارٌ عظيمةٌ فيقَعَ فيها أحبَّ إليه مِن أنْ يُشركَ بالله شيئًا).**

[رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى]

قال البيضاوى: (المراد بالحب هنا الحب العقلى الذى هو إيثار ما يقتضى العقل السليم رجحانه، وإن كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله .. فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل، أو خلاص آجل، والعقل يقتضى رجحان جانب ذلك، تمرَّن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعًا له ويلتذ بذلك التذاذًا عقليًا إذ الالتذاذ العقلى إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك، وعَبَّر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة).

وقال الشيخ محيى الدين النووى: (هذا حديث عظيم، وأصل من أصول الدين، ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات، وتحمُّل المشاق فى الدين، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا، ومحبة العبد لله تحصُل بفعل طاعته، وترك مخالفته، وكذلك الرسول ـ ﷺ ـ وإنما قال (مما سواهما) ولم يقل ممَّن ليعُمَّ من يعقل ومن لا يعقل . قال: وفيه دليل على أنه لا بأس بهذه التثنية).

---

(٥٥١) يعنى: أعظم محبوبية، فهو أفعل تفضيل من اسم المفعول.

(٥٥٢) أى: من كل ما عداهما من مال وأهل وولد فلا يعدل بحب الله ورسوله شيئًا.

(٥٥٣) أى: من المؤمنين فإن غير المؤمن ليس موضعًا لذلك الحب.

(٥٥٤) لا يحبه إلا من أجل صلاحه وتقواه .

(٥٥٥) أى: ذوقه كما يجد اللسان ذوق العسل .

(٥٥٦) يعنى: أن يكون حبه وبغضه لله جل شأنه، فلا يحب إلا من يحبه الله، ولا يبغض إلا من يبغضه والله تعالى لا يحب إلا المتقين. ولا يبغض إلا المجرمين الذين لا خلاق لهم والعياذ بالله منهم.

وقال البيضاوى: (وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانًا لكمال الإيمان لأن المرء إذا تأمل أن المنعم باللذات هو الله تعالى، وأنه لا مانحَ ولا مانعَ فى الحقيقة سواه وأن ما عداه وسائط والرسول يبين له مراد ربه .. اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه، فلا يحب إلا ما يُحب، ولا يُحبُّ مَن يُحبُّ إلا من أجله . وأن يتيقَّنَ أن جملة ما وَعَد وأوْعد به حق يقينًا، ويُخيل إليه الموعود كالواقع، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة، وأنَّ العَوْد إلى الكُفر إلقاء فى النار) ا هـ باختصار(٥٥٧) .

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله تعالى يقول يومَ القيامة: أين المتحابُّون بجلالى (٥٥٨)، اليومَ أُظلُّهم فى ظلِّى (٥٥٩) يوم لا ظلَّ إلا ظلِّى).** [رواه مسلم]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يكونا إن شاء الله تعالى من الذين يحبون لله، ويبغضون لله، ويتعاملون مع إخوانهم المؤمنين على أساسٍ من هذا الحب الصادق الذى هو لله وفى الله .. تحقيقًا للعروة الوثقى التى لا انفصام لها .. (مع) ملاحظة أن ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.. والله ولى التوفيق،،

(٤٢) أوَ تبكى أنت كذلك .. يا رسول الله؟

روى ثابت البُنَانى عن أنس قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبى سيف القَيْن، وكان ظِئْرًا لإبراهيم، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فَقَبَّلَهُ وشَمَّهُ، ثُمَّ دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلتْ عَيْنَا رسول الله ﷺ تَذْرِفَان .فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ قال: **(يا بْنَ عوفٍ إنها رحمةٌ)**

---

(٥٥٧) انظرها من الترغيب والترهيب ج٤ ص٢٤، ٢٥، ٢٦ بتصرف.

(٥٥٨) أى: بعظمتى وابتغاء وجهى ويتزاورون ويتجالسون فى حبى ومن أجلى.

(٥٥٩) المراد يوم القيامة إذا قام الناس لرب العالمين . . ودنت الشمس من الرءوس واشتد عليهم حرها حتى يلجمهم العرق يكون هؤلاء فى ظل عرش الله عز وجل لا يُصيبهم ما يُصيب الناس .

ثم أتبعها بأخرى . فقال رسول الله ﷺ: **(إن العينَ تدمع، والقلبَ يحزن، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا، وإنَّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون).**

[أخرجه الشيخان والبيهقى، وهذا لفظ البخارى](٥٦٠)

(وقال) ابن عباس رضي الله عنهما: جاء النبى ﷺ إلى بعض بناته وهى فى السَّوْق، فأخذها ووضعها فى حجره حتى قُبِضَتْ فدمعت عيناه فبكت أُمُّ أيمن، فقيل لها: أتبكين عند رسول الله ﷺ؟ فقالت: ألا أبكى ورسول الله ﷺ يبكى ؟ قال: **(إنِّى لم أبك وهذه رحمةٌ، إن المؤمن تخرج نفسُه من بين جنبيه وهو يحمدُ الله عز وجَلَّ).** [أخرجه أحمد والنسائى والبزار بسند جيد](٥٦١)

(وقال) أُسامَة بن زيد رضي الله عنه: أُتِىَ رسول الله ﷺ بأمَيمة (٥٦٢) ابنة زينب ونفسُها تَقَعْقَعُ (٥٦٣) كأنَّها فى شَنٍّ ، فقال النبى ﷺ: **(لله ما أخذ، ولله ما أعطى، وكُلٌّ إلى أجَلٍ مُسَمًّى)** فدمعت عينا رسول الله ﷺ . فقال له سعدُ بن عُبَادة: يا رسول الله أتبكى؟ أوَ لَمْ تَنْهَ عن البُكاء؟ فقال النبى ﷺ: **(إنما هى رحمةٌ، جعلها الله فى قلوبِ عباده، وإنما يرحمُ اللهُ من عبادهِ الرحماءَ)** .

[أخرجه أحمد والشيخان](٥٦٤)

---

(٥٦٠) انظر: ص ١١٢ ج٣ فتح البارى « قول النبى ﷺ إنَّا بك لمحزونون» وص ٧٤ ج١٥ نووى (رحمته ﷺ) و(القين) بفتح فسكون، الحدَّاد . و(الظئر) بكسر فسكون: زوج المرضع (وتذرفان) أى: يجرى دمعهما (وإنها رحمة) أى: ما تراه من دمع العين هو رحمة أودعها الله فى قلوب عباده المؤمنين تنشأ عن رقة القلب لا من الجزع . (ولمحزونون) كان حزن النبى ﷺ على الفراق لا على الموت . . وبدون رفع صوت وجزع .

(٥٦١) انظر: ص ١٣٦ ج ٧ الفتح الربانى (الرخصة فى البكاء من غير نوح) وص ١٨ ج٣ مجمع الزوائد . . وبنات النبى كلهن توفين متزوجات . . فالمراد هنا بعض بنات بناته، ولعلها أُمامة بنت زينب كما فى الحديث الآتى (والسَّوق) بفتح فسكون: النَّزع. كأن روحها تساق من بدنها (وهذه رحمة) أى الدموع أثر الرحمة (ويحمد الله) لأنه تعالى يطلعه على منزلته فى الجنة فيحمده لذلك .

(٥٦٢) تصغير أُمامة .

(٥٦٣) أى: تتحرك وتضطرب . . و(هى) بنت أبى العاص. . ولم تمت أُمامة من هذا المرض. . بل عاشت حتى تزوجها علىٌّ بعد فاطمة رضى الله عنهم (والشَّن) بفتح الشين القربة الخلقة اليابسة.

(٥٦٤) انظر: ص ١٤٠ ج٧ الفتح الربانى (الرخصة فى البكاء من غير نوح) وص ١٠٠ ج٣ فتح البارى، وص٢٢٤ نووى (البكاء على الميت) .

(وقال) ابن عمر رضي الله عنهما: (اشتكى سعد بن عُبادة شكوى له، فأتاه النبى ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنهم ـ فلما دخل عليه وجده فى غَشْية، فقال: (قد قضى؟) فقالوا: لا يا رسول الله ! فبكى ﷺ، فلما رأى القوم بكاءه بكوْا، قال: **(ألا تسمعُونَ أنَّ الله لا يُعذِّب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يُعذِّبُ بهذا ـ وأشار إلى لسانه ـ أوْ يَرحَم)**. [أخرجه الشيخان والبيهقى] (٥٦٥)

(فقد دلت) هذه الأحاديث (٥٦٦): على إباحة البكاء على الميت والحزن عليه إذا لم يصحبه نَوْحٌ، أو شَقُّ جيب، أو لطم خَدٍّ، أو سَخَط لأمر الله تعالى . فإن رسول الله ﷺ قد بكى وبكى الصحابة أيضًا (وقال) عبدالله بن يزيد: رُخِّص فى البكاء من غير نَوْح، أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند حسن(٥٦٧).

وعلى هذا أجمع العلماء، ويجوز أيضًا البكاء بصوت إذا غلب الباكى الحزن ولم يبلغ إلى الحدِّ المنهى عنه (روت) عائشة رضي الله عنها أن سعد بن معاذ لما مات حضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر. فوالذى نفسُ محمد بيده إنى لأعرف بكاء عُمر من بكاء أبى بكر وأنا فى حجرتى وكانوا كما قال الله (.. رحماء بينهم..). [أخرجه أحمد] (٥٦٨)

ففى تفريقها بين بكاء عمر وأبى بكر وهى فى الحجرة: دليل على أنهما كانا يبكيان بصوت لشدة حزنهما على سعد ولم يقدرا على كتمه، ولكنه لم يبلغ إلى الحَدِّ المنهى عنه، ولذلك لم ينكر عليهما النبى ﷺ.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى لا يكونا من المتجاوزين للحد المشار إليه فى الأحاديث .. مع ملاحظة ضرورة الصبر

---

(٥٦٥) انظر ص ١١٣ ج٣ فتح البارى (البكاء عند المريض) وص ٢٢٤ ج٢ نووى (الجنائز)، (وغشية) بفتح فسكون فتخفيف الياء، وفى رواية البخارى (فى غاشية) أى: ما يغشاه من كرب الموت، أو من يغشاه من أهله .

(٥٦٦) كما فى الدين الخالص ج٧ ص ٢٠٩ وما بعدها . . . بل وما قبلها . . بتصرف .

(٥٦٧) انظر: ص ١٩ ج٣ مجمع الزوائد (البكاء) .

(٥٦٨) انظر: ص ١٤١ ج٧ الفتح الربانى (البكاء من غير نوح) .

والتسليم لقضاء الله تعالى الذى يقول فى قرآنه لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٥٦٩] . الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعًا منهم .. اللهم آمين،،

(٤٣) أنتزاورُ إذا متنا ويرى بعضُنا بعضًا .. يا رسول الله ؟

عن أُم هانئ رضي الله عنها، أنها سألت النبى ﷺ: أنتزاور إذا متنا ويَرى بعضُنَا بعضًا؟ فقال النبى ﷺ: **(تكونُ النَّسَم طيرًا تعلَق بالشجرِ حتى إذا كان يومُ القيامة دَخَلَتْ كُلُّ نفس فى جَسَدِها).**

[أخرجه أحمد والطبرانى وفيه ابن لهيعة مُتكلَّم فيه][٥٧٠]

وعن عبد الرحمن بن كعب: قالت أُم مُبَشِّر[٥٧١] لكعب بن مالك رضي الله عنه وهو شاك: اقرأ على ابنى السلام (تعنى مُبَشِّرًا) ، فقال: يغفر الله لك يا أُم مُبَشِّر! أوَ لَمْ تسمعى ما قال رسول الله ﷺ: **(إنما نَسمةُ المسلمِ طير تعلَق فى شجر الجنة حتى يُرجعه الله عز وجل إلى جسده يوم القيامة)** قالت: صدقتَ فأستغفر الله. [أخرجه أحمد بسند جيد][٥٧٢]

وقالت أم كبشة بنت معرور: دخل علينا النبى ﷺ فسألناه عن هذه الروح فقال: **(إن أرواحَ المؤمنين فى حواصلِ طير خُضْر ترعى فى الجنةِ وتاكلُ من**

---

(٥٦٩) سورة البقرة من الآية ١٥٥ .

(٥٧٠) انظر: ص ٣٢٩ ج٢ مجمع الزوائد .

(٥٧١) ومُبَشِّر هو ابن البراء بن معرور الأنصارى صحابى ابن صحابى ابن صحابية . توفى فحزنت عليه أمه حزنًا شديدًا، فكانت تأتى كل محتضر يعرف ابنها وتكلفه أن يقرأ على ابنها السلام . فأنكر عليها كعب بن مالك: هذا الحزن مع أن ابنها فى النعيم المقيم وممن قال الله فيهم: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح: ١٨) وذكَّرها بالحديث وكانت سمعته . فقالت له: صدقت ولامت نفسها واستغفرت الله تعالى على ما فرط منها . (الدين الخالص ج ٧ ص ١٩٠ هامش) .

(٥٧٢) انظر: ص ٨٦ ج٢ الفتح الربانى .

ثمارها وتشرب من مياهها، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش يقولون: ربنا ألحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا . وإن أرواح الكفار فى حواصل طير سُود تأكل من النار وتشرب من النار، وتأوى إلى جُحْر فى النار يقولون: ربنا لا تُلحق بنا إخواننا ولا تُؤتنا ما وعدتنا).

[أخرجه ابن منده][٥٧٣]

فهذه الأحاديث [٥٧٤]: تدل على أن أرواح المؤمنين شهداء وغير شهداء فى الجنة إذا لم يحبسهم عنها كبيرة ولا دين. وبه قال أبو هريرة وابن عمر وأحمد والجمهور لقوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ**﴾ [٥٧٥] ذكر أن الميت ثلاثة أقسام: مقربين فى الجنة، وأصحاب اليمين سالمين من العذاب، ومُكَذبين لهم ﴿**فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ**﴾ [٥٧٦]. (وقيل): إن الذى فى الجنة إنما هو أرواح الشهداء (لقوله) تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [٥٧٧].

(ولحديث) ابن عباس أن النبى ﷺ قال: (**لما أُصيبَ إخوانكم بأُحُد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خُضْرٍ تَردُ أنهارَ الجنة تأكلُ من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظلِّ العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم** [٥٧٨] **قالوا: مَنْ يُبلغ إخواننا أننا أحياء فى الجنة نُرزَق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا** [٥٧٩] **عند الحرب؟ فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم وأنزل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا..﴾** الآية .

[أخرجه أبو داود . تَفرد به عبدالله بن إدريس عن محمد بن إسحاق] [٥٨٠]

---

(٥٧٣) انظر: ص ٩١ ج٧ الفتح الربانى (الشرح).

(٥٧٤)كما جاء فى (الدين الخالص) ج٧ ص ١٨٩ وما بعدها . . بتصرف .

(٥٧٥) الواقعة: ٨٨، ٨٩ .

(٥٧٦) الواقعة: ٩٣، ٩٤ .

(٥٧٧) آل عمران: ١٦٩.

(٥٧٨) مقيلهم بفتح فكسر أى: مأواهم للراحة وقت الظهيرة .

(٥٧٩) (ولا ينكلوا) بضم الكاف، أى: لا يجبنوا .

(٥٨٠) انظر: ص ٣٢٢ ج٢ عون المعبود ـ فضل الشهادة.

وعن كعب بن مالك أن النبى ﷺ قال: (**إن أرواحَ الشهداءِ فى طيرٍ خُضر تَعلَقَ من ثمرِ الجنة أو شَجَر الجنة**). [أخرجه أحمد والترمذى وقال: حسن صحيح]

(وقال) مجاهد: أرواح المؤمنين بفناء الجنة على بابها يأتيهم من نعيمها ولا يدخلونها (لحديث) ابن عباس أن النبى ﷺ قال: (**الشهداءُ على بارقِ نهرٍ بباب الجنة فى قبةٍ خضراء يخرجُ عليهم رزقهم بُكرةً وعشيةً من الجنة**).

[أخرجه أحمد والطبرانى فى الكبير بسند رجاله ثقات والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم] (٥٨١)

(وقال) ابن عبد البر: أرواح المؤمنين غير الشهداء على أفنية القبور تسرح حيث شاءت، وأرواح الشهداء فى الجنة.. وهو قول قوى (والصحيح) أن الأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ تفاوتًا عظيمًا . ولا تعارض بين الأدلَّة، فإن كُلاً منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم فى السعادة والشقاوة .

(فمنها) أرواح فى أعلى علِّيين فى الملأ الأعلى، وهى أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم،وهم متفاوتون فى منازلهم كما رآهم النبى ﷺ ليلة الإسراء.

(ومنها) أرواح فى حواصل طير خُضْر تسرح فى الجنة حيث شاءت، وهى أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء مَن تُحبَسُ روحه عَن دخول الجنة لدَيْنٍ عليه أو غيره، كما فى حديث محمد بن عبد الله بن جحش: أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله ما لى إن قُتِلْتُ فى سبيل الله؟ قال: (**الجنة**) فلما ولَّى قال: (**إلا الدَّيْن سَارَّنى به جبريل آنفًا**) [أخرجه أحمد] (٥٨٢)

(ومنهم) مَنْ يكون محبوسًا على باب الجنة كما فى حديث سَمُرة بن جُندب قال: صلى النبى ﷺ الصُّبح فقال: (**ها هنا أحد من بنى فلان؟**) قَالُوا: نعم . قال: (**إن صاحبكم مُحْتَبَسٌ على باب الجنة فى دَيْنٍ عليه**).

[أخرجه أحمد بسند جيد] (٥٨٣)

---

(٥٨١) انظر: ص ٢٩٤ ج٥ مجمع الزوائد (الشهادة وفضلها)، (وبارق) بالتنوين اسم نهر فى الجنة .

(٥٨٢) انظر: ص ٩٧ ج٧ (الفتح الربانى) الشرح.

(٥٨٣) انظر: ص ٩٩ ج٧ (الفتح الربانى) (المبادرة إلى تجهيز الميت وقضاء دينه) و (من بنى فلان): لم يُسم سترًا عليه .

(ومنهم) مَن يكون محبوسًا فى قبره كصاحب الشَّملة التى سرقها من الغنيمة (قال) أبو هريرة : خرجنا مع النبى ﷺ عام خَيْبر ، فلم نَغْنَم ذَهَبًا ولا وَرِقًا [٥٨٤] إلا الثيابَ والمتاع والأموال، فوجَّه رسول الله ﷺ نحو وادى القُرى، وقد أُهْدِى لرسول الله ﷺ عَبْدٌ أسودُ يقال له (مِدْعَمٌ) حتى إذا كانوا بوادى القُرى فبينما (مِدعم) يحط رَحْل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم فقتله . فقال الناس: هنيئًا له الجنة . فقال رسول الله ﷺ: **(كلا والذى نفسى بيده إن الشملةَ التى أخذها يوم خيبر من المغانم لم تُصِبْها المقاسم لتشتعل عليه نارًا)** فلما سمعوا ذلك جاء رجل بشراك أو شراكين إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **(شِراكٌ من نارٍ أو شِراكان من نار)**.

[أخرجه الشيخان وأبو داود وهذا لفظه] [٥٨٥]

(ومنهم) مَن تُحبَسُ روحه فى الأرض ولا تُرفَعُ إلى الملأ الأعلى لأنها كانت روحًا سُفليَّةً أرضيةً، والأنفس الأرضية التى لم تكتسب فى الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكْره والأُنسَ به والتَّقرُّبَ إليه لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا فى الأرض . كما أن النفس العُلوية التى كانت فى الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتقرُّب إليه والأُنْس به: تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها، فالمرء مع مَن أحَبَّ فى البرزخ[٥٨٦] ويوم القيامة.

(ومنها) أرواح تكون فى تَنُّور الزُّناة والزَّوانى . وأرواح فى نهر الدم تسبح فيه، وتُلقم الحجارة .. ومَن تأمَّل الآثار فى هذا الباب عرف أن الأرواح على اختلاف محالِّها وتباين مقرها لها اتصال بأجسادها فى قبورها ليحصل للجسم من النعيم والعذاب ما كُتِبَ له، وأن لها شأنًا غير شأن البدن، وأنها مع كونها

---

(٥٨٤) الورق بكسر الراء أى الفضة.

(٥٨٥) انظر: ص ٤٧٣ ج١١ فتح البارى . . وكذا فى ج٢ نووى، ج٣ عون المعبود . . (فوجَّه) أى توجَّه . . (وادى القُرى) موضع قرب المدينة به يهود. . (والشِّراك) بكسر الشين: السير يكون فى النصل على ظهر القدم . . (وفيه) تنبيه على عاقبة من خان فى الغنيمة ونحوها ولو فى اليسير .

(٥٨٦) البرزخ: الحاجز بين الشيئين، وهو أيضًا ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ (مختار الصحاح).

فى الجنة فهى فى السماء، وتتصل بالبدن فى القبر، وهى أسرع شىء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطًا.(وهى) تنقسم إلى مُرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن، وما أشبه حالها فى البدن بحال الجنين فى بطن أمه، وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن .(٥٨٧)

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وهما يدركان المراد منه .. وما يشير إليه من معلومات هامة عن حياة البرزخ .. وما سيكون بعد ذلك فى اليوم الآخر.. إذا أرادا أن يقفا على الإجابة على السؤال موضوع الفتوى.. بوضوح .. وهما يسألان الله تعالى معنا.. حسن الخاتمة.. اللهم آمين،،

(٤٤) ما معنى أن الشهداءَ (أحياءٌ عند ربهم يُرْزقون) يا رسول الله؟

عن مسروق، قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾(●) قال: أمَا إنَّا قد سألنا عن ذلك النبىَّ ﷺ فقال: (**أرواحُهُم فى جَوْفِ طيرٍ خُضْر لها قناديل مُعلَّقة بالعرش تسرحُ من الجنةِ حيث شاءتْ، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطَّلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا ؟ قالوا: أىُّ شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات. فلما رأوا أنهم لن يُتْركُوا من أن يُسْألوا، قالوا: يا رب نريد أن تُردَّ أرواحنا فى أجسادنا حتى نُقتل فى سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**). [أخرجه مسلم](٥٨٨)

(فهذا) الحديث: يُفيد أن الجنة مخلوقة وموجودة، وهو مذهب أهل السنة، وهى التى أُهبط منها آدم ويُنعَّم فيها المؤمنون فى الآخرة.

---

(٥٨٧) انظر: ص ١٨٥ وما بعدها من كتاب الروح.

(●) آل عمران ـ آية ١٦٩ .

(٥٨٨) انظر: ص ٣١ ج١٣ نووى (بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة).

(وفيه) أيضًا: ستة أدلة: كونها مُودعة فى جوف طير، وأنها تسرح فى الجنة، وأنها تأكل من ثمارها وتشرب من أنهارها، وأنها تأوى إلى تلك القناديل، وأن الرب تعالى خاطبها واستنطقها فأجابته، وأنها طلبت الرجوع إلى الدنيا فَعُلِمَ أنها تقبل الرجوع: وهذه أوصاف للروح المودعة فى الطير . وأطال ابن القيم فى ذكر الأدلة على جسمية الروح حتى أوصلها إلى ستة وعشرين ومائة دليل، وذكر شُبَه المتنازعين فى جسميتها وردَّها رَدًّا مُسهَبًا[٥٨٩] . وفيما ذكرناه الكفاية .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بهذا العلم النافع .. وأن يجعلنا أهلاً لأن نكون من هؤلاء الشهداء الذين هم: ﴿.. **أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ .. اللهم آمين،،

(٤٥) هل يجوز نَعْىُ الميت يا رسول الله؟

عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ نعى للناس النَّجاشىَّ فى اليوم الذى مات فيه وخرج بهم إلى المصلَّى فَصَفَّ أصحابه وكَبَّر عليه أربعًا.

[أخرجه السبعة [٥٩٠] ، وهم أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه]

وعن أنس ﷺ أن النبى ﷺ نَعَى زيدًا، وجعفرًا، وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: (**أخذ الرايةَ زيد فأُصيبَ، ثم أخذ جعفر فأُصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأُصيبَ، وعيناه تذرفان حتى أخذ الرايةَ خالدُ بنُ الوليد من غير إمْرةٍ فَفُتِحَ له**). [أخرجه أحمد والبخارى] [٥٩١]

فإخبار النبى ﷺ بقتل الثلاثة: يدل على أنَّ الإعلام بموت أحد مباح لا نَعْىٌ منهى عنه .

---

(٥٨٩) انظر: ص ٢٨٥ وما بعدها من كتاب الروح لابن القيم.

(٥٩٠) انظر: ص ٢١٨ ج٧ الفتح الربانى، وص ٧٥ ج٣ فتح البارى . وص ٥١ ج٧ نووى، وص ٤٩ ج٩ المنهل العذب، وص ٢٨٠ ج١ مجتبى.

(٥٩١) انظر: ص ٣٦١ ج٧ فتح البارى .

(ولهذا) فقد قال فى (الدين الخالص) موضحًا هذا .. [٥٩٢] باختصار: النَّعى ـ بفتح فسكون وتخفيف الباء، أو بفتح فكسر فشد الياء ـ هو فى اللغة: الإخبار بموت الشخص .. وشرعًا له ثلاث حالات: (الأولى): إعلام الأهل والأصحاب وأهل الصلاح بموته من غير نَوْح ولا مُنكر آخر لتجهيزه والصلاة عليه وتشييعه ودفنه والدعاء له وغير ذلك . وهو مشروع ـ ثم استدل على هذا بالحديثين السابقين ـ .. ثم يقول بعدهما باختصار: (والصحيح) الذى تدل عليه الأحاديث الصحيحة أن الإعلام بالموت لمن لم يعلم ليس بمكروه، بل إن قُصِدَ به الإخبار لكثرة المصلِّين فهو مستحب . وإنما يُكره ذكْر المآثر والمفاخر والطواف بين الناس يذكره بهذه الأشياء، وهذا نعى الجاهلية المنهى عنه .

(وأما عن الحالة الثانية): وهى الإعلام بدعوى الجمع الكثير للمفاخرة: فهو مكروه، ومنه ما يقع من كثير من أهل الزمان إذا مات عظيم أعلنوا عن موته فى الصحف وغيرها، أو أرسلوا إلى الجهات الأخرى يخبرون أهلها بموته مفاخرة ومباهاة، وعليه يُحمل قول حُذيفة: إذا مُتُّ فلا تؤذنوا بى أحدًا، فإنى أخاف أن يكون نَعْيًا، وإنى سمعتُ رسول الله ﷺ ينهى عن النعى .

[أخرجه أحمد وابن ماجه والبيهقى والترمذى، وهذا لفظه وقال: حديث حسن] [٥٩٣]

(والحالة الثالثة): وهى الإعلام بموته بنَوح وغيره مما يشبه نعى الجاهلية كانوا يرسلون رجلاً على أبواب الدُّور وفى الأسواق يعلن بموت فلان .. (فهذا) عمل جاهلى منهى عنه .. ولا سيما إذا كان كهذا الذى يقع فى كثير من البلدان من طواف النساء فى البلد يَصِحْن ويُولولْنَ، ويَلْطمن الخدود، ويدعون بدعوى الجاهلية فى حالة منكرة قبيحة .. وفى بعض الجهات إذا مات عظيم وقفوا على المنارات ونحوها يخبرون بموته ويرفعون أصواتهم بالبكاء والنياحة، أو يضربون بالطبول والموسيقى .. وهو مُحَرَّم منهى عنه (ومنه) التبرير الذى يفعله بعض المؤذنين على المنارات عند موت عالم أو عظيم من العظماء.

---

(٥٩٢) ج٧ ص٢١٩ وما بعدها . . بتصرف.

(٥٩٣) انظر: ص ١٤٤ ج٧ الفتح الربانى، وص ٢٣٢ ج١ ابن ماجه، وص ١٢٩ ج٢ تحفة الأحوذى.

(والنهى) فيه محمول على النعى الذى كان عليه أهل الجاهلية جمعًا بين الأحاديث .. فإن ظاهره تحريم النعى وإن لم يصحبه ما يُستنكر كما كانت تفعله الجاهلية من إرسال من يُعلِنُ بخبر موت الميت على أبواب الدُّور والأسواق، ولكنه تقدم أنه ﷺ نعى النجاشىَّ للناس فى اليوم الذى مات فيه، وأخبر بقتلى مؤتة، وقال فى السوداء التى كانت تَقُمُّ المسجد: (ألا أخبرتمونى بموتها؟) (٥٩٤) فهى تدل على جواز الإعلام بالموت لمن يحضر الغُسل والتكفين والصلاة، والمنع منه لغير ذلك (وعن) إبراهيم النَّخعىِّ وابن سيرين أنهما قالا: لا بأس إذا مات الرجل أن يُؤذن صديقه وأصحابه . إنما يُكره أن يُطاف فى المجالس فيُقال: أنْعى فلانًا: فعْل أهل الجاهلية . [أخرجه سعيد بن منصور فى سننه]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يفعلا المباح .. ولا يفعلا المنهى عنه.. وذلك حتى لا يقعا فى فعل معصية .. والمطلوب أن يكون العكس هو الصحيح .. والله الموفق للصواب،،

(٤٦) هل يجوز للمرأة أن تحدَّ على غير زوجها .. يا رسول الله؟

عن أم عَطيَّة الأنصاريَّةَ أن النبى ﷺ قال: **(لا تَحدُّ امرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوج، فإنها تَحدُّ عليه أربعة أشهُر وعَشْرًا . ولا تَلْبس ثوبًا مَصْبُوغًا إلا ثَوْبَ عَصْب، ولا تَكْتَحل، ولا تَمسُّ طِيبًا، ولا تَخْتَضِبْ، ولا تَمتَشِط، إلاَّ إذا طَهُرَتْ تَمسُّ نُبْذَةً من قُسْطٍ أو أظْفار).**

[أخرجه السبعة إلا الترمذى] (٥٩٥)

---

(٥٩٤) كما جاء فى حديث أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه والبيهقى. وهذه المرأة السوداء تُسمى (أم محجن)، ومعنى (تقم المسجد) أى: تقوم بكنسه وتجمع الكناسة.

(٥٩٥) انظر: ص ١٤٩ ج١٠ نووى، وص٣٩٧ ج٩ فتح البارى، وص ١١٨ ج١٠ نووى، وص٢١٠ ج٢ عون المعبود، وص٣٢٨ ج١ ابن ماجه، وص١١٤ ج٢ مجتبى (والعَصْب) بفتح فسكون برود يمانية يعصب غزلها ويشد ثم يصبغ ويُنسج فيبقى ما عصب أبيض. والمقصود النهى عن لبس الثياب =

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح يجيب النبى ﷺ على هذا السؤال الذى هو موضوع الفتوى .. ولكى نفهم المراد من هذا الحديث .. فإنه حَسْبنا أن نقرأ ما جاء فى (الدين الخالص) [٥٩٦] تحت عنوان: (الإحداد على الميت)، حيث يقول:

الإحداد ـ من أحدَّ، ويقال: الحداد من حَدَّ كنصَر وضرب ـ لغةً المنع، وشرعًا: تَرْك ما يُتَزَيَّن به من حُلِيٍّ أو كُحْل أو حرير، ولو أسود، أو دُهن ولو غير مُطَيَّب، أو اختضاب بحناء، أو لُبس مصبوغ بما له رائحة طيبة كالزعفر والمُعصفر الجديد الذى يُتَزَيَّنُ به .

ثم يقول: والإحداد واجب على المسلمة المُكَلَّفَة التى مات زوجُها أربعة أشهر وعَشْرًا تأسُّفًا على زوال نعمة النكاح لأنه سبب لعفَّتها وكفاية مئونتها. (ويجوز) للمرأة الإحداد على قريب غير زوج ثلاثة أيام فقط ما لم يمنعها زوجُها . ثم بعد أن ذكر الحديث الذى ندور حوله والذى هو الدليل على هذه الأحكام .. قال:

(والحكمة) فى إحداد المرأة على الزوج أربعة أشهر وعشرًا: أن الولد يتكامل خَلْقه وتنفخ فيه الروح بعد مضى ١٢٠ (عشرين ومائة يوم) وهى زيادة على أربعة أشهر بنقصان الأهلَّة، فَجُبِرَ الكسر إلى العقد وزيد العشر احتياطًا [٥٩٧].

(وقد) أفاد الحصر فى قوله (إلا على زوج): أنه يجوز للمرأة أن تحدَّ على غير زوجها ـ أبًا أو ابنًا أو أخًا أو قريبًا ـ ثلاثة لما يغلب من لوعة الحزن ويهجم من ألم الوجد وليس ذلك واجبًا لاتفاقهم على أن الزوج لو طلبها للجماع لا يحل لها منعه .. (وهذا) معناه أنه يحرم الإحداد على غير الزوج فوق ثلاث وإن أذن الزوج، (وأنه) يجب الإحداد على الزوج أربعة أشهر وعشرًا لأنه جواز بعد منع

= المصبوغة المزينة إلا ثوب عصب (والنبذة) بضم فسكون: القطعة (والقسط والأظفار) نوعان من العود . . رخَّص فى استعمالها للمغتسلة من الحيض لإزالة الرائحة الكريهة.

(٥٩٦) ج٧ ص٢٢٤ وما بعدها . . بتصرف واختصار.

(٥٩٧) انظر: ص ٣٩٣ ج٩ فتح البارى، وص ١١٣ ج١٠ نووى مسلم .

فيجب إلاَّ لعذر، بأن كانت لا تجد إلا ثوب زينة، أو بها نحو حكَّة فتلبس الحرير، أو شكَتْ عينها أو رأسها، فيباح لها الكحل والادهان .. (ولذا) قال الحنفيون وأحمد والجمهور: يجوز للمعتدة المتوفَّى عنها زوجها الاكتحال بالإثمد ونحوه (والمشهور) عن مالك منع اكتحالها إلا لضرورة (وقالت) الشافعية: يحرم على المحدَّة الاكتحال ولو احتاجت إليه .

(ووجه) الجمع أنها إذا لم تحتج إليه لا يحل مطلقًا، وإن احتاجت لم يَجُزْ بالنهار، ويجوز ليلاً مع أن الأَوْلَى تركه . فإن فعلت مسَحته بالنهار (فدليل) الإذن فى الاكتحال لبيان أنه بالليل للحاجة غير حرام،(ودليل) النهى محمول على عدم الحاجة [٥٩٨].. اهـ من الدين الخالص ج٧ [٥٩٩] باختصار وتصرف .

فعلى الأخت المسلمة أن تلاحظ كل هذا حتى تنفذه على أساس من تلك الأحكام الفقهية المتعلقة بهذا الموضوع عند الحاجة إليه .. بدون مخالفة للشرع .. والله الموفق للصواب،،

(٤٧) ما المُستَريحُ وَمَا المُستَراحُ منه .. يا رسول الله؟

عن أبى قتادة ﷺ أن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة، فقال: **(مُستَرِيحٌ ومُسْتَراحٌ منه)** فقالوا: يا رسول الله، ما المستريحُ وما المستراحُ منه؟ فقال : **(العبد المؤمن يَستريح من نَصَبِ الدنيا[٦٠٠]، والعبدُ الفاجر يَستريح منه العبادُ والبلادُ والشجرُ والدوابُّ [٦٠١])**. [رواه البخارى ومسلم]

---

(٥٩٨) انظر: ص ١١٤ ج١٠ نووى مسلم (وجوب الإحداد فى عدة الوفاة).

(٥٩٩) ص ٢٢٦ باختصار وتصرف .

(٦٠٠) نصب الدنيا ، أى: تعبها .

(٦٠١) أى: يستريحون من أذاه .

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح يشير النبى ﷺ إلى ملاحظتين من أهم الملاحظات التى لابد أن نقف عليها نحن المؤمنين والمؤمنات بصفة خاصة .. وهى: (أن) الدنيا دار تعب ومشقة .. كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله لأبينا - آدم وحواء عليهما السلام - ﴿.. **فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ**﴾ (٦٠٢)، فإن المعنى هو أن الإنسان فى هذه الدنيا سيظل طوال حياته فى سعى طلبًا للرزق - من أجله ومن أجل من يعولهم - فى مناكب الأرض إلى آخر لحظة فى تلك الدنيا.. هذا بالإضافة إلى ما يتعرض له فى سبيل هذا من أمراض أو مشاحنات.

(وقد) يكون هذا التعب بسبب التفكير ليلاً أو نهارًا فى أمر الرزق ومشاكل الأسرة التى قد لا تنتهى .. (بل) وقد يكون التعب هذا بسبب كثرة الأموال التى ستكون - غالبًا - سببًا فى فتنته ولهوه ولعبه .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ (٦٠٣)، وقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ (٦٠٤).. الخ.

(وعلى) هذا: فإنه لن يستريح المؤمن من كل هذا إلا بالموت الذى ينبغى أن يكون - فعلاً - راحة له .. كما ورد فى الحديث (**الموتُ راحةُ المؤمنِ**)، وأما غير المؤمن فإنه لن يكون مستريحًا فى الآخرة .. كما كان غير مستريح فى الدنيا.

(وأما) عن الملاحظة الثانية .. (فهى) أن غير المؤمن، وهو العبد الفاجر .. فإنه بعد موته سيستريح العباد والبلاد والشجر والدواب ... منه، أى من أذاه.. لأنه كان شرًا.. وكان يُشكل خطورة على كل شىء من المخلوقات.. ولاسيَّما الضعفاء منهم .. الذين كانوا لا يملكون غير الدعاء عليه - بالهلاك - إذا لم يشأ الله تعالى هدايته .. (ولهذا) كان من الخير بمجرد موته .. أو هلاكه .. أن يعجل الناس بدفنه .. حتى يستريحوا منه .. وحتى يضعوه - كَشَرٌّ - عن رقابهم: (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: (**أسرِعُوا بالجنازةِ** (٦٠٥)، **فإن تَكُ صالحة**

---

(٦٠٢) سورة طه: من الآية ١١٧.

(٦٠٣) التغابن: من الآية ١٥ .

(٦٠٤) المنافقون: ٩ .

(٦٠٥) ظاهر الأمر الإسراع فى المشى، ويحتمل الأمر الإسراع فى التجهيز .. (وقال) النووى: الأول هو المتعين لقوله: (فشر تضعونه عن رقابكم).

فخيرٌ تُقدمونها إليه، وإنْ تَكُ سوى ذلك فشرٌّ تضعونه عن رِقَابكم).

[رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه]

أسأل الله سبحانه وتعالى .. أن يجعلنا ـ جميعًا كمؤمنين إن شاء الله ـ من الذين يستريحون ولا يُريحون .. اللهم آمين،،

(٤٨) ما ثوابُ الأعمال الصالحة فى العَشْر الأوَل مِن ذِى الحِجَّة .. يا رسول الله ؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَا مِنْ أيامٍ العملُ الصالحُ**(٦٠٦) **فيها أحَبُّ إلى الله عز وجل من هذه الأيام**(٦٠٧)**«يعنى أيام العشر»)**(٦٠٨) قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: **(ولا الجهاد فى سبيل الله**(٦٠٩) **إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشىء)** [رواه البخارى والترمذى، وأبو داود وابن ماجه، والطبرانى فى الكبير بإسناد جيد]، ولفظه قال: **(ما من أيام أعظمُ عند الله، ولا أحبُّ إلى الله العمل فيهِنّ من أيام العشر، فأكثروا فيهِنَّ من التسْبيح، والتحميد، والتهليل والتكبير)** .

وإذا كان الرسول ﷺ قد أشار فى الرواية الثانية إلى عظمة هذه الأيام عند الله تبارك وتعالى .. فإن السبب فى هذا .. هو أن فيها تقع معظم أعمال الحج، ففيها يوم عرفة الذى يجتمع فيه الحجاج على صعيد عرفات، فيدنو الله عز وجل منهم ويباهى بهم ملائكته، وفيها يوم النحر الذى هو أفضل أيام الدنيا لما فيه من رمى الجمار ونحر الهدى والأضاحى والطواف بالبيت .. الخ.

---

(٦٠٦) هذا عام يتناول سائر العبادات من صلاة وصيام وصدقة وقراءة قرآن .. الخ.

(٦٠٧) فى قوله (العمل الصالح) الخ فى محل جر صفة لأيام .. وأحب أفعل تفضيل من اسم المفعول أى أكثر محبوبية.

(٦٠٨) هذه جملة مدرجة من كلام الراوى لتفسير الأيام.

(٦٠٩) وهذا معناه أن الرسول ﷺ يفضل العمل الصالح فى هذه الأيام حتى على الجهاد فى سبيل الله .. باستثناء تلك الصورة التى ذُكِرت فى ختام الحديث.

(وقال) الإمام ابن القيم فى الزاد: (فإن قلتَ: أىُّ العَشْرَيْنِ أفضل: عشرُ ذى الحجة، أو العشر الأخير من رمضان؟ فالصواب أن يُقال: ليالى العشر الأخير من رمضان أفضل من ليالى عشر ذى الحجة، وأيام عشر ذى الحجة أفضل من أيام العشر الأخير من رمضان، وبهذا التفضيل يزول الاشْتِبَاه، ويدل عليه أن ليالى العشر من رمضان إنما فُضِّلَت باعتبار ليلة القدر [٦١٠]، وهى من الليالى،وعشر ذى الحجة إنما فُضِّل باعتبار أيامه إذْ فيه يوم النحر، ويوم عرفة، ويوم التروية).

(ولهذا) فقد رغَّبنا الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى الإكثار من أعمال الخير فيها ولاسيَّما بالنسبة للصيام التطوع فى التسع الأُوَل من ذى الحجة.. لأن اليوم العاشر يحرم أن تصومه - وهو يوم عيد الأضحى - هذا بالإضافة إلى جميع أعمال البر .. ومن قول سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وعن الأوزاعى ﷺ قال: (بلغنى أن العمل فى اليوم من أيام العشر كقدر غزوة فى سبيل الله، يُصامُ نهارُها، ويُحرسُ ليلُهَا إلاَّ أن يختص امروٌ بشهادة) قال الأوزاعى: حدثنى بهذا الحديث رجل من بنى مخزوم عن النبى ﷺ.
[رواه البيهقى] [٦١١]

فعلى الأخ المسلم. والأخت المسلمة. أن يلاحظا كل هذا. حتى ينتفعا به. حرصًا على المزيد من الثواب فى تلك المواسم الخيرية العظيمة.والله ولى التوفيق،

(٤٩) يا رسولَ الله .. متى يجوزُ للمرأةِ أن تنفقَ من بيتِ زوجها؟

عن عائشة ﷺ أنها قالت: قال النبى ﷺ: **(إذا أنفقتْ المرأةُ من طعامِ بيتها**

---

(٦١٠) وهى أفضل الليالى لنزول القرآن فيها.
(٦١١) انظر: ص ٣٢٠ وما بعدها مع الهامش (من الترغيب والترهيب) ج٢ بتصرف.

غير مفسدة كان لها أجرُها بما أنفقتْ، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئًا). [رواه البخارى]

وعن أبى أُمامَةَ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول فى خطبة عام حجة الوداع: **(لا تُنفق المرأةُ شيئًا من بيت زوجها إلا بإذن زوجها، قيل: يا رسول الله، ولا الطعام؟ قال: ذلك أفضل أموالنا).** [رواه الترمذى وحسَّنه]

قال فى (فقه السنة) بعد هذا الحديث الأخير: ويستثنى من ذلك النزر اليسير الذى جرى به العُرف فإنه يجوز لها أن تتصدق به دون أن تستأذنه، فعن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنهما أنها قالت: يا نبى الله، ليس لى شىء إلا ما أدخل عَلَىَّ الزُّبير فهل عَلَىَّ جُناحٌ (٦١٢) أن أرضَخَ (٦١٣) ممَّا يُدخِلُ عَلَىَّ ؟ فقال: **(أرضِخِى ما استطعتِ ولا تُوعِى** (٦١٤) **فيوعى الله عليك)** [أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائى] ولفظهما: (ولا تُوكى فيوكى الله عليك) (٦١٥) . أى: ليس من المال إلا ما أدخله الزبير بيته أيجوز لى أن أتصدق منه؟ فقال النبى ﷺ: **(أنفقى منه ولا تمسكى فيُضيِّق اللهُ عليك)** .

وقال فى (الدين الخالص): والحديث محمول على إعطاء ما جرى العرف بإعطائه من غير إسراف، وأمرها النبى ﷺ بالإعطاء بلا توقف على إذن زوجها لعلمه ﷺ بأن الزبير تَطيبُ نفسه بما تتصدق به، ولم يُقَيِّد إنفاقها بعدم الإسْراف لعلمه ﷺ بأن السيدة أسماء رضي الله عنها ذاتُ دينٍ تحسن التصرف.

كما يشير أيضًا فى (الدين الخالص) إلى ملاحظة أخرى تتعلق بالحديث الأول الذى ندور حوله (٦١٦)، فيقول: (والحديث) محمول على ما إذا علمت المرأةُ والخادم رضا رب المال بالتصدُّق منه، أمَّا إن عُلِم عدم رضاه أو شُكَّ فيه

---

(٦١٢) الجناح بضم الجيم أى الإثم .

(٦١٣) أى: أعط القليل الذى جرت العادة بإعطاء مثله .

(٦١٤) أى: لا تدخرى المال فى الوعاء فيمنعه الله عنك.

(٦١٥) ولا تُوكى من الإيكاء وهو المنع، أى: لا تمنعى ما فى يدك فيمنع الله عنك بركة رزقه.

(٦١٦) وهو حديث عائشة رضى الله عنها.

فلا يجوز لغيره التصدق من ماله إلا بإذن صريح (وفرَّق) بعض العلماء بين الزوجة والخادم بأن الزوجة لها النظر فى مال الزوج والتصرف فى بيته، فلها أن تتصدق بالمعتاد بلا إسراف (وأما) الخادم فليس له التصدق من مال سيده إلا بإذن صريح .

كما أشار أيضًا فى (الدين الخالص) إلى معنى المشاركة فى الأجر كما جاء فى الحديث الأول، وكما جاء فى حديث آخر أخرجه مسلم يقول فيه عُمَيْر مولى آبى اللحم: كنت مملوكًا فسألتُ رسول الله ﷺ: أأتصدق من مال مَوالىَّ بشىء ؟ قال: **(نعم والأجر بينكما نصفان)**. فيقول: وهذا محمول على أنه استأذن فى الصدقة بقدر يعلم رضا سيده به، ثم يقول: (ومعنى) والأجر بينكما نصفان أى قسمان وإن كان أحدهما أكثر. (ويُحتمل) أن يكون الأجر سواء، لأن الأجر فضل الله يؤتيه مَن يشاء والمختار الأول .. والمعنى كذلك أن المشارك فى الطاعة مشارك فى الأجر . والمراد المشاركة فى أصل الثواب وإن كان أحدهما أكثر .

فإذا أعطى المالك لخازنه أو امرأته مائة درهم مثلاً يُوَصِّلُهَا إلى فقير على باب الدار فأجر المالك أكثر، وإن أعطاه رُمَّانة أو رغيفًا ونحوهما ليُعْطِيَه إلى محتاج فى مسافة بعيدة تزيد أجرة الذهاب إليها على الرُّمَّانة ونحوها، فأجر الوكيل أكثر، وقد يكون عمله قدر الرغيف فيكون الأجر سواء .

ثم بعد ذلك يقول فى (الدين الخالص): (واعلم) أنه لابد للعامل والزوجة والمملوك من إذن المالك فى ذلك، فإن لم يكن إذْنٌ أصلاً فلا أجر لهم بل عليهم وزر بتصرفهم فى مال الغير بغير إذنه، والإذن صريح مفهوم من العُرف والعادة كإعطاء السائل كسرة [٦١٧] ونحوها مما جرت به العادة وعُلِم بالعرف رضا المالك وإذنه حاصل وإن لم يتكلم، فإن شك فى رضاه أو علم من حاله الشُّح بذلك ، أو شُكَّ فيه لم يَجُزْ للمرأة وغيرها التصدُّق من ماله إلا بإذن صريح منه[٦١٨].

---

(٦١٧) أى: قطعة من الخبز بكسر الكاف.

(٦١٨) انظر: ص ١٠١ ـ ١١٣ ج٧ نووى (أجر الخازن الأمين) .

فعلى الأخت المسلمة ـ الزوجة ـ بصفة خاصة أن تلاحظ كل هذا وتنفذه حتى لا تكون آثمة.

وعلى الأخ المسلم ـ الزوج ـ أن يكون مُشَجِّعًا لزوجته ومُعينًا لها على فعل الخير .. ولاسيَّما بالنسبة لإطعام الفقراء والمساكين والمحتاجين **(والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه)** (٦١٩) و **(مَنْ كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته)** (٦٢٠). والله ولى التوفيق،،

(٥٠) يا رسولَ الله .. زوِّدنا بحديث قُدسيٍّ (٦٢١) ترى ضرورة أن ننتفعَ به .. لصالح دُنيانا وأُخرانا؟

عن أبى ذَرٍّ الغفَّارىِّ ﷺ عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربِّه عز وجلَّ أنه قال: **(يا عبادى، إنِّى حرمتُ الظُّلم على نفسى، وجعلتُه بينكم مُحرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا)**.

فقوله سبحانه: **(يا عبادى)**: خطاب عام لجميع المكلَّفين مؤمنهم وكافرهم، بل للإنس والجن جميعًا .. فإن الخلق كلهم عباد الله بحكم ربوبيته لهم، ونفوذ حكمه فيهم، وتمامِ مُلكه وسلطانه عليهم، وقهره فوقهم.. وقوله: (**إنى حرَّمت الظلم على نفسى)**: لأن الظلم معناه مجاوزة الحد أو التصرف فى حق الغير بغير حق .. وكلاهما محال فى حقه تعالى .. لأنه إنما يتصور فى حق مَن حُدَّ له

---

(٦١٩) من حديث صحيح، رواه مسلم .

(٦٢٠) من حديث صحيح، متفق عليه .

(٦٢١) الحديث القدسى هو: ما كان لفظه من عند النبى ﷺ .. ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام بوحى جلى .. فهو مقطوع بنزول معناه من عند الله تبارك وتعالى لما ورد فيه من النص الشرعى على نسبته إلى الله والرسول ﷺ .. قال الله تعالى كذا .. فلذا سمى قدسيًا .. (والفرق) بينه وبين القرآن: أن القرآن يُتعبد بلفظه .. أما الحديث القدسى فإنه يتعبد بمعناه .. ولا تصح به الصلاة .. (والقرآن) هو ما كان لفظه من عند الله وكذلك معناه .. (نزل به الروح الأمين) فى اليقظة وليس فى الإلهام ولا فى المنام، وهو معجزة خالدة متواترة اللفظ فى كلماته وحروفه وأساليبه بعكس الحديث القدسى.

حدود فإن تعداها كان ظالمًا .. والرب جل شأنه لا حاكم فوقه ولا مانع له، ولا يُسئل عما يفعل .. لكن لما كان تحريم الشيء يقتضى التباعد عنه سُمِّيَ تنزهه عن الظلم تحريمًا لمشابهته له فى تحقق التباعد والامتناع.

وقوله:(**وجعلته بينكم مُحَرَّمًا فلا تَظَّالموا**) أى:حكمتُ بتحريمه فى معاملة بعضكم لبعض، فالمراد بالجَعْل: الحكم .. وقوله (تَظَّالموا) بتشديد الظاء .. كما يُروى، وأصله تتظالموا، فأُبدلت إحدى التاءين ظاء، وأُدغمت فى الظاء الأُخرى بعد تسكينها .. والمعنى: فلا يظلم بعضكم بعضًا، فإنه لابد من اقتصاصه سبحانه وتعالى للمظلوم من ظالمه .

(**يا عبادى، كلكم ضَالٌّ إلاَّ مَن هديتُه، فاستَهْدونى أهدكُم**): قال بعضهم: معناه أنَّ من شأنكُم وجِبلَّتكُم الضلالة، وذلك لما رُكِّب فى طباعكُم من الميل إلى الشهوات والركون إلى المحسوسات، والغفلة عن النظر فى المخلوقات .. فلو تُركتُم وما فى طباعكم من ذلك لضَلَلْتُم، ولكن الله بفضله ورحمته إذا أراد هداية عبدٍ يَسَّر له أسبابها فشرح صدره، وألهمه رشده، وخلَّصه من ظُلمات طبعه، وأزاح عنه الشُّبه والشكوك ووفَّقه للنظر فيما نصبه من الآيات فى الأنفس والآفاق . قال النووى: (وفى هذا دليل لمذهب أصحابنا وسائر أهل السنة أن المهتدى هو مَن هداه الله وبهُدى الله اهتدى، وأنه سبحانه إنما أراد هداية بعض عباده وهم المهتدون، ولم يُرِدْ هداية الآخرين ولو أرادها لاهتدوا) .

(**يا عبادى، كُلكم جائع إلا مَن أطعمتُه، فاستطعمونى أطعمكُم**): أى: أننا جميعًا فى أشد الحاجة إلى إطعام الله تعالى لنا .. وأننا دائمًا فى أشد الحاجة إلى رزق الله تبارك وتعالى الذى قال فى قرآنه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ (٦٢٢)، وقال ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾ (٦٢٣).

(**يا عبادى، كلكم عارٍ إلا من كَسَوْتُه فاستَكْسُونى أكْسكُم**): لما فرغ سبحانه وتعالى من الامتنان على عباده بالأمور الدينية فى الهداية شرع فى

---

(٦٢٢) الذاريات: ٥٨ .

(٦٢٣) هود: من الآية ٦ .

الامتنان بالأمور الدنيوية المتعلقة بالأبدان وأهمها الطعام والكُسوة، فأخبر أن كل أحد هو جائع لا قدرة له على تحصيل رزقه من الطعام حتى يطعمه الله ويسوق رزقه إليه، وأنه عار عن اللباس حتى يكسوه الله .

(قال) شيخ الإسلام ابن تيمية: (فيقتضى هذا أصلين عظيمين وجوب التوكُّل على الله فى الرزق المتضمن جلب المنفعة كالطعام ودفع المضرة، وأنه لا يقدر غير الله على الإطعام والكسوة قدرة مطلقة، وإنما القدرة التى تحصل لبعض العباد تكون على بعض أسباب ذلك، ولهذا قال: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٦٢٤] وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾[٦٢٥] فالمأمور به هو المقدور عليه) .

(فلابد) من سؤال الله تبارك وتعالى الطعام والكساء مع ضرورة الانتشار فى الأرض طلبًا للرزق أخذًا بالأسباب.. (فعن) عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لو أنَّكُم تَتَوكَّلُونَ على الله حَقَّ توكُّله لرزقكُم كما يرزُقُ الطيرَ تَغْدُو خِماصًا وتروحُ بِطانًا**) [رواه الترمذى وقال: حديث حسن] (معناه) تذهبُ أولَ النهار خِماصًا أى ضامرةَ البُطونِ منَ الجوعِ وتَرجع آخرَ النهارِ بِطانًا أى: مُمتَلئَةَ البُطون.

(**يا عبادى، إنكُم تُخطئونَ باللَّيل والنهارِ، وأنَا أغفرُ الذنوبَ جميعًا، فاستَغْفِرونى أَغْفِرْ لَكُم**) أى: ترتكبُون الخطايا والذنوبَ (**بالليل والنهار**) وقدَّم الليل على النهار لأن الليل ظلمة وهى الأصل، والنور طارئ عليها .. ولأن أكثر المعاصى والآثام إنما تعمل فى الليل، ولهذا أمرنا الله أن نستعيذ ﴿مِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾[٦٢٦]، وقوله: (فاستغفرونى أغفر لكم) أى: اطلبوا منى مغفرة ذنوبكم أغفرها لكم فلا أؤاخذكم بها.

(ولهذا) فإنه من الخير لنا نحن المؤمنين والمؤمنات بصفة خاصة أن نكثر من

---

(٦٢٤) البقرة: من الآية ٢٣٣ .

(٦٢٥) النساء: من الآية ٥ .

(٦٢٦) كما قال تعالى فى سورة الفلق الآية ٣ .

الاستغفار الذى معناه طلب المغفرة من الله تبارك وتعالى .. ولاسيَّما بسيِّد الاستغفار .. أى أعظم صيغ الاستغفار . (فعن) شَدَّاد بن أوْس ﷺ عن النبى ﷺ قال: **(سيدُ الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت رَبِّى، لا إله إلا أنتَ، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شَرِّ ما صنعتُ ، أَبُوءُ لَكَ بنعمتِكَ علىَّ ، وأبوءُ** (٦٢٧) **بذنبى ، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها فى النهار مُوقنًا بها فماتَ من يومه قبل أن يُمسىَ فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها فماتَ قبل أن يُصبح فهو من أهل الجنة).** [رواه البخارى]

(يا عبادى، إنكُم لَن تبلُغُوا ضُرِّى فتضُرُّونى، ولن تَبْلغوا نَفْعِى فَتَنْفَعُونِي): الضَّر بفتح الضاد وقد تُضَمُّ معناه الضَّرر الذى هو ضد النفع، وقال الأزهرى: كل ما كان سوء حال وفقر وشدة فى بدن فهو ضُرٌّ بالضم، وما كان ضد النفع فهو بفتحها، وقوله سبحانه:**(لن تبلغوا ضرى)** الخ . أى: لن تصلوا إلى ذلك ولا سبيل لكم إليه **(ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى)** أى: لو كانت قلوبكم جميعًا مساوية فى التقوى لأتقى قلب رجل منكم ما أحدث هذا زيادة فى مُلْكى وسلطانى.

(يا عبادى، لو أن أَوَّلَكُم وآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُم وجِنَّكُم كَانُوا على أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ منكم ما زادَ ذلك فِى مُلْكِي شَيْئًا): وهذا أيضًا بيان للمعنى المراد من قوله تعالى: **(لن تبلغوا نفعى فتنفعونى)** لأن الله غنى عن عباده .. وهم جميعًا فى حاجة إلى الله، وليس الله فى حاجة إليهم .. فهو القائل سبحانه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ (٦٢٨)، وهو القائل سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾(٦٢٩) وهو القائل: ﴿**إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾ (٦٣٠) .

---

(٦٢٧) أى: أعترف لك بذنبى .

(٦٢٨) الذاريات: ٥٦، ٥٧، ٥٨ .

(٦٢٩) فاطر: ١٥ .

(٦٣٠) الزمر: من الآية ٧ .

(يا عبادى، لو أن أولكُم وآخركم وإنسكُم وجنَّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من مُلكى شيئًا): وهذا أيضًا بيان للمعنى المراد من قوله تعالى: (لن تبلغوا ضُرِّى فتضرونى) أى: لو كانت قلوبكم فى الفجور مساوية لأفجر قلب رجل منكم ما أحدث ذلك نقصًا فى مُلْكى وسلطانى كذلك . (لأن) كل هؤلاء فى قبضة الله تبارك وتعالى .. وهو سبحانه قادر على محوهم من هذا الوجود.. ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[٦٣١]. ولكنه سبحانه وتعالى ﴿يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [٦٣٢] عسى أن يتوبوا إليه ويصطلحوا معه .. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٦٣٣].

(يا عبادى، لو أن أولَكُم وآخركم وإنْسَكُم وجنَّكُم قاموا فى صعيد واحد) أى: فى مكان واحد من الأرض (فسألُونى، فأعطيتُ كُلَّ إنسانٍ منهُم مسألته ما نقص ذلك ممَّا عندى إلا كَمَا ينقُصُ المخْيطُ إذا أُدخل البحر) أى : أن معناه أنه لا ينقص منه شيئًا، فإن الإبرة إذا غُمِسَتْ فى البحر ثم أُخرِجَتْ لا تكاد تحمل من مائه شيئًا، والمراد أن خزائنه سبحانه وتعالى لا تنفد ولا تنقص بكثرة العطاء .. كما فى الحديث: **(إن يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة سَحَّاء الليل والنهار)**، وفى هذا حَثُّ الخَلْق على سؤاله سبحانه وتعالى وحده، وإنزال حوائجهم به.. فهو القائل سبحانه: ﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [٦٣٤].

(يا عبادى إنما هى أعمالُكُم أُحصيها لكم) أى: أحفظها وأدخرها لكم **(ثم أُوفِّيكُم إيَّاها)** أى: أوفيكم جزاءها يوم القيامة **(فمن وجد خيرًا فليحمد الله عز وجل)**؛ لأنه سبحانه وتعالى هو الذى هداه ووفَّقه لعمل الصالحات وقبلها منه وأثابه عليها **(ومَن وجد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نَفْسَهُ)** [٦٣٥] وذلك لأنه هو

---

(٦٣١) فاطر: ١٧ .

(٦٣٢) ابراهيم: من الآية ٤٢ .

(٦٣٣) التوبة: من الآية ٩١ .

(٦٣٤) غافر: من الآية ٦٠ .

(٦٣٥) وإلى هنا ينتهى نص الحديث القدسى العظيم الذى رواه مسلم واللفظ له . . مع ملاحظة أن النص هو الذى بين القوسين . . بعكس الآيات والأحاديث المُستشهد بها فى الشرح.

الذى أسرف على نَفْسه بالغفلة واتباع الشهوات والركون إلى العاجلة، والتقصير فيما ينفعه ويُنَجِّيه من عذاب الله .

(ومع هذا) فإن الله تعالى قال فى قرآنه: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ (٦٣٦) .

(وعن) أنس ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (**قال الله تعالى: يا بن آدم، إنك ما دعَوتَنِى ورجَوْتَنِى غفرتُ لكَ على ما كانَ منك ولا أُبالى، يا بْنَ آدَم، لو بلَغَت ذنوبُكَ عَنَانَ السَّماء(٦٣٧) ثُمَّ استغفرتنى غَفَرتُ لَكَ، يا بْنَ آدم، إنك لو أتيتَنِى بقُرابِ الأرض (٦٣٨) خَطايَا ثُم لَقِيتَنِى لا تُشرِكُ بى شيئًا لأتيتُكَ بقُرابِهَا مَغْفِرَةً**). [رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح]

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن ينتفعا بهذا الحديث القدسى الصحيح، الذى قيل: إن أبا إدريس الخَوْلانى كان إذا حَدَّث بهذا الحديث يجثو على ركبتيه . (يعنى) برك تعظيمًا، وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: هو أشرف حديث لأهل الشام.. (وعليهما) أيضًا أن ينتفعا بالشرح الذى وقفا عليه حوله .. وهما يسألان الله تعالى أن يجعل كل هذا الخير .. حجة لنا لا علينا .. اللهم آمين،،

(٥١) يا رسول الله . . ممَّن أنا إنْ أدَّيْتُ جميع أركان الإسلام وكنتُ من الذين يُحسِنون الصيامَ والقيام؟

عن عمرو بن مُرَّة الجهنىِّ ﷺ قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيتَ إن شهدتُ أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصلَّيتُ الصلوات

---

(٦٣٦) الزمر: ٥٣ .

(٦٣٧) عنان السماء: هو بفتح العين المهملة، قيل: هو السحاب . وقيل: ما عَنَّ لك منها أى: ظهر إذا رفعت رأسك .

(٦٣٨) أى: بما يقارب ملء الأرض خطايا .

الخمسَ، وأديتُ الزكاةَ، وصمتُ رمضانَ، وقُمْته، فممَّن أنا؟ قال: **(من الصِّديقين والشهداء)**. [رواه البزار، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما، واللفظ لابن حبان]

(والشاهد) المراد من هذا الحديث، هو أن العبد الموفق .. هو الذي يكون بالإضافة إلى تنفيذه لأركان الإسلام.. مُحْسنًا للصيام والقيام فى شهر رمضان المبارك .. (فهو) بسبب هذا الإحسان ـ كما جاء فى إجابة النبى ﷺ ـ (من الصديقين والشهداء) .. وتوضيحًا لهذا، فإن الصِّدِّيقية مرتبة قبل مرتبة النبوة مباشرة .. وقد أشار الله تعالى إلى هذا مرتين فى سورة مريم، فقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا**﴾ (٦٣٩) وقال: ﴿ **وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا** ﴾ (٦٤٠) كما أشار الله تعالى إلى هذا أيضًا فى قوله: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**﴾ (٦٤١)، وقد وصف الله سبحانه وتعالى (مريم) عليها السلام .. بأنها صدِّيقة (٦٤٢).. وكان أبو بكر ﷺ (صدِّيق) هذه الأمة .. لأنه صدَّق الرسول ﷺ يوم أن كذَّبه الناس فى صبيحة الإسراء.

وأما الشهيد: فهو مَن قُتل مجاهدًا فى سبيل الله، وسُمِّى بذلك لشهادة الله وملائكته له بالجنة، وقيل: لأنه حى لم يمت، وقيل: لقيامه بشهادة الحق فى أمر الله حتى قُتل، وقيل: لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل فى سبيل الله .

فَحَسْب المشار إليه فى الحديث الشريف ـ الذى ندور حوله ـ أن يفوز بكل هذا الخير العظيم.. هذا بالإضافة إلى المشار إليه فى هذا الحديث الشريف الصحيح، الذى ورد: عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: **(من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا: غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومَن صام رمضان إيمانًا**

---

(٦٣٩) مريم: ٤١ .

(٦٤٠) مريم: ٥٦ .

(٦٤١) النساء: من الآية ٦٩ .

(٦٤٢) كما أشار الله تعالى إلى هذا فى سورة المائدة الآية ٧٥ حيث يقول عن سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿ .. **وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ** .. ﴾

واحتسابًا: غُفِر له ما تقدم من ذنبه).

[رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى، وابن ماجه مختصرًا]

ومعنى قوله ﷺ: (إيمانًا واحتسابًا) أى: طلبًا لوجه الله وثوابه .. بعد الإيمان والتصديق بفضل هذا الشهر الكريم .. وفرضية الصيام فيه .. وبشرف ليلة القدر العظيم التى أنزل الله تعالى القرآن فيها: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (٦٤٣).. والاحتساب فى الأعمال الصالحة وعند المكروهات .. هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال البر، والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلبًا للثواب المرجو منها .

أسأل الله سبحانه وتعالى .. أن ينفعنا بهذا التذكير .. اللهم آمين،،

(٥٢) اعهد إلىَّ .. يا رسول الله

عن أبى جُرَىٍّ جابر بن سُلَيْم ﷺ، قال: رأيتُ رجُلاً يَصْدُرُ الناسُ عن رأيه(٦٤٤)، لا يقول شيئًا إلا صدروا عنه(٦٤٥)، قلت: من هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ . قلتُ: عليك السلام يا رسول الله. قال: (لا تقل: عليك السلام، عليك السلام تحية الميِّت (٦٤٦)، قل: السلام عليك). قلت: أنت رسول الله؟ قال: (أنا رسول الله الذى (٦٤٧) إذا أصابك ضُرٌّ (٦٤٨)، فدعوتَه كشفه عنك، وإن أصابك عامُ سَنَة (٦٤٩) فدعوتَه أنبتها لكَ، وإذا كنتَ بأرض قَفْرٍ (٦٥٠)، أو فَلاَة (٦٥١)، فضَلَّتْ راحِلَتُكَ (٦٥٢)، فدعوتَه رَدَّها عليك (٦٥٣)) . قال قلتُ:

---

(٦٤٣) البقرة: من الآية ١٨٥ .

(٦٤٤) أى: يرجعون إليه فى كل ما يهمهم، ويأخذون رأيه حجة ومنارًا لهم .

(٦٤٥) أى: مالوا إليه وقبلوه ونفذوه .

(٦٤٦) يعنى: أنها تقال فى رثاء الميت.

(٦٤٧) نعت للفظ الجلالة المضاف إليه .

(٦٤٨) بضم الضاد: المرض .

(٦٤٩) أى: جدب وقحط.

(٦٥٠) أى: لا نبات فيها .

(٦٥١) الظاهر أن أو للشك لأن القفر والفلاة بمعنى واحد .

(٦٥٢) أى: الناقة التى شردت وغابت عن عينيك.

(٦٥٣) أى: مكَّنك من العثور عليها .

اعْهَدْ إلىَّ [٦٥٤]. قال: **(لا تَسُبَّنَّ أحدًا)**[٦٥٥]، فَما سببتُ بعده حُرًا، ولا عبدًا، ولا بعيرًا، ولا شاة، قال: **(ولا تَحْقِرَنَّ شيئًا من المعروف** [٦٥٦]**، وأنْ تُكَلِّمَ أخاكَ، وأنتَ مُنبسطٌ إليه وجهُكَ**[٦٥٧]**، إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك** [٦٥٨] **إلى نصف السَّاقِ، فإن أبيْت**[٦٥٩]**، فإلى الكعبين، وإياك وإسْبالَ الإزار**[٦٦٠]**، فإنها من المخيلة، وإن الله لا يُحبُّ المخيلة** [٦٦١]**،وإن امرؤٌ شَتَمكَ وعَيَّركَ بما يعلم فيك فلا تُعَيِّرهُ بما تعلَمُ فيه، فإنما وبال ذلك** [٦٦٢] **عليه)**. [رواه أبو داود، واللفظ له، والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح، وابن حبان فى صحيحه، والنسائى مختصرًا]

وفى رواية لابن حبان نحوه، وقال فيه: (وإن امرؤٌ عَيَّرك بشىء يعلمه فيك، فلا تُعَيِّره بشىء تعلمه فيه، وَدَعْه يكونُ وباله عليه، وأجْرُهُ لك، ولا تَسُبَّنَّ شيئًا) قال: فما سَبَبْتُ بعد ذلك دابةً ولا إنسانًا .

(فهذا) حديث عظيم قد اشتمل على كثير من الوصايا العظيمة، والإرشادات الحكيمة، التى زَوَّدَ بها الحبيبُ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه راوى الحديث المبارك عندما قال له: يا رسول الله اعهد إلىَّ؟، أى: أوصنى بوصايا تنفعنى وألتزم بها طوال حياتى حتى أكون بها أو بسببها من أهل الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة .. (فزوَّده) النبى صلوات الله وسلامه عليه بتلك الوصايا المباركة .. التى رأيتُ من الخير أن أدور حولها .. حتى ننتفع بها نحن كذلك فى دنيانا وأُخْرانا إن شاء الله .. وبتوفيق منه سبحانه وتعالى.

---

(٦٥٤) أى: أوصنى .

(٦٥٥) أى: لا تتعد على أحد بسبٍّ ولا شتم .

(٦٥٦) بذلته لغيرك أو بذله غيرك إليك .

(٦٥٧) أى: كلمه حال كونك منبسط الوجه والأسارير .

(٦٥٨) أى: قصره .

(٦٥٩) أى: كرهت تقصيره إلى هذا الحد .

(٦٦٠) أى: إرخاءه .. وإطالته حتى يجر على الأرض .

(٦٦١) أى: الكبر .

(٦٦٢) أى: إثمه وسوء عاقبته .

(وإذا) كان لىَ الآن بعد هذا التقديم .. أن أدور حول هذا الكنز المحمدى الثمين .. فإننى أرى أن أبدأ ببعض الإشارات التى جاءت فى أول الحديث، وهى قوله صلوات الله وسلامه عليه:

(أنا رسول الله الذى إذا أصابك ضُرٌّ، فدعوتَه كشفه عنك، وإن أصابك عام سَنَة فدعوتَه أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قَفْر، أو فَلاة، فَضَلَّتْ راحلتُكَ، فدعوتَه رَدَّهَا عليك): نعم، إنه الله القادر، إنه الله المنعم المتفضل علينا بنعمه العظيمة التى لا تُحصى ولا تُعد.. إنه الله القادر الذى إذا أراد شيئًا قال له: (كن فيكون).

(ولهذا) كان لابد أن نعتقد هذا، وأن نكون دائمًا وأبدًا أهلاً لفضل الله تبارك وتعالى الذى: (يُجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء)، والذى يقول فى قرآنه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ولكن بشرطين ذكرهما الله بعد ذلك فقال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٦٦٣].

(ولا بد) كذلك أن نكون من الآكلين للحلال:

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله طَيِّبٌ لا يقبل إلاَّ طَيِّبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾**[٦٦٤]، وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾**[٦٦٥]، **ثم ذكر الرجلَ يُطيل السفَرَ أَشْعثَ أغبر يمُدُّ يَدَيْه إلى السماء: يا ربُّ يا ربُّ ومَطْعَمهُ حرام، ومَشْربُه حرام، ومَلبسُه حرام، وغُذِّىَ بالحرام: فأنَّى يُستَجاب له).** [رواه مسلم]

فلا بد إذن أن يكون المأكل والمشرب والملبس من حلال إذا أردنا أن يستجيب الله تبارك وتعالى، منَّا دُعاءَنا ... ولله دَرُّ مَنْ قال:

الطاعة مخزونة فى خزائن الله تعالى، ومفتاحها الدعاء، وأسنانها لقمة الحلال.

---

(٦٦٣) البقرة: ١٨٦.

(٦٦٤) المؤمنون من الآية ٥١.

(٦٦٥) البقرة: من الآية ١٧٢.

(والآن)، نبدأ فى توضيح ما عهد الرسول ﷺ به إلى الصحابى الراوى، وهو:

● **لا تَسُبَّنَّ أحدًا:** (وذلك) : لأن سُبَاب المسلم فسوق، أى: خروج عن طاعة الله عز وجل .

(فعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**سِبابُ المسلمِ فُسُوق، وقتالُه كُفْر**). [رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه]

(وإذا) كان الراوى عليه رضوان الله تعالى قد قال بعد ذلك: (فما سببتُ بعده حُرًا، ولا عبدًا، ولا بعيرًا، ولا شاة)، (فإن) هذا معناه، أن الرجل قد أراد أن يكون هذا النصح ، حجة له لا عليه .. ولهذا نفذه طوال حياته .. (وهذا) معناه كذلك: أنه ليس مشروعاً .. أن تسبَّ أحدًا .. حتى ولو كان بعيرًا أو شاة.

(فعن) عمران بن حُصَين رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة، فَضَجِرَتْ[٦٦٦] فلعنَتْها[٦٦٧] فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: (**خذوا ما عليها، ودَعُوها** [٦٦٨]، **فإنها ملعونة** [٦٦٩])، قال عمران: فكأنِّى أراها الآن تمشى فى الناس ما يعرض لها أحد [٦٧٠] .

[رواه مسلم وغيره]

قال النووى: (إنما قال هذا زجرًا لها ولغيرها، وكان قد سبق نهيها ونهى غيرها عن اللعن، فعوقبت بإرسال الناقة، والمراد النهى عن مصاحبته لتلك الناقة فى الطريق، وأما بيعها وذبحها وركوبها فى غير مصاحبته ﷺ، وغير ذلك من التصرفات التى كانت جائزة قبل هذا، فهى باقية على الجواز، لأن الشرع إنما ورد بالنهى عن المصاحبة فبقى الباقى كما كان) .

---

(٦٦٦) أى: الناقة، أى: أنها كَلَّت وتعبت وأبطأت فى السير .

(٦٦٧) أى: دعت عليها باللعنة .

(٦٦٨) أى: اتركوها بلا ركوب على ظهرها .

(٦٦٩) وفى رواية: (لا تصحبنا ناقة عليها لعنة).

(٦٧٠) أى: يتعرض لها بركوب ولا غيره .

وعن زيد بن خالد الجهنى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تَسُبُّوا الديكَ فإنه يُوقظ للصلاة (٦٧١))** [رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه] إلا أنه قال: (فإنه يدعو للصلاة) رواه النسائى مسندًا ومرسلاً.

● **ولا تَحْقِرنَّ شيئًا من المعروف، وأن تكلم أخاك وأنت مُنْبَسِطُ الوجه، إن ذلك من المعروف:**

(وقد) ورد هذا فى عدة أحاديث، منها، ما ورد:

عن أبى ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تحقِرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أنْ تلقى أخاك بوجه طليق).** [رواه مسلم]

(فهذا) الحديث العظيم يدل على اهتمام الإسلام بنشر روح المودة والتعاطف والتباذل بين الإخوان، وأن ذلك لا يُعَدُّ قليلُهُ قَليلاً، فإنه عند الله بمكان عظيم (ومعنى): (ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق): أى لا تستقلنَّ أقل معروف تبذله لأحد من إخوانك، ولو كان هذا المعروف لقاءك إياه بوجه منبسط متهلِّل، يقال: طلق الوجه وطليقه ومنطلقه ومتطلقه.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(كُلُّ معروف صدقة، وإنَّ مِنَ المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلْق (٦٧٢)، وأن تُفرغ من دلوك فى إناء أخيك).** [رواه أحمد والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح، وصدره فى الصحيحين من حديث حذيفة وجابر]

(وإذا) كان هناك ضيف... يحتقر ما يُقدَّم إليه من طعام، فإننى أذكره . (على سبيل الترهيب) بالحديث الآتى:

(عن) عبدالله بن عَميرة، قال: دخل على جابر ﷺ، نفر من أصحاب النبى ﷺ: فقدَّم إليهم خُبزًا وخَلاً (٦٧٣)، فقال: كُلوا فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(٦٧١) يعنى: أنه بصياحه ينبه النائمين ويوقظهم لصلاة الفجر.

(٦٧٢) أى: ومن جملة المعروف أن تبش فى وجه أخيك إذا لقيته .

(٦٧٣) لأن ذلك هو الذى كان موجوداً عنده فى ذلك الوقت .

(نِعْم الإدَامُ الخلُّ (٦٧٤). إنه هلاكٌ بالرجل (٦٧٥) أن يدخل إليه النفر من إخوانه (٦٧٦)، فيحتقِرَ ما فى بيته (٦٧٧) أن يقدمه إليهم، وهلاكٌ بالقوم أن يحتقِرُوا ما قُدِّم إليهم) رواه أحمد والطبرانى وأبو يعلى إلا أنه قال: (وكفى بالمرء شَرّاً أن يحتقر ما قُرِّبَ إليه) وبعض أسانيدهم حسن، (ونعم الإدام الخَلُّ) فى الصحيح، ولعل قوله: (إنه هلاكٌ بالرجل ..) إلى آخره من كلام جابر مُدرج غير مرفوع.

وأذكره أيضاً بقول الشاعر:

لا تَكُنْ ضيفًا ثقيلاً	يَكْرهه النـاسُ لِقَاءَك
فعساه مُستَمِدًا	لك من قوم عشاءك
وعساه مستعيرًا	من جار غطاءك
إن فى الفندق مأواك	وفى السوق غذاءك
رُبَّ من يلقاك هَشّاً	كسر الزِبرَ وراءك

● **وارفع إزارَكَ إلى نصف الساق، فإنْ أبيتَ، فإلى الكعبين، وإياكَ وإسْبالَ الإزار، فإنهَا من المخيلة، وإن الله لا يُحب المخيلة،** (أى الكبر): (وقد) ورد فى هذا عدة أحاديث منها، ما ورد:

(عن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ، قال: **(ما أسفل من الكعبين من الإزار ففى النار (٦٧٨))** [رواه البخارى، والنسائى] (وفى)رواية النسائى: **(إزرة(٦٧٩)**

---

(٦٧٤) وقد روى لهم جابر هذا الحديث لكيلا يزدروا ما قُدِّم إليهم أو يحتقروه.

(٦٧٥) أى: ارتكاب منه لأمر شنيع وجُرْم فظيع .

(٦٧٦) أى: يجيئوا إليه زائرين .

(٦٧٧) فإن احتقاره لذلك يمنعه من أداء واجب الضيافة وفيه ازدراء للنعمة.

(٦٧٨) يعنى: ما غطاه الإزار بعد الكعبين من قدم صاحبه فهو فى النار عقوبة له على إسبال الإزار، وما يجره من الزهو والخيلاء .

(٦٧٩) هو بكسر الهمزة الحالة وهيئة الائتزار .

المؤمن إلى عَضَلة ساقه [٦٨٠]، ثم إلى نصف ساقه، ثم إلى كعبه، وما تحت الكعبين من الإزار ففي النار) .

وعن أنس ﷺ قال: حميد [٦٨١] كأنه يعنى النبى ﷺ قال: **(الإزار إلى نصف الساق، فشقَّ عليهم، فقال: أو إلى الكعبين [٦٨٢]، لا خير فيما فى أسفل من ذلك)** .

وعن أبى ذر الغفارى ﷺ عن النبى ﷺ قال: **(ثلاثة لا يُكَلِّمهُم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزَكِّيهم، ولهم عذاب أليم، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات . قال أبو ذر: خابوا وخسروا. من هم يا رسول الله؟ قال: المُسْبِلُ، والمنَّان، والمنفق سِلعته بالحلف الكاذب)** وفى رواية: (المسبل إزاره) [٦٨٣] . [رواه مسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه]

● **وإن امرؤٌ شَتَمكَ وعَيَّركَ بما يَعْلَمُ فيكَ، فلا تُعَيِّرْهُ بما تعلمُ فيه، فإنما وبال ذلك عليه**: (وإن) التعليق على هذا، يتلخص فى أنه ينبغى على المؤمن الصادق أن لا يقابل الإساءة بالإساءة .. وإنما يقابلها بالإحسان الذى هو حُسن الخلق الذى هو خُلق رسول الله ﷺ:

(فعن) عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا مُتفحشًا، وكان يقول: **(إن من خِيَارِكم أحسنكم أخلاقًا)**.

[رواه البخارى ومسلم والترمذى]

وعن أبى الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُقٍ حَسَنٍ، وإن الله يُبغِضُ الفاحش البذىء [٦٨٤] [٦٨٥])** [رواه الترمذى، وابن حبان فى صحيحه، وقال الترمذى: حديث

---

(٦٨٠) العضلة: كل عصبة معها لحم مجتمع .

(٦٨١) هو فعيل بمعنى مفعول، أى محمود .

(٦٨٢) يعنى: لا حرج على من أطاله إلى الكعبين .

(٦٨٣) المسبل هو الذى يطول ثوبه، ويرسله إلى الأرض كأنه يفعل ذلك تجبرًا واختيالاً .

(٦٨٤) الفاحش الذى يقول الفُحش، والمتفحش الذى يستعمل الفحش ليُضحك الناس .

(٦٨٥) البذىء، هو المتكلم بالفحش، وردىء الكلام.

حسن صحيح]، وزاد فى رواية له:(**وإن صاحب حسن الخُلُق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**).

[ورواه بهذه الزيادَة البزار بإسناد جيد لم يذكر فيه: (الفاحش البذىء)]

(هذا) وإذا كان الذى تتعامل معه سىء الخلق لدرجة أنه يقابل إحسانك إليه بالإساءة إليك .. (فإياك) أن تعامله بالمثل حتى لا يضيع ثوابك .. (ودَعْه) لله سبحانه وتعالى، يتصرف معه كيف يشاء .. وإن دعوتَ الله تعالى أن يهديه كما هداك .. فإنك إن شاء الله ستُثاب على هذا .. لأنك ستكون بهذا من (العافين عن الناس والله يحب المحسنين) .

فعلى الأخ المسلم، والأخت المسلمة أن يذكرا كل هذا، وهما يعقدان العزم على تنفيذه، والعمل بما فيه من الإشارات، والتنبيهات والتحذيرات.. كما فعل الصحابى الجليل راوى هذا الحديث العظيم .. حتى يكون هذا الحديث بكل ما فيه من الخير الكثير حُجة لنا لا علينا .. وعليهما كذلك أن يَعْملاَ على التذكير بهذا الخير .. حتى يفوزا بما جاء فى هذا الحديث:

(إن الله وملائكته، وأهل سمواته وأرضه، حتى النملة فى جحرها، وحتى الحوت فى البحر ليُصلُّون (٦٨٦) على مُعلِّمى الناسِ الخيرَ).

والله ولى التوفيق،،

(٥٣) هل أكْلُ الثوم والبصل والكراث .. حرام يا رسول الله ؟

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه، قال: ذُكرَ عند رسول الله ﷺ الثومُ والبصلُ، قيل: يا رسول الله، وأشد ذلك كله الثوم، أفتحرمه؟ فقال النبى ﷺ: (**كلوه، ومَنْ أكله منكم فلا يقرب هذا المسجدَ حتى يذهبَ ريحُه منه**). [أخرجه أبو داود]

---

(٦٨٦) الصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومن المؤمنين دعاء .

(وإذا) كان لنا أن ندور حول هذا الحديث، فإننى أحب أن أُذكِّر الأخ المسلم بأنه من الأحاديث الهامة التى ينبغى علينا أن ندرسها ونعرف أهم أحكامها (وقد) جاء فى (الدين الخالص) [٦٨٧]، فى باب:

ما تُصان عنه المساجد

حيث يقول: ويلزم صيانة المسجد عن الروائح الكريهة فيحرم على مَن تناول ذا رائحة كريهة كثوم وبصل دخول المسجد قبل إزالتها:

(لحديث) جابر ﷺ أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **(مَنْ أكل الثوم والبصل والكراث، فلا يقربَنَّ مسجدنا، فإن الملائكة تتأذَّى مما يتأذَّى منه بنو آدم)** [أخرجه الشيخان]، وكذا أحمد بلفظ: **(مَنْ أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا، أو قال: فليعتزل مسجدنا وليقعد فى بيته)**.

[وأخرجه النسائى والترمذى]

(والمراد): تناول ما ذُكر وهو نىء لأنه ذو الرائحة الخبيثة المؤذية، بخلاف ما إذا كان مطبوخًا فلا يشمله النهى: لذهاب تلك الرائحة منه (ولقول) على ﷺ: نُهى عن أكل الثوم إلا مطبوخًا (ولحديث) معاوية بن قرة عن أبيه أن النبى ﷺ نهى عن هاتين الشجرتين [٦٨٨]، وقال: **(من أكلهما فلا يقربنَّ مسجدنا . وقال: إن كنتم لابد آكليهما فأنضِجُوهما طبخًا)**. [أخرجهما أبو داود]

(وقد) خطب عمر بن الخطاب ﷺ يوم جمعة، **فقال** فى خطبته: ثم إنكم أيها الناس تأكلون من شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين: البصل والثوم، لقد رأيتُ رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل فى المسجد أمَر به فأُخْرِجَ إلى البقيع، فَمَنْ أكلهما فليُمِتْهُما طبخًا [٦٨٩]. [أخرجه أحمد ومسلم والنسائى]

(هذا) والنهى عام فى كل المساجد والمجامع (والإضافة) فى قوله ﷺ: (فلا

---

(٦٨٧) ج٣ ص ٣٠٧ وما بعدها . . . الخ.

(٦٨٨) يعنى: الثوم والبصل .

(٦٨٩) أى: من أراد أكلهما فليُذهب رائحتهما بالطبخ، والمراد بإماتة الشىء: إذهاب قوته وحِدَّته .

يقربنَّ مسجدنا): (للاستغراق) أى: فلا يقربن مساجد المسلمين (ويؤيده): حديث ابن عمر أن النبى ﷺ، قال: **(مَن أكل من هذه الشجرة فلا يأتينَّ المساجد).** [أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود]

(وهذا) يدفع قول مَن خصَّ النهى بمسجد النبى ﷺ كما حكاه ابن بطال عن بعض أهل العلم . وضعَّفه (وقال) ابن جريج: قلت لعطاء: هل النهى للمسجد الحرام خاصة أو فى المساجد ؟ قال: لا، بل فى المساجد . [أخرجه عبد الرزاق]

(وقال النووى)، بعد ذِكْر حديث ابن عمر: هذا تصريح بنهى من أكل الثوم ونحوه عن دخول المسجد . وهذا مذهب العلماء كافة إلا ما حكاه القاضى عياض عن بعض العلماء: أن النهى خاص بمسجد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لقوله فى رواية: **(فلا يقربَنَّ مسجدنا)** وحجة الجمهور: **(فلا يقربن المساجد).**

(هذا) ويُلحق بالثوم والبصل والكراث كل ما له رائحة كريهة كالفجل إذا كان آكله يَتَجَشَّأ، ومن به بَخَر [٦٩٠] أو جرح له رائحة. ويلحق بالمساجد مجامع الصلاة وغيرها كَمُصلَّى العيد، والجنائز، ومجامع العلم والذكر والولائم، ولا يلحق بها الأسواق ونحوها . (وفى الحديث) دليل على منع مَن أكل الثوم من دخول المسجد وإن كان خاليًا، لأنه محل الملائكة، ولعموم الأحاديث ا هـ كلام النووى مُلخصًا.

(وقال) البدر العينى: ونص على الفجل فى المعجم الصغير للطبرانى وذكره مع الثوم والكراث ا هـ .

(ومما تقدم) تعلم أن تناول البصل والثوم والفجل والكراث ونحوها من كل ما له رائحة كريهة حرام فى المسجد على من أراد دخوله، وفى المجتمعات قبل أن تذهب رائحته، وإلاَّ فأصل أكله جائز مع الكراهة أو خلاف الأَوْلَى (لحديث) جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : **(مَن أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا، أو فليعتزل مسجدنا، وليقعد فى بيته، وأنه أُتِى بقِدْر [٦٩١] فيه خَضِرات**

---

(٦٩٠) البخر بفتحتين: الرائحة الكريهة تخرج من الفم.

(٦٩١) القِدر، بكسر فسكون: إناء يطبخ فيه .

من البقول [٦٩٢] فوجد لها ريحًا، فسأل فأُخبر بما فيها من البقول، فقال (قرِّبوها) إلى بعض أصحابه [٦٩٣] كان معه . فلما رآه كره أكلها. قال: (كُل فإنى أناجى من لا تُناجى [٦٩٤]). [أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود]

(ولحديث) أبى أيوب أن النبى ﷺ أُرسل إليه بطعام من خَضِرات فيه بصل أو كراث، فلم ير فيه أثر رسول الله ﷺ فأبى أن يأكله، فقال له: ما منعك؟ قال: لم أر أثر يدك. قال: **(أستحى من ملائكة الله، وليس بمحرَّم).**

[أخرجه ابن حبان وابن خزيمة]

(ولقول) أبى سعيد الخدرى: لم نَعُد أن فُتِحَتْ خيبر فوقعنا أصحاب رسول الله ﷺ فى تلك البقلة الثوم، والناس جياع فأكلنا منها أكلاً شديدًا، ثم رحنا إلى المسجد، فوجد رسول الله ﷺ الريح، فقال: **(من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئًا فلا يَقربَنا فى المسجد)** فقال الناس: حرمت حرمت، فبلغ ذلك النبى ﷺ، فقال: **(أيها الناسُ، إنه ليس لى تحريمُ ما أحلَّ اللهُ لى، ولكنها شجرةٌ أكره ريحها).** [أخرجه مسلم]

(ولحديث) أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ مرَّ على زرَّاعة بصل هو وأصحابه، فنزل ناس منهم فأكلوا منه، ولم يأكل آخرون، فَرُحْنا إليه فدعا الذين لم يأكلوا البصل، وأخَّر الآخرين حتى ذهب ريحها . [أخرجه مسلم]

ثم بعد ذلك، يقول فى (الدين الخالص) كلامًا هامًا.. لابد أن نقف عنده وقفة إيجابية، أرجو أن ننتفع بها وبه، وهو:

(ومثل) الثوم والبصل فى خبث الرائحة (الدخان)، بل هو أخبث ويضر فلا يجوز تعاطيه... (ولهذا)، فهو حرام.. من أربعة أوجه[٦٩٥]: **(الأول)**: كونه

---

(٦٩٢) خضرات بفتح الخاء وكسر الضاد . . (والبقول) جمع بقل، وهو نبت لا ساق له كالفجل والكراث.

(٦٩٣) مروى بالمعنى، فإن الرسول ﷺ إنما قال: قرِّبوها إلى فلان مثلاً.

(٦٩٤) يعنى: الملائكة.

(٦٩٥) انظر هامش ص ٣١٠ وما بعدها (الدين الخالص) ج٣ .

مضرراً بإخبار الأطباء المُعْتبرين، وكل ما كان كذلك يحرم استعماله اتفاقًا.

(الثانى) كونه من المخدِّرات المتفق عليها عندهم، المنهى عن استعمالها شرعًا (لقول) أم سلمة: نهى النبى ﷺ **(عن كل مسكر ومُفتِّر)** [أخرجه أحمد] .. (وهو) مُفتِّر باتفاق الأطباء، وكلامُهم حُجة فى هذا ونحوه .

(الثالث): كَوْن رائحته كريهة تؤذى من لا يستعمله ولاسيَّما فى مجامع الصلاة، ونحوها، بل وتؤذى الملائكة (فعن جابر) أن النبى ﷺ قال: **(مَنْ أكل الثومَ والبصلَ والكراثَ، فلا يقربنَّ مسجدنا، فإن الملائكةَ تتأذَّى مما يتأذَّى منه بنو آدم)**. [أخرجه الشيخان]

(ومعلوم) أن رائحة الدخان ليست أقل خبثاً من رائحة الثوم والبصل (وعن أنس) أن النبى ﷺ قال: **(مَن آذى مسلمًا فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله تعالى)**. [أخرجه الطبرانى فى الأوسط بسند حسن]

(الرابع) كونه سَرفًا، إذ لا نفع فيه بل ضرره مُحقَّق. (قال) فى الدر المختار: والتتن ـ بضمتين ـ: الدخان الذى حدث بدمشق سنة خمس عشرة بعد الألف، يدَّعى شاربه أنه لا يُسكر، وإن سلم فإنه مُفتِّر وهو حرام (لحديث) أحمد عن أم سلمة قال: **(نهى ﷺ عن كل مسكر ومُفتِّر)**، وليس من الكبائر تناوله المرة والمرتين. ومع نهى ولى الأمر عنه حرم قطعًا . نعم الإصرار عليه كبيرة كسائر الصغائر ا هـ بتصرف. (ولا فرق) فى حرمة استعماله بين مضغه، واستنشاقه، وتدخينه. ومضغه أقبحها وأشدها ضررًا، ثم تدخينه، ثم استنشاقه .

(هذا)، وإذا كان الله تبارك وتعالى يقول فى قرآنه: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ..**﴾[٦٩٦] (فإنه) قد ثبت بإجماع العلماء والأطباء والعقلاء: بأن شُرْب الدخان فيه تهلكة، حذر منها حتى صانعه .. كما نلاحظ هذا على علبة هذا الملعون .. الذى تحقق الضرر به صحِّيًا، واقتصاديًا، بل واجتماعيًا.

والدليل على ضرره الصحى: هلاك الجسم .. بتلك الصورة التى لا تدع

---

(٦٩٦) البقرة: من الآية ١٩٥ .

مجالاً للشك والمناقشة .. بل .. وقد قال الأطباء المتخصصون بأنه يتسبَّبُ والعياذ بالله فى مرض السرطان .. وقال أحدهم: إن السيجارة الواحدة فيها (نيكوتين) لو وُضِع فى حقنة وأعطيت لجمل لقتلته.. وقال: إن شرب الدخان يضر الجنين فى بطن أمِّه.

والدليل على ضرره الاقتصادى، هو الخراب.. الذى يحدث فى كل لحظة ـ على المستوى العام والخاص ـ بسبب شرب الدخان .. فشارب الدخان يشترى بأكثر دخله من مرتبه أو تجارته دخانًا .. وآلاف العمال الذين يعملون فى مصانع هذا الملعون .. لا يصنعون غير الخراب والضياع لكل من يتعامل معهم (وكان) من الممكن لو كانت هناك عقول مستنيرة أن يشتغلوا فيما هو خير .. ولاسيَّما إذا كان غذاءً وبناءً.

والدليل على ضرره الاجتماعى .. هو أن فيه ضياعًا لحقوق من يعول من زوجة، وأولاد، وكل قريب يجب عليه نفقته.. (فهو) يسرق قوت هؤلاء .. لكى يشرب به دخانًا .. فى الوقت الذى نرى فيه أفراد أسرته فى حالة صحية ومظهرية يُرثى لها .. وقد يصل الأمر بهم إلى حد التسول والعياذ بالله.. (وقد) روى الإمام أحمد أن الرسول ﷺ قال: **(كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع من يعول)**. وروى الإمام أحمد أيضًا أن الرسول ﷺ قال: **(لا ضرر ولا ضرار)** (ولاسيما) إذا كان هذا الضرر سينسحب علينا نحن كذلك ـ نحن الأصحاء الذين عافانا الله تعالى من شرب الدخان.

(إن) شارب الدخان هذا ـ هذا الذى نسأل الله تعالى أن يعافيه كما عافانا ـ إنه يجلس على مقربة منا .. دون حياء أو استحياء ـ لكى يلوث الجو الذى حولنا بهذا التدخين المتفق على أنه من (الخبائث) وليس من (الطيبات) .. وإذا ما أراد أحدنا أن يطالبه بأن ينتهى عن شربه .. أو على الأقل يبتعد عنا .. فإنه قد يتعرض لسيل من الشتائم التى تؤكد أن هذا (المجرم) فى حق نفسه وحق كل من حوله .. لم يعد صاحب عقل سليم .. وقديمًا قالوا: (العقل السليم فى الجسم السليم) وكيف يكون الجسم سليمًا وهناك هدم مستمر فى كيانه .. ولهذا فإن

أكثر هؤلاء ينتهى الأمر بهم، إما إلى المستشفى أو إلى القبر .. وربما إلى مستشفى الأمراض العقلية .. وإن شئتَ فقل: إلى السجن .. لأنه قد يسرق لكى يشترى دُخانًا .. أو حشيشًا .. أو ما شابه هذا من الممنوعات.

فعلى الأخ المسلم .. المبتلى بداء التدخين أن يثوب إلى رشده .. فيقلع عن هذه العادة الخبيثة قبل أن ينتهى الأمر به وبكل أفراد أسرته .. إلى الهلاك أو إلى الضياع والعياذ بالله.

(وعليه) أن يتقى الله فى صحته وصحة أهله .. ويدَّخر هذا المال الذى يحرقه .. لصالح نفسه وصالح أهله.. وصالح من تجب عليه نفقتهم .. بل ولصالح وطنه .. إذا كان مستَغنيًا عنه

(وعلى) الأخت الزوجة لهذا المريض المُبتلى.. أن تكون طبيبة له، بالحسنى، وبتذكيره بأنه لابد وأن يحافظ على صحته، وصحة أولاده .. وذلك بأن يشترى لهم بثمن هذا الدخان.. ما هم فى حاجة إليه من الطعام والكساء .. الخ . عسى أن يستجيب إن شاء الله ببركة هذا التذكير الذى ينبغى أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة.

(وعليها) أيضًا إذا كانت (قد تفرنجت) واستطاع الشيطان أيضًا أن يضحك عليها .. حتى أصبحت هى الأخرى ـ والعياذ بالله ـ من المدخنين أو المدخنات: أن تثوب أيضًا إلى رشدها، فتقلع عن هذا التدخين الذى نسأل الله تعالى أن يعافينا جميعًا منه .. لصالح أنفسنا، ولصالح أهلينا.. بل ولصالح أمتنا.. (كما) أسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المنفذين لما أوصانا به النبى ﷺ فى نص (الفتوى) التى ندور حولها، وهى ألا نأكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا .. عندما نريد أن نذهب إلى المساجد أو المجامع الدينية ونحوها .. حتى لا نكون من المؤذين لغيرنا بسبب تلك الرائحة الكريهة التى ستنبعث من أفواهنا .. اللهم إذا أمتْنا الثوم والبصل .. بالطبخ ..

والله ولى التوفيق،،

(٥٤) فَمَنِ الذى يُطيقُ ذلك يا رسول الله؟

عن بُرَيدَةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(فى الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل (٦٩٧) عليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة، (٦٩٨) قالوا: فمن الذى يُطيقُ ذلك يا رسول الله(٦٩٩)؟ قال: النُّخامة فى المسجد يدفنها (٧٠٠)، أو الشىء يُنحِّيه عن الطريق(٧٠١)، فإن لم يقدر فركعتا الضُّحى تُجزئ(٧٠٢)عنه)** [رواه أحمد واللفظ له وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما]

وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(يُصبِحُ على كل سُلاَمَى (٧٠٣) من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف ونهى عن المنكر صدقة، ويُجزئ (٧٠٤) من ذلك ركعتان يَركعُهُما من الضُّحى)**

[رواه أحمد ومسلم وأبو داود]

قال الشوكانى: (والحديثان يدلان على عظم فضل الضُّحى وكِبَر موقعها، وتأكُّد مشروعيتها، وأن ركعتيها تَجزيان عن ثلاثمائة وستين صدقة، وما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة، ويَدُلاَّن أيضًا على مشروعية الاستكثار من التسْبيح والتحميد والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، ودفن النُّخامة، وتَنْحية ما يؤذى المارَّ عن الطريق، وسائر أنواع الطاعات ليسقط بذلك ما على الإنسان من الصدقات اللازمة فى كل يوم) .

---

(٦٩٧) المفصل: كل ملتقى عظمين من الجسد وجمعه مفاصل .

(٦٩٨) أى: أنه واجب على الإنسان أن يقدم صدقة كل يوم عن كل مفصل .

(٦٩٩) إن هذا التساؤل معناه أنهم ظنوا أن الصدقة لا تكون إلا من المال.

(٧٠٠) أى: يدفنها ويغطيها فى تراب المسجد حتى لا تؤذى أحدًا من المصلين .

(٧٠١) وذلك مثل الشوك والحجارة وقشر الموز ونحوه مما يؤذى المارة.

(٧٠٢) بفتح أوله، بمعنى جزى يجزى أى كفى. وضمه من الإجزاء.

(٧٠٣) قال النووى: هو بضم السين وتخفيف اللام وأصله عظام الأصابع وسائر الكف ثم استعمل فى عظام البدن ومفاصله.

(٧٠٤) يجزى ـ بفتح أوله ـ بمعنى يكفى، أو بضمه ويكون من الإجزاء.

ولهذا، فقد كان النبى ﷺ يُرغِّب فى صلاة الضحى:

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أوصانى خليلى ﷺ بثلاث: **(بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتى الضحى، وأن أُوتِر قبل أنْ أنام)** [رواه البخارى ومسلم]

وصلاة الضحى عبادة مستحبة [٧٠٥] فمن شاء ثوابها فَلْيؤدها وإلا فلا تثريب عليه فى تركها:

فعن أبى سعيد رضي الله عنه قال: (كان ﷺ يُصلى الضُّحى حتى نقول: لا يدعها، ويدعها حتى نقول: لا يُصليها). [رواه الترمذى وحسَّنه]

ويبتدئ وقتها بارتفاع الشمس قدر رمح[٧٠٦] وينتهى حين الزوال [٧٠٧]، ولكن المستحب أن تؤخر إلى أن ترتفع الشمس ويشتد الحر.

فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرج النبى ﷺ على أهل قُباء [٧٠٨] وهم يصلون الضحى، فقال: **(صلاة الأوَّابين[٧٠٩] إذا رَمضَت الفِصَال[٧١٠] من الضحى)** [رواه أحمد ومسلم والترمذى]

وأقل ركعات ـ صلاة الضحى ـ اثنتان كما جاء فى حديث أبى ذر رضي الله عنه، وأكثر ما ثبت من فعل رسول الله ﷺ ثمانى ركعات، وأكثر ما ثبت من قوله صلوات الله وسلامه عليه اثنتا عشرة ركعة.

وقد ذهب قوم ـ منهم أبو جعفر الطبرى وبه جزم الحليمى والروياني من الشافعية ـ إلى أنه لا حَدَّ لأكثرها .

قال العراقى فى شرح الترمذى: لم أر عن أحد من الصحابة والتابعين أنه

---

(٧٠٥) أى: أنها ليست من السنن المؤكدة التى يُثاب الإنسان على فعلها ويعاتب على تركها، وإنما هى من السنن المستحبة أى الغير مؤكدة التى يثاب الإنسان على فعلها ولا يعاتب على تركها .

(٧٠٦) أى: بعد شروق الشمس بوقت قصير بمقدار ثلث الساعة تقريبًا، وهذا أول وقت صلاة الضحى.

(٧٠٧) حين الزوال: أى حين ارتفاع الشمس فى جو السماء وقبل صلاة الظهر.

(٧٠٨) قُباء: مكان بينه وبين المدينة نحو ميلين.

(٧٠٩) الأوابين: أى الراجعين إلى الله تبارك وتعالى .

(٧١٠) رمضت: أى احترقت . والفصال: جمع فصيل، وهو ولد الناقة، أى: إذا وجدت الفصال حر الشمس، ولا يكون ذلك إلا عند ارتفاعها .

حصرها فى اثنتى عشرة ركعة، وكذا قال السيوطى.

وأخرج سعيد بن منصور عن الحسن أنه سُئل: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يُصلُّونَها؟ فقال: نعم .. كان منهم مَن يُصلِّى ركعتين، ومنهم مَن يُصلى أربعًا، ومنهم من يمد إلى نصف النهار .

وعن أم هانئ أن النبى ﷺ صلى سُبحة الضحى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين . [رواه أبو داود بإسناد صحيح]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبى ﷺ يصلى الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء الله). [رواه أحمد ومسلم وابن ماجة]

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا وينفذاه حتى يفوزا بهذا الثواب المشار إليه فى هذه الأحاديث الشريفة فضلاً عن أداء الصدقات التى ينبغى على الإنسان المسلم ـ ذكرًا كان أم أنثى ـ أن يؤديها عن كل سُلامَى من جسده ، وذلك حتى يكون هذا الجسد مباركًا ومحفوظًا برعاية الله تبارك وتعالى.. والله ولى التوفيق،،

(٥٥) دُلَّنَا يا رسولَ الله .. على ما يمحُو اللهُ به الخطايا .. ويُكَفِّر به الذنوب

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (**ألا أدلُّكُم على ما يمحو الله به الخطايا ويكَفِّر به الذنوب؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : إسباغ**(٧١١) **الوضوء على المكاره، وكثرةُ الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة، فذلكم الرباط** (٧١٢)) . [رواه مسلم]

---

(٧١١) أى : إتمام الوضوء عند البرد والألم والمرض .. ونحو ذلك.

(٧١٢) أى: الوقوف على الحدود لحماية بلاد المسلمين .. وقد شبه النبى المنتظر للصلاة بالمرابط لأنه يجاهد نفسه .. وجهاد النفس أكبر من جهاد العدو .. كما ورد فى الحديث الشريف .

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **(مَن تَطهَّر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضىَ فريضةً من فرائض الله، كانت خُطُواتُه إحداها تحطُّ خطيئة، والأخرى ترفع دَرَجته).** [رواه مسلم]

وعن ابن عمر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **(صلاةُ الجماعة أفضلُ من صلاة الفَذِّ بسبع وعشرين درجة).** [رواه البخارى ومسلم]

ففى هذه الأحاديث الشريفة .. ومن خلال إجابة الرسول ﷺ فى الحديث الأول .. ومن مضمون الحديث الثانى والثالث: يتجلَّى لنا وبوضوح أهَمّ الأعمال الصالحة .. التى بها أو بسببها يمحو الله الخطايا .. ويُكفِّر الذنوب .. بل ويرفع الدرجات .

ولما كنا جميعًا كمؤمنين ـ إن شاء الله ـ فى أشد الحاجة إلى تحقيق هذا الخير .. فإننى أرى أن أبدأ الآن فى توضيح المعنى المراد من الحديث الأول .. ثم المراد من الحديث الثانى والثالث.

فقد قال النبى ﷺ ـ وهو مُعلِّمُنَا (٧١٣) ـ: **(ألا أدلُّكم على ما يمحو اللهُ به الخطايا، ويُكَفِّر به الذنوب؟)**، وهذا القول الكريم معناه، أنه صلوات الله وسلامه عليه .. كان ولا يزال ـ بهديه وتعاليمه ـ يُحب الخير لنا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. حتى نخرج من هذه الدنيا .. ونحن من الأخيار الأطهار الذين مُحيت خطاياهم، وغُفرت ذنوبهم .. بسبب تلك الأعمال الصالحة التى دَلَّنا عليها صلوات الله وسلامه عليه .. والتى منها:

(إسباغ الوضوء على المكاره)، وهذا التنبيه معناه، أنه ينبغى على المسلم أن يُلاحظ وهو يتوضأ ضرورة إتمام هذا الوضوء .. حتى ولو كان هذا الإتمام المشار إليه بكلمة: (إسباغ) عند البرد والألم والمرض .. (وذلك) لأن الوضوء هو الأساس فى الصلاة .. ففى الحديث الصحيح:

---

(٧١٣) كما ورد فى حديث شريف يقول فيه: (إنما بُعثتُ مُعَلماً) صلوات الله وسلامه عليه.

(لا يقبل الله صلاةَ أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ) [٧١٤].

(ولابد) أن يكون هذا الوضوء على أساس من العلم بوضوء رسول الله ﷺ:

(فعن) حُمران بن أبان قال: دَعا عثمان ﷺ بماء وهو على المقاعد فسكب على يمينه فغسلها، وفى رواية: **(فأفرغ على يديه ثلاثًا فغسلهما)** ثم أدخل يمينه فى الإناء فغسل كَفَّيه ثلاثًا، ثم غَسل وجهه ثلاث مرار ومضمض واستنشق واستنثر. وغسل ذراعيه إلى المرفقين ثلاث مرات، ثم مسح برأسه، وأمَرَّ بيديه على ظهر أُذنيه. ثم غسل رِجْلَيه إلى الكعبين ثلاثَ مرار. ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(مَن توضأ نحو وضوئى هذا، ثم صَلَّى ركعتين لا يُحَدِّثُ نفسَه فيهما: غُفِر له ما تقدم من ذنبه)** . وفى رواية: **(غُفِر له ما كان بينهما وبين صلاته بالأمس)**. [أخرجه أحمد والشيخان]

وعن عبد خير، قال: جلس على ﷺ بعدما صلى الفجر فى الرَّحَبَة [٧١٥] ثم قال لغلامه: ائتنى بطهور، فأتاه الغلام بإناء فيه ماء وطَسْت [٧١٦] ونحن جلوس ننظر إليه . فأخذ بيمينه الإناء فأكْفأه على يده اليُسرى، ثم غسل كَفَّيه، ثم أخذ بيده اليمنى الإناء فأفرغ على يده اليسرى، ثم غسل كفَّيه، فعله ثلاث مرار، كُلُّ ذلك لا يُدخل يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاث مرات. ثم أدخل يده اليمنى فى الإناء فمضمض واستنشق ونثر بيده اليسرى . فعل ذلك ثلاث مرات. وفى رواية: فتمضمض ثلاثًا واستنشق ثلاثًا من كف واحدة، ثم أدخل يده اليمنى فى الإناء فغسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى ثلاث مرات إلى المرفق، ثم غسل يده اليسرى ثلاث مرات إلى المرفق، ثم أدخل يده اليمنى فى الإناء حتى غمرها الماء، ثم رفعها بما حَملت من الماء، ثم مسحها بيده اليسرى، ثم مسح رأسه بيديه كلتيهما مرة. وفى رواية: (فبدأ بمقدَّم رأسه إلى مؤخره) ثم صبَّ بيده اليمنى ثلاث مرات على قدمه اليمنى، ثم غسلها بيده

---

(٧١٤) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذى.

(٧١٥) (الرَّحَبَة): بفتحات، موضع متسع بالكوفة.

(٧١٦) (والطست): بفتح الطاء فسكون السين المهملتين. وحكى بالشين المعجمة: إناء من نحاس .

اليسرى، ثم صَبَّ بيده اليمنى على قدمه اليسرى، ثم غسلها بيده اليسرى ثلاث مرات، ثم أدخل يده اليمنى فغرف بكفِّه فَشَرِبَ فَضْلَ وَضُوئه، ثم قال: هذا طهور نبى الله ﷺ.

[أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى والدارقطنى والدارمى بسند جيد]

وقد جاء فى (زاد المعاد) لابن القيم [٧١٧]، أن النبى ﷺ: كان يتوضأ لكل صلاة فى غالب أحيانه، وربما صلَّى الصلوات بوضوء واحد.

وكان يتوضأ بالمُدِّ تارة [٧١٨]، وبثلثيه تارة، وبأَزْيَدَ منه تارةً (وكان) من أيسر الناس صَبًّا لماء الوضوء، وكان يُحذر أمته من الإسراف، ومَرَّ على سعد[٧١٩] وهو يتوضأ فقال له: (لا تُسرف فى الماء) فقال: وهل فى الماء من إسراف ؟ قال: (نعم، وإن كنتَ على نهر جارٍ) وصَحَّ عنه أنه توضأ مَرَّةً مرة، ومرتين مرتين، وثلاثًا ثلاثًا، وفى بعض الأعضاء مرتين وبعضها ثلاثًا (وكان) يتمضمض ويستنشق تارة بغرفة وتارة بغرفتين، وتارة بثلاث .

(وكان) يَصل بين المضمضة والاستنشاق، فيأخذ نصف الغرفة لفمه ونصفها لأنفه، ولا يمكن فى الغَرْفة إلا هذا. وأما الغَرْفتان والثلاث، فيمكن فيهما الفَصلُ والوصْل، إلا أن هديه صلى الله عليه وآله وسلم كان الوصل بينهما، كما فى الصحيحين من حديث عبدالله بن زيد أن رسول الله ﷺ تمضمض واستنشق من كف واحدة، فعل ذلك ثلاثًا . وفى لفظ: تمضمض واستنثر بثلاث غَرفات. فهذا أصح ما رُوِى فى المضمضة والاستنشاق.

(وكان) يمسح رأسه كله، وتارة يُقبل بيديه ويُدبِرُ. والصحيح أنه لم يُكرر مسح رأسه، بل كان إذا كرر غسل الأعضاء، أفرد مسح الرأس هكذا جاء عنه صريحًا. ولم يصح عنه فى حديث واحد أنه اقتصر على مسح بعض رأسه ألبتَّة، ولكن كان إذا مسح بناصيته كَمَّل على العمامة (ولم يتوضأ) ﷺ إلا

---

(٧١٧) انظر: ص ٤٨ ج١(المطبعة المصرية) وقد ذكر هذا (صاحب الدين الخالص): ج١ ص ٢٤٠، ٢٤١.

(٧١٨) المد: مكيال وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز، ورطلان عند أهل العراق.

(٧١٩) وهو ابن أبى وقاص رضى الله عنه .

تمضمض واستنشق، ولم يُحفظ عنه أنه أخَلَّ به مرةً واحدة (وكذلك) كان وُضوءُهُ مُرَتَّبًا متواليًا ولم يُخِل به مرة واحدة ألبتَّة (وكان) يمسح على رأسه تارة، وعلى العمامة تارة، وعلى الناصية والعمامة تارة (وأما) اقتصاره على الناصية مُجَرَدَةً فلم يُحفظ عنه كما تقدم.

(وكان) يغسل رجليه إذا لم يكونا فى خُفَّين ولا جَوْرَبَيْنِ، ويمسح عليهما إذا كانا فى الخُفين (وكان) يمسح أذُنيه مع رأسه . وكان يمسح ظاهرهما وباطنهما (ولم) يُحفظ عنه أنه كان يقول على وضوئه شيئًا غير التسمية فى أوله [٧٢٠].

وقوله: **(أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين)** فى آخره، ومما يقال بعد الوضوء أيضًا: **(سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك)** (ولم) يكن يقول فى أوله: نويتُ رفع الحدث ولا استباحَة الصلاة. لا هو ولا أحد من أصحابه ألبتَّة. ولم يُرْو عنه فى ذلك حرف واحد لا بإسناد صحيح ولا ضعيف (ولم) يتجاوز الثلاث قط . ا هـ .

وأما عن الأحاديث الواردة فى فضل الوضوء، وأنه مُكفِّر للذنوب .. (فمنها):

حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **(إذا توضأ العبدُ المسلمُ أو المؤمنُ فغسل وجهه، خرجتْ من وجهه كلُّ خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، أو مع آخر قَطْر الماء، فإذا غسل يديه خرجت من يديه كُلُّ خطيئة بطشتها يداه مع الماء، أو مع آخر قَطْر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مَشَتْها رِجْلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نَقِيًا من الذنوب)**.

[أخرجه مالك وأحمد ومسلم والترمذى وقال: حسن صحيح]

(وحديث) عبدالله الصُّنابِحِىِّ أن النبى ﷺ قال: **(إذا توضَّأ العبد المؤمن**

---

(٧٢٠) وقد ورد فى حديث شريف رواه النسائى وابن السنى بإسناد صحيح أن النبى ﷺ كان يقول أثناء الوضوء: (اللهم اغفر لى ذنبى، ووسِّع لى فى دارى، وبارك لى فى رزقى) وورد أن هذا الدعاء من الأدعية التى تُقال بعد الوضوء. .

فتمضمض، خرجت الخطايا من فِيه[٧٢١]، فإذا استنثر[٧٢٢] خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عيْنيْه[٧٢٣]، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه، ثم كان مشيُه إلى المسجد وصلاته نافلة له).

[أخرجه مالك وأحمد والنسائى والحاكم، وقال:حديث صحيح على شرط الشيخين. وليس له علة]

وعن عثمان بن عفان أن النبى ﷺ قال: **(مَن توضَّأ فأسبغ الوضوء، ثم مشى إلى صلاة مكتوبة فصلاَّها، غُفِر له ذنبه)**[أخرجه أحمد ومسلم وابن خزيمة]

(وكثرة الخُطا إلى المساجد)، أى: كُلَّما نادى المؤذن قائلاً: (حَىَّ على الصلاة..) فى كل وقت من أوقات الصلاة.. لكي يُصلِّى الوقت جماعة مع إخوانه المسلمين .. فى بيت من بيوت الله التى أُسِّست على التقوى .. والتى تؤدَّى فيها الصلوات الخمس أداءً متقنًا يُحبه الله ورسوله.. خلف إمام صالح متمسك بالسُّنة.. ويؤدِّى الصلاة بخشوع واطمئنان.. لا كهؤلاء الأئمة المبتدعين الذين ينقرون الصلاة كنقر الدِّيكة.. (إن) هؤلاء لا تصح الصلاة خلفهم.. ولا ينبغى أن نسعى إليهم.. حتى لا تضيع صلاتنا.. وقد ورد فى (حديث المسىء فى صلاته) الذى رواه البخارى.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: دخل رجل المسجد فصلَّى، ثم جاء إلى النبى ﷺ، فردَّ عليه السلام، وقال: **(ارجع فصَلِّ، فإنك لم تُصَلِّ)** فرجع ففعل ذلك ثلاث مرات. قال: فقال: والذى بعثك بالحق ما أُحْسِنُ غير هذا فعلِّمنى؟.. قال: **(إذا قمتَ إلى الصلاة، فكَبِّر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم**

---

(٧٢١) أى: من فمه.

(٧٢٢) أى: أخرج الماء من أنفه بيده اليسرى .

(٧٢٣) الأشفار: جمع شُفْر بضم فسكون: أصل منبت الشعر فى الجفن.

ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها) .

(وإذا) كان هذا التعليم موجَّهًا إلى هذا الرجل الذى كان يُصلى منفردًا.. فإنه من باب أوْلَى أن يكون موجَّهًا إلى مثل هذا الإمام المبتدع الذى نَعْنيه.. والذى يفسد على المأمومين صلاتهم.. (إنه) ينبغى عليه أن ينفذ ما علَّمه النبى ﷺ لهذا المصلى المنفرد.. حتى لا يكون مسيئًا فى صلاته .. وصلاة من يصلى خلفه.. لأنه سيُسأل عنهم وعن صلاته ـ أو صلاته بهم ـ يوم القيامة .. وسيكون بسبب هذا من الهالكين ـ والعياذ بالله ـ .

(وأما) عن ثواب الإكثار من الخطوات إلى المساجد من أجل صلاة الجماعة .. فهو المشار إليه فى الحديث الثانى والحديث الثالث ـ من الأحاديث الثلاثة التى ندور حولها ـ بالإضافة إلى الأحاديث الأخرى الواردة فى هذا الشأن.

وقوله (وانتظار الصلاة) أى: بعد الصلاة، كما فى رواية أخرى [٧٢٤] .. (وهذا) معناه أنه يُحِبُّ الصلاة كما يحب أداءها فى بيوت الله.. وأنه بعد أن يؤدى الصلاة فى المسجد يتمنى من الله تعالى أن يُطيل فى حياته حتى يجىء الوقت الآخر الذى يليه وحتى يعود إلى المسجد ـ مرة أخرى، بل ومرات ومرات ـ وهذا معناه كذلك التعلق بالمسجد بتلك الصورة الإيمانية المشار إليها فى قول الرسول ﷺ عن السبعة الذين سيظلهم الله تعالى تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله[٧٢٥] ـ وعُدَّ منهم ـ (ورجل قلبه معلَّق فى المساجد)، هذا بالإضافة إلى أن الصلاة هى أعظم مُكفرات الذنوب.

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة، فيُحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تُؤْتَ كبيرة، وذلك الدهر كله)** [رواه مسلم]

---

(٧٢٤) رواها الترمذى ومسلم.

(٧٢٥) أى: يوم لا ظل إلا ظل عرشه سبحانه وتعالى . . والحديث متفق عليه.

وقوله فى نص الحديث: (**ما لم تُؤتَ كبيرة**) معناه: أنه يُشترط اجتناب الكبائر ، وهى ما ورد فيها تحذير شديد وغلُظت عقوبتها، وأكبر الكبائر: الشرك بالله، ويليه قتل النفس بغير حق، والزنا، والسرقة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والفرار من ميدان المعركة، وعمل السحر، والكذب، وقول الزور، وتبذير المال فى غير محله، والقذف، وهو رَمْىُ العفيف بالزنا.. (مع ملاحظة) أن الكبائر لن تُغفر إلا بالتوبة الصادقة التى يشترط فيها رد الحقوق إلى أصحابها.. والندم على فعل المعصية، وترك الذنب، وأن يعقد العَزم على أن لا يعود إلى الذنب مرة أخرى .

وقوله فى ختام الحديث: (**فذلكم الرباط ..**) أى: أن المؤمن الذى يحقق كل هذا .. مثله كمثل المرابط فى سبيل الله ضد أعداء الله، وأعداء دينه، ووطنه .. وكذلك فى مواجهة نفسه التى غالبًا ما تكون أمَّارة بالسُّوء ـ والعياذ بالله ـ .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه.. حتى يكونا إن شاء الله من أهل هذا الرباط .. والله ولى التوفيق،،

(٥٦) ما هو الهَرْجُ ... يا رسول الله؟

عن أبى هريرةَ ﷺ أن النبى ﷺ، قال: (**لا تقوم السَّاعة حتى يفيض المالُ، وتَظهر الفِتَنُ، ويَكْثُر الهَرْج**) قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: (**القتل القتل القتل**). [أخرجه ابن ماجه بسند صحيح]

وعن أبى هريرة ـ أيضًا ـ أن النبى ﷺ: قال: (**لا تقوم الساعة حتى يُقبضَ العلم، وتكثُرَ الزلازلُ، ويتقاربَ الزمانُ، وتظهرَ الفتنُ، ويكثر الهرجُ، حتى يكون فيكم المالُ فيفيض**) . [أخرجه الشيخان وابن ماجه]

ففى هذين الحديثين الشريفين يشير النبى ﷺ إلى أنه من علامات الساعة الصغرى: أن يكثر الهرج ـ وهو بفتح فسكون، أى هرج الناس يَهْرجُون من باب ضرب، أى: وقعوا فى فتنة وقتل ـ وإذا كان هذا المعنى الأخير هو ما أجاب به النبى ﷺ عندما سُئِل عن الهرج؟ فقال: (**القتل القتل القتل**)، وإذا كان هذا هو

شاهدنا فى هذا الموضوع: فإنه ينبغى علينا الآن أن ندور حول هذا الموضوع محذرين ومنذرين .. حتى نحذر جميعًا الوقوع فى هذا الجرم الكبير الذى هو أول جريمة حدثت على وجه الأرض.

كما يُشير الله سبحانه وتعالى إلى هذا فى سورة المائدة، حيث يقول:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ أى: واقصص يا محمد على هؤلاء اليهود خبر « هابيل وقابيل » ابنى آدم، وعَرِّفْهم عاقبة الظلم والمكر ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ أى: حين قرَّب «هابيل» و «قابيل» قربانًا لله، فَتُقُبِّلَ من أحدهما وهو هابيل، ولم يُتقَبَّل من الآخر وهو قابيل، قال ابن عمر: كان أحدهما صاحب غنم، والآخر صاحب زرع، فقرَّب صاحب الغنم «هابيل» أسمن وأحسن غنمه، طيِّبة بها نفسه، وقرَّب صاحب الزرع «قابيل» شَرَّ زرعه غير طيبة بها نفسه، فتقبَّل الله قربان صاحب الغنم ﴿قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ﴾ أى قال له أخوه قابيل: لأقتلنَّك ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أى: أجابه أخوه هابيل بقوله: ما ذنبى؟ إنما يتقبل الله ممن خافه واتقاه .

﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾ أى: لئن مَدَدْتَ إلىَّ يدك لتقتلنى، ما أنا بمادٍّ يدىَ إليك لأقتلك ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أى: إنى أخاف من الله، مالك الخلائق كُلِّها أن يعاقبنى إن حاولتُ الاعتداء عليك .

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أى: إنى أُريد أن ترجع بخطيئتى فتتحمَل وزرها، وإثمك فى قتلك إياى، فتُصبح من سكان الجحيم المخلَّدين فيها ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ أى: والنار عقوبة كل ظالم، منتهك لحدود الله، قال ابن عباس: خَوَّفَهُ بالنار فلم ينتَه ولم ينزجر .

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أى: فَزَيَّنَتْ له نفسُهُ وحَسَّنَتْ له قَتْل أخيه فقتله، فأصبح من جملة الخاسرين. قال السُّدِّى: أمسكه فشَدَخَ رأسه بصخرة فمات، وتركه بالعراء ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ أى: فأرسل الله للقاتل غُرابًا يحفر فى الأرض فيثير تُرابها، ليُريَه كيف يستر جيفة أخيه ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ

﴿فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ أى: قال القاتل: يا حسرتى ويا هلاكى، هل عجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب، الذى دَفَنَ الغراب الآخر، فأستُر جسد أخى؟ ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (٧٢٦) أى: على ما فرط منه، فى معصية الله بقتل أخيه.

ثم بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ أى: من أجل قَتْل ابن آدم أخاه ظلمًا وعُدوانًا ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أى: حكمنا على بنى إسرائيل ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أى: مَن قتل منهم نفسًا مؤمنة، بغير أن يقتل نفسًا، فتستحق القتل قصاصًا ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أى: فكأنه قتل جميع الناس ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ...﴾ أى: ومن لم يقتل النفس ظُلمًا، فقد حيِىَ الناس جميعًا بسلامتهم منه ـ لأن الإنسان إذا كفَّ عن قتل غيره، سلم الناس كلهم منه، ففيه حياة لهم بهذا الاعتبار.

ثم بعد ذلك يقول سبحانه: ﴿.. وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أى: بالآيات الواضحات، والحُجَج الساطعات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ أى: ثم إن كثيرًا من بنى إسرائيل ـ بعد مجىء الرسل إليهم بالبينات ـ لعاملون بمعاصى الله، مخالفون لأوامره ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أى: إنما جزاء مَن يقتل النفوس بغير حق، ويُخيفُ الآمنين فيغير عليهم فى أمصارهم وقُراهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أى: يقطع الطريق(٧٢٧)، والعمل بمعاصى الله ﴿أَن يُقَتَّلُوا﴾ أى: عقوبتهم القتل إن قتلوا ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ أى: إن قتلوا وأخذوا المال ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ أى: تقطع يده اليُمنى ورجله اليُسرى، إن أخذ المال ولم يَقْتُل ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ أى: أو يُطرد من بلده إلى بلد آخر، ويُحبَس فيها بالسجن، إن أخاف الناسَ ولم يَقْتُلْ ولم يسلُب مالاً، فالعُقوبة تكون على قدر استحقاقه(٧٢٨)، لا أن الإمام مُخيَّر فيه كما قيل ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ

---

(٧٢٦) سورة المائدة: من الآية ٢٧ ـ ٣١.

(٧٢٧) هم قطاع الطريق الذين يعيثون فى الأرض فسادًا، ويزرعون الخوف، ويفسدون الأمْن.

(٧٢٨) قال عطاء وقتادة: هذا اللص الذى يقطع الطريق هو محارب لله ولرسوله، فإن قتل وأخذ مالاً صُلبَ، وإن قتل ولم يأخذ مالاً قُتلَ، وإن أخذ مالاً ولم يقتل قُطِعت يده ورجْله من خلاف، وإن أخذ قبل أن يَفعل شيئًا من ذلك نُفِى إلى بلدة أخرى.

﴿ فِي الدُّنْيَا ﴾ أى: هذا الجزاء لهم عقوبة وشَرٌّ، وذلّة، فى عاجل الدنيا قبل الآخرة ﴿ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أى: ولهم فى الآخرة - إن لم يتوبوا - عذاب جهنم [٧٢٩] ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ أى: إلا مَن تاب من قطاع الطريق إذا ترك الحرابة وأمَّنه الإمام قبل أن يقبض عليه ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٧٣٠] أى: فإن توبته تضع عنه تبعات الدنيا، رحمة من الله عليه.

(هذا) وإذا كنا قد وقفنا من خلال هذا العرض السابق على ما كان من أمر - هابيل وقابيل - فإننى أحب أن أُذكِّر الأخ القارئ بأن هذا الذى حدث بينهما ما كان إلا بسبب الحقد والحسد .. لأن أبانا آدم كان قد أُمِر من الله تعالى - حتى يعمر الكون - أن يُزوِّج ابن البطن الأولى - وهو قابيل - من بنت البطن الثانية التى وُلدت مع هابيل، وأن يزوج هابيل من بنت البطن الأولى أى التى وُلِدت مع قابيل [٧٣١]، والتى كانت أجمل من أخت هابيل .. (فاعترض) قابيل وقال لأبيه: هذا الرأى من عندك وليس من عند الله لأنك تحب أخى هابيل أكثر منى (فرفع) أبونا آدم الأمر إلى الله تعالى - وهو أعلم - لكى يجد حَلاً .. فقال الله تعالى له: مُرهما بأن يُقدِّما قربانًا لله .. والذى سيقبل قربانه فإنه سيكون زوجًا للفتاة الجميلة .. فكانت النتيجة كما عرفنا قبل ذلك أن أقبل قربان هابيل .. فقال له أخوه (لأقتلنك) إلى آخره ..

ولهذا، فقد ورد فى السُّنَّة المطَهَّرة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبِعْ بعضكم على بيع بعضٍ وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذُله ولا يكذبُه ولا يحقِره، التقوى**

---

(٧٢٩) نزلت هذه الآية فى قوم من عُرَيْنة ارتدوا عن الإسلام، وقتلوا راعِىَ رسول الله ﷺ واستاقوا الإبل . . الخ، وانظر قصتهم فى البخارى .

(٧٣٠) سورة المائدة: من الآية ٣٢ - ٣٤ . والتفسير من مختصر تفسير الطبرى بتصرف وإضافات يسيرة.

(٧٣١) لأن أُمنا حواء كانت تلد فى كل بطنٍ ذكرًا وأنثى .

ها هُنا ويُشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشَّرِّ أن يحقِر أخاهُ المسلمَ، كُلُّ المسْلِمِ على المُسْلِم حرام دَمُه وماله وعِرضُه). [رواه مسلم]

كما ورد الترهيب من القتل ـ فضلاً عن الإكثار منه ـ لأى سبب من الأسباب:

(وعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أول ما يُقْضَى بين النَّاسِ يوم القيامة في الدماء). [رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه]

قال فى الفتح: (أى: أول القضاء يوم القيامة القضاء فى الدماء، أى: فى الأمر المتعلق بالقضاء، وفيه عظَم أمر القتل لأن الابتداء إنما يقع بالأهم) وقال العينى: (أى: فى القضاء بها لأنها أعظم المظالم فيما يرجع إلى العباد، ففيه وعيد شديد من حيث يُبتدأ به فى الحساب).

وللنسائى أيضًا: (أولُ ما يحاسَبُ عليه العبد الصلاة[٧٣٢]، وأول ما يُقضَى بين الناس فى الدماء)[٧٣٣].

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (اجتنبوا السبعَ الموبقات[٧٣٤]. قيل: يا رسول الله، وما هُنَّ ؟ قال: الشركُ بالله والسِّحر، وقتلُ النفسِ التى حَرَّم الله إلاَّ بالحقِّ، وأكْلُ مالِ اليتيم، وأكل الرِّبَا، والتَّولِّى يوم الزَّحْف، وقَذْف المحصنات الغافلات المؤمنات).

[رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى]

وحتى تفهم المعنى المراد من قول الرسول ﷺ: (وقتْل النفسِ التى حرَّم الله إلا بالحق)، فقد ورد:

(عن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يحلُّ دَمُ امرئٍ مُسْلِمٍ إلاَّ

---

(٧٣٢) لأنها أعظم حقوق الله بعد التوحيد.

(٧٣٣) لأنها أعظم الحقوق بين العباد.

(٧٣٤) أى: المهلكات.

بإحدى ثلاث: الثَّيِّبُ الزانى، [٧٣٥] **والنفسُ بالنفس، والتَّارِكُ لدينه المفارق للجماعة).** [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ:**(لنْ يزالَ المؤمنُ فى فُسْحَة من دينه**[٧٣٦] **ما لم يُصبْ دَمًا حَرامًا)**. وقال ابن عمر رضي الله عنهما:(إنَّ من ورطات الأُمور التى لا مَخْرجَ[٧٣٧] لمن أوقع نفسَهُ فيها سَفْكَ الدَّمِ الحرامِ بغير حِلِّه)[٧٣٨].

[رواه البخارى والحاكم وقال: صحيح على شرطهما]

(وعن) البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**(لزوال الدنيا**[٧٣٩] **أهونُ على الله** [٧٤٠] **من قتلَ مؤمنٍ بغير حق)** [رواه ابن ماجه بإسناد حسن، ورواه البيهقى والأصبهانى] . وزاد فيه: **(ولو أن أهل سمواته، وأهلَ أرضه اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم اللهُ النارَ)** .

قال ابن العربى: (ثبت النهى عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد فى ذلك فكيف بقتل الآدمى، فكيف بالمسلم، فكيف بالتقى الصالح) .

(بل) إن النبي ﷺ حذر من مجرد الوقوف فى موقف يُقتل فيه رَجُلٌ ظُلمًا ... أو يُضرب فيه ظلمًا:

(فعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا يَقِفَنَّ أحدكم موقفًا يُقْتَلُ فيه رَجُلٌ ظلمًا**[٧٤١]**، فإن اللعنةَ**[٧٤٢] **تنزلُ على كلِّ مَن حضَر حين لم**

---

(٧٣٥) المراد بالثيب الزانى: من تزوج ووطئ فى نكاح صحيح ثم زنى بعد ذلك، فإنه يُرجم، وإن لم يكن متزوجًا فى حالة الزنا لاتصافه بالإحصان (شرح الحديث الرابع عشر من الأربعين النووية) ص٤١ .

(٧٣٦) أى: فى سعة من أمر دينه.

(٧٣٧) أى: لا مخلص ولا منجى، والورطات جمع ورطة بسكون الراء، وهى الهَلَكة، وكل أمر تعسر النجاة منه.

(٧٣٨) أى: إراقة الدم الحرام بغير حقه.

(٧٣٩) أى: لخراب الدنيا وفناؤها كلها .

(٧٤٠) يعنى: أيسر وأخف.

(٧٤١) أى: لا يشهدن ذلك المشهد ولا يحضرنه إلا إذا كان يريد دفع الظلم عنه.

(٧٤٢) أى: سخط الله ونقمته.

يدفعوا عنه[٧٤٣]، ولا يَقِفَنَّ أحدُكم موقفًا يُضربُ فيه رجُلٌ ظلمًا، فإن اللعنة تنزل على مَنْ حضره حين لم يدفعوا عنه).

[رواه الطبرانى والبيهقى بإسناد حسن]

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَن جَرَّد ظَهْرَ مُسْلِمٍ[٧٤٤] بغير حَقٍّ [٧٤٥]، لَقِيَ الله، وهو عليه غضبانٌ).**

[رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بإسناد حسن]

(وأما) مَن قَتَل نفسه ـ والعياذ بالله تعالى ـ فقد ورد فيه:

(عن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **(مَن تَرَدَّى[٧٤٦] مِنْ جَبل فَقتَل نفسه فهو فى نار جَهَنَّم يتَردَّى فيها خالدًا مُخَلَّدًا فيها أبدًا[٧٤٧]، ومَن تَحسَّى سُمًّا [٧٤٨]، فقتل نفسَه فسُمُّه فى يده[٧٤٩] يَتَحسَّاه فى نار جَهَنَّم خالدًا مُخَلَّدًا فيها أبدًا[٧٥٠]، ومَن قَتَل نفسه بحديدة، فحديدته فى يده يتوجَّأُ بها[٧٥١] فى نار جهنم خالدًا مُخَلَّدًا فيها أبدًا)[٧٥٢]**

[رواه البخارى ومسلم والترمذي بتقديم وتأخير والنسائى]

ولأبى داود: **(ومَن حَسَا سُمًّا فسُمُّه فى يدِه يَتَحسَّاه فى نار جهنَّم)** .

---

(٧٤٣) يعنى: شهدوا قتله ظلمًا ولم ينصروه ولم يخلصوه من القتل.

(٧٤٤) قال المناوى: (ويظهر أن المراد جرده من ثيابه ليضربه وفعل، أو أراد سلبه ثوبه المحتاج إليه) وقال الحفنى: (أى لضربه بغير حق، أو المراد جرد ظهره حتى كشف عورته والأول أولى) . ولا شك أن المعنى الأول هو المقصود فى الحديث، فتجريد الظهر كناية عن الضرب.

(٧٤٥) يعنى: من غير أن يكون ذلك فى حد أو تعزير.

(٧٤٦) يعنى: ألقى نفسه متعمدًا لذلك.

(٧٤٧) يعنى: أن الله يعذبه فى النار بجنس ما قتل به نفسه فلا يزال يتردى من جبل فى النار مرة بعد مرة إلى آخر الأبد.

(٧٤٨) أى: شربه شيئًا بعد شىء.

(٧٤٩) أى: فى النار يعطى كأس السم فى يده .

(٧٥٠) أى: يظل يتحساه كما تحساه فى الدنيا .

(٧٥١) أى: يضرب بها نفسه .

(٧٥٢) أى: دائمًا وأبدًا .

(وعنه) رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(الذى يخنقُ نفسه[٧٥٣] يخنقها فى النار [٧٥٤]، والذى يطعن نفسه يطعن نفسه فى النار، والذى يقتحم [٧٥٥] يقتحم فى النار).** [رواه البخارى]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن ينتفعا بكل هذا التذكير .. حتى لا يكونا من أهل هذا الهرج الذى هو القتل بجميع صوره .. (بل) وعليهما أن يبتعدا عن جميع صور الفتن المؤدية إلى هذا الهرج.. وفى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [٧٥٦]، (بل) وعليهما كذلك أن يسألا الله تبارك وتعالى أن يحفظنا ويحفظ أهلينا وأُمتنا.. من الفتن ما ظهر منها وما بطن .. وأن يعافينا من هذا الهرج إلى يوم أن نلقاه غير خزايا ولا مفتونين ..

اللهم آمين، اللهم آمين، اللهم آمين،،

(٥٧) ما هو علاجُ قسوةِ القلبِ .. يا رسولَ الله؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجُلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوةَ قلبه؟ فقال: **(امسح رأسَ اليتيم، وأطعم المسكين)** [رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح]

(ففى) هذا الحديث الشريف نستطيع أن نتفق جميعًا على أهمية هذه الشكوى التى رفعها الرجل إلى مُفْتينا ومُعلمنا صلوات الله وسلامه عليه لكى يجد لها حَلاً، أو علاجًا .. (فهى) تتعلق بقسوة القلب، أو بقساوة القلوب التى أصبحت فى زماننا هذا بنفس القسوة التى تحدَّث الله سبحانه وتعالى عنها .. مخاطبًا كفار بنى إسرائيل .. بعد أن أراهم الله تعالى الآية الباهرة المتعلقة بإحياء قتيل بنى إسرائيل بعد أن ضربوه ببعض البقرة .

كما يشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ أى: فقلنا لقوم موسى:

---

(٧٥٣) أى: يضغط على عنقه بحبل ونحوه مما يمنع دخول النفس وخروجه حتى يموت .

(٧٥٤) أى: يكون ذلك الذى قتل نفسه به هو عذابه الدائم فى النار .

(٧٥٥) أى: يُلقى بنفسه من مكان مرتفع.

(٧٥٦) سورة البقرة: من الآية ١٩١ . والآية ٢١٧ بنص ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ ..

اضربوا القتيل ببعض البقرة ليَحيا ويخبركم عن قاتله، فضربوه فأحياه الله وأنبأهم عن قاتله ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ثم يقول الله تبارك وتعالى بعد ذلك مخاطبًا إياهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٥٧).

(إن) قلوبنا قد أصبحت فعلاً بتلك الصورة التى وصفها الله تبارك وتعالى .. (بل أشد)، بدليل أننا قد أصبحنا ندعو الله تبارك وتعالى ليلاً ونهارًا .. أن يكون عونًا لنا، وأن ينصرنا على أعدائنا .. ولكن الله تعالى لا يستجيب لنا .. لماذا ؟ لأن قلوبنا قد ماتت وأصبح عليها ران .. بسبب سوء أعمالنا، وانحطاط أخلاقنا.. قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٥٨).

(وقد) سئل إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه وأرضاه: لماذا ندعو الله تعالى فلا يستجيب لدعائنا؟ فقال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء:

عرفتم الله فلم تُؤدُّوا حُقوقه.

زعمتم أنكم تُحبون رسول الله ﷺ، وتركتم سُنته .

قرأتم القرآن ولم تعملوا به .

أكلتم نِعَم الله، فلم تُؤَدُّوا شكرها.

قلتم إن الشيطان عدوكم ولم تخالفوه.

قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لَها .

قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها.

قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له .

انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم.

دفنتم موتاكم، ولم تعتبروا بهم: فأنَّى يَستجيبُ الله لكم ؟!!.

---

(٧٥٧) سورة البقرة: ٧٣، ٧٤ .

(٧٥٨)سورة المطففين: ١٤ .

(ولهذا) كان لابد لكى يستجيب الله لنا، ولكى تنصلح أحوالنا، وتَصلُح أجسادنا: أن نعمل على إيقاظ قلوبنا، وتطهيرها من هذا الران الذى كان ولا يزال سَبَبًا فى قسوتها .. قال صلوات الله وسلامه عليه:

(.. **ألا وإن فى الجسد مُضغةً، إذا صلُحتْ صَلُحَ الجسدُ كُلُّه، وإذا فسدتْ فسد الجسدُ كُلُّه: ألا وهى القلب**) (٧٥٩).

(وقد) قال العلماء فى توضيح هذا المعنى (٧٦٠):

(**البدن** مملكة النفس ومدينتها، **والقلب** وسط المملكة، **والأعضاء** كالخدم، **والقُوى** الباطنة كَضياع المدينة، **والعقل** كالوزير المُشْفِق الناصح به، **والشهوة** كطالب أرزاق الخُدام، **والغضب** صاحب الشرطة، وهو عبد مكَّار وخبيث يتمثل بصورة الناصح، ونُصْحُه سُمٌّ قاتل، ودأبه أبدًا منازعةُ الوزير الناصح، **والقُوة المخيلة** فى مقدم الدماغ كالخازن، **والقوة المفكرة**: فى وسط الدماغ، **والقوة الحافظة**: فى آخر الدماغ، **واللسان**: كالترجمان، **والحواس الخمسة**: جواسيس، وقد وُكِّلَ كُلٌّ منهم بصَنيعٍ من الصناعات، **فوُكِّلَ العينُ**: بعالم الألوان، **والسمع**: بعالم الأصوات، وكذلك سائرها، فإنها أصحاب الإخبار، **ثم قيل**: هى كالحجة توصل إلى النفس ما تدركه، **وقيل**: إن السمع، والبصر، والشَّمَّ كالطاقات تنظر منها النفس، فالقلب هو الملك، فإذا صلح الراعى،صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت الرعية، وإنما يحصل صلاحه: بسلامته من الأمراض الباطنة، كالغلِّ، والحقد، والحسد، والشُّح، والبخل، والكبرْ، والسُّخرية، والرياء، والسُّمعة، والمكر، والحرص، والطمع، وعدم الرضا بالمقدور. وأمراض القلب كثيرة تبلغ نحو الأربعين .. عافانا الله منها وجعلنا ممن يأتيه بقلب سليم. اهـ .

قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ (٧٦١).

(وقد) أجاب النبى ﷺ فى نص الحديث ـ موضوع الفتوى ـ بالعلاج الأمثل لقساوة القلب.. فقال للرجل فى إيجاز مفيد:

---

(٧٥٩) من حديث صحيح رواه البخارى ومسلم .

(٧٦٠) كما جاء فى شرح الحديث السادس من الأربعين النووية.

(٧٦١) الشعراء: ٨٨، ٨٩ .

(امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين): (ولكى) ندور حول هذا المعنى الكبير .. لابد أن نعرف أولاً: من هو اليتيم ؟ ومن هو المسكين ؟ .

فاليتيم، هو: من مات أبوه وهو دون البلوغ .. أما من ماتت أمه فى وجود أبيه .. فإنه لا يكون يتيمًا .. وكذلك إذا مات أبـوه بعد أن بلغ مبلغ الرجال فإنه لا يكون يتيمًا .. أما إذا مات الأبوان وهو دون البلوغ .. فإنه يُسمَّى يتيم الأبوين .. (واليتيم) من الحيوانات، هو من ماتت أمه .

والمسكين [٧٦٢]، هو: الذى لا يملك قُوت يوم .. وأما الفقير، فهو الذى لا يملك قوت عام .. وقال فريق من الفقهاء: بل الفقير هو الذى لا يملك قوت يوم، والمسكين هو الذى لا يملك قوت عام .. (والحق) أن الفقير هو الذى يكون عنده أقل مما يحتاج، وذلك بأن يكون معه سبعة جنيهات مثلاً ويحتاج إلى عشرة، والمسكين هو الذى ليس عنده شىء أصلاً. (وإذا) ذُكِر الفقير تبعه المسكين، وإذا ذُكِر المسكين تبعه الفقير فهما رجلان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، بمعنى أنه إذا قيل لك: أعط الفقير والمسكين، فالفقير غير المسكين على النحو الذى بيناه، وإذا قيل لك: أعط الفقير، أو أعط المسكين، فهما فى المعنى واحد .. فتأمل ذلك.

(وإعطاء) الأحوج فالأحوج أَوْلَى، بل لو كان هناك من المساكين من يحتاج إلى مال كثير، وليس هناك من هو أحوج منه استحب إعطاؤه الزكاة كلها، فإنْ وُجد فقيران فى الاحتياج سواء، استحب قسم الزكاة بينهما . (هذا) مع ملاحظة: أن الفقير القريب أَوْلَى من البعيد لما له عليك من حق القرابة، وإعطاء الرجل الصالح أَوْلَى من إعطاء غيره .

(بقى) سؤال آخر .. أريد كذلك أن أجيب عليه .. وهو: ما هو المعنى المراد من قول الرسول ﷺ: (امسح رأس اليتيم ..) ؟

إن المعنى، ليس كما يتصور البعض.. مجرد وضع يدك على رأس اليتيم..

---

(٧٦٢) كما جاء فى (الفقه الواضح) جـ٥ ص ٥٨ وما بعدها .

تنفيذًا لوصية الرسول ﷺ.. (وإنما) المعنى المراد، هو أن تكون ـ كمؤمن صادق ـ عَطوفًا عليه، وبارًا به .. (بل) وكفيلاً له .. ومحافظًا على أمواله حتى لا يأكلها ذئاب البشر .

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أنا وكافل اليتيم** [٧٦٣] **فى الجنة هكذا ، وأشار بالسَّبابة والوسطى، وفرَّج بينهما)** [٧٦٤] .

[رواه البخارى وأبو داود والترمذى]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(مَنْ قَبض**[٧٦٥] **يتيمًا من بين مُسلمَيْن إلى طعامه وشرابه: أدخله الله الجنة ألبتَّة** [٧٦٦]**، إلا أن يعمل ذَنْبًا لا يُغفَرُ)** [٧٦٧] [رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **(الساعى على الأرملة والمسكين، كالمجاهد فى سبيل الله، وأحْسَبُه قال: وكالقائم لا يَفْتُر وكالصائم لا يُفْطِر)**[رواه البخارى ومسلم وابن ماجه] إلا أنه قال: **(الساعى على الأرملة**[٧٦٨] **والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله، وكالذى يقوم الليل، ويصوم النهار)** .

(هذا) وإذا كان لنا كذلك أن نُذكِّر بضرورة أن يكون هناك إطعام للمساكين .. وأن يكون هناك كذلك حرص على التيسير على المعسرين، وإدخال السرور على الفقراء والمحتاجين من إخواننا المسلمين، فإنه حسبنا أن ننفذ المشار إليه فى الأحاديث الآتية:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **(المسلم أخو المسلم** [٧٦٩]،

---

(٧٦٣) الكفيل، أى: القيِّم عليه المدبر لمصالحه المتعهد لشئونه .

(٧٦٤) قال فى الفتح: وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبى ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى، وهو نظير الحديث الآخر: (بُعِثت أنا والساعة كهاتين..).

(٧٦٥) يعنى: أخذه وضمه إليه .

(٧٦٦) يعنى: حتماً أو قطعاً .

(٧٦٧) وهو الإشراك بالله عز وجل .

(٧٦٨) أى: التى لا زوج لها .

(٧٦٩) وأخوة الإسلام كأخوة النسب أو أشد .

لا يَظلمُهُ[٧٧٠]، ولا يُسْلِمُهُ [٧٧١]، مَن كَان فى حَاجَة أخيه كان الله فى حاجته[٧٧٢]، ومَن فَرَّجَ عن مُسلم [٧٧٣] كُربَةً، فَرَّجَ الله عنه بها كُربَةً من كُرَبِ يوم القيامة [٧٧٤]،ومَن ستر مُسلمًا [٧٧٥]، ستره الله يوم القيامة [٧٧٦])

[رواه البخارى ومسلم وأبو داود]

وعن أبى موسى ﷺ أن النبى ﷺ قال: **(على كل مسلم [٧٧٧] صدقةٌ) قيل: أرأيتَ إن لم يجد [٧٧٨]؟ قال: (يعتمل بيديه [٧٧٩]، فينفع نفسه [٧٨٠] ويتصدق)، قال: أرأيتَ إن لم يستطع [٧٨١]؟ قال: (يُعينُ ذا الحاجة الملهوف[٧٨٢])، قال: قيل له: أرأيتَ إن لم يستطع ؟ قال : (يأمر بالمعروف أو الخير) [٧٨٣]، قال: أرأيتَ إن لم يفعل؟ قال: (يُمسكُ عن الشر، فإنها صدقة)** [رواه البخارى ومسلم]

(هذا) وإذا كان الهدف من هذا التذكير هو الترغيب فى إطعام الطعام للفقراء والمساكين .. فقد ورد كذلك أنه من الأسباب التى بها سندخل الجنة بسلام إن شاء الله تعالى .

فعن أبى يوسف عبد الله بن سلام ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(٧٧٠) أى: لا يعتدى عليه فى دم ولا عرض ولا مال ولا ينقصه من حقه شيئًا ولا يؤذيه.

(٧٧١) أى: لا يخذله ولا يترك نصرته . . بل ينصره ويدفع عنه.

(٧٧٢) أى: من كان فى حاجة أخيه وساعده . . . قضى الله حوائجه ويسَّر له أمره.

(٧٧٣) يعنى: أزال عنه شدة وكشف عنه غماً نزل به . . كأن يقرضه إذا أفلس فى تجارته.

(٧٧٤) وما أكثر كربها . . التى لا منجى منها إلا لمن عصمه الله ورحمه.

(٧٧٥) أى: رآه على قبيح فلم يظهره للناس . . وإنما نصحه فى السر .

(٧٧٦) بأن يحاسبه فيما بينه وبينه.

(٧٧٧) أى: واجب عليه إخراج صدقة كل يوم عن كل مفصل من مفاصله وهى ثلاثمائة وستون.

(٧٧٨) أى: إن لم يكن له مال يتصدق منه فماذا يصنع؟

(٧٧٩) أى: يعمل عملاً بيديه يكسب به من المال من أى حرفة أو مهنة ولا يقعد عاطلاً .

(٧٨٠) أى: ينفق من كسبه على نفسه وعياله ويتصدق منه .

(٧٨١) أى: إن لم يستطع أن يحترف ويمتهن ويعمل بيديه.

(٧٨٢) أى: يأخذ بيده وينقذه من شدته .

(٧٨٣) أو هنا للشك وليست عاطفة لأن المعروف هو الخير .

(يا أيها الناس: أفشوا السلامَ، وأطعموا الطعامَ، وصِلُوا الأرحامَ، وصَلُّوا والناسُ نيامٌ : تدخلوا الجنةَ بسلام) [رواه الترمذى وقال: حديث صحيح]

(مع) ملاحظة قول الله تبارك وتعالى:

﴿ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ** ﴾ أى: قول جميـــل، وستر على الفقير، على سوء حالته ﴿**خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى** ﴾، أى: خير عند الله، من صدقة يتصدق عليه بها، ويؤذيه بسببها ﴿**وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾ أى: مستغنٍ عما يتصدقون به، لا يُعجل العقوبة لمن يَمنُّ بصدقته .

ثم بعد ذلك يقول سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى**﴾ أى: لا تبطلوا أجور صدقاتكم بالمن والأذى ﴿**كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ** ﴾: كالمنافق الذى ينفق ماله لغـير وجه الله، ليحمده الناس فيقولوا: هو سخىٌّ كريم ﴿**وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ أى: ولا يُصدِّقُ بـوحدانيـة الله، ولا بالبعث بعـد الموت، ليجعل عمله طلب ثوابه ﴿ **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ** ﴾ أى: فمثل هذا المرائى، كمثل حجارة مُلْس، عليها تراب ﴿**فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا** ﴾ أى: فأصاب هذه الحجارةَ المُـلْس، مطرٌ شديدٌ عظيـم، فترك الصفوان صلدًا ، لا تراب عليه، ولا شىء من نبات ولا غيره، فكذلك هؤلاء المراءون، تذهب أعمالهم وتضمحل، كما يذهب المطر الغزير، بما على الصفوان من التراب، فلا يُبقى له أثرًا ﴿**لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا**﴾ أى: لا يقدرون يوم القيامة، على ثواب شىء من أعمالهم، لأنهم عملوها رئاء الناس، وطلب حمدهم ﴿**وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ (٧٨٤) أى: لا يُوفِّقُهم لإصابة الحق، بل يتركهم فى ضلالهم يعمهون.

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا ما جاء فى هاتين الآيتين بصفة خاصة .. حتى لا يكونَ مثلهما كمثل هذا المنافق المرائى .. وليكن مثلهما، كمثل هؤلاء الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم بعد ذلك فى قوله: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ** ﴾ أى: ينفقونها فى طاعة الله، وطلب مرضاته

---

(٧٨٤) الآيتان رقم ٢٦٣، ٢٦٤ من سورة البقرة، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى.

﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أى: وتصديقًا ويقينًا بوعد الله ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ أى: كمثل بستان، بمكان مرتفع من الأرض، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ أى: أصابها مطر شديد عظيم القطر، فأعطت ثمرها ضعفين ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ أى: فإن لم يصبها المطر الغزير أصابها الندى، واللين من المطر ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٧٨٥).

وعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة كذلك أن يكونا دائمًا وأبدًا على صلة باليتامى.. بالكفالة، والإطعام، والحنان الإيجابى، وليحذرا أكل أموالهم .. لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (٧٨٦).

كما يقول تبارك وتعالى قبل ذلك: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٨٧)

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بهذا التذكير الهام ـ اللهم آمين،،

(٥٨) هل الميتُ ينتفع بما يُهدَى إليه من الطاعات وأنواع البر كالصدقة يا رسول الله ؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عُبادة تُوفِّيتْ أُمُّه (٧٨٨) وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله إن أُمِّى تُوفِّيتْ وأنا غائب عنها، فهل ينفعُها إنْ تَصدَّقتُ بشىء عنها؟ قال: (نعم). قال: فإنِّى أُشْهِدكَ أن حائطى (٧٨٩) المِخْرَفَ (٧٩٠) صدقة عليها. [أخرجه أحمد والبخارى، وأبو داود، والترمذى، والنسائى]

---

(٧٨٥) البقرة: الآية ٢٦٥، والتفسير من مختصر الطبرى .

(٧٨٦) النساء الآية ١٠ .

(٧٨٧) النساء: الآية ٩ .

(٧٨٨) أم سعد: هى عمرة بنت مسعود بن قيس، أسلمت وبايعت النبى ﷺ، وماتت سنة خمس من الهجرة وابنها غائب مع النبى ﷺ فى غزوة دومة الجندل، فلما رجعوا صلى النبى ﷺ على قبرها .

(٧٨٩) الحائط: أى البستان .

(٧٩٠) المخرف: أى المثمر .. والمخراف: هو المكان المثمر.

(وعن) أبى هريرة ﷺ أن رجلاً قال للنبى ﷺ: إن أبى مات وترك مالاً ولم يوصِ، فهل يُكَفِّر (٧٩١) عنه أن أتَصَدَّقَ عنه؟ فقال: **(نعم)**.

[أخرجه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه]

(وقال) أنس ﷺ: يا رسول الله، إنا نتصدق عن موتانا ونحج عنهم وندعو لهم، فهل يصل ذلك إليهم؟ فقال: **(نعم . إنه ليصِلُ إليهم ويفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أُهدى إليه)**. [أخرجه أبو حفص العكبرى]

(وعن) سعد بن عبادة ﷺ أنه قال للنبى ﷺ: إن أُمِّى ماتت وعليها نذر، أفيُجزئ عنها أن أعتق عنها؟ قال: **(أعتق عن أُمِّك)** .

[أخرجه مالك وأحمد والبخارى والنسائى]

(وعن) عائشة ﷺ أن النبى ﷺ قال: **(مَنْ ماتَ وعليه صيامٌ صامَ عنه وليُّه)**. [أخرجه أحمد والشيخان]

(ورُوِى) أن رجلاً سأل النبى ﷺ فقال: كان لى أبوان أبَرُّهما حالَ حياتهما، فكيف لى ببرهما بعد موتهما ؟ فقال له النبى ﷺ: **(إن من البرِّ بعد الموت أن تُصَلِّىَ لهما مع صلاتك، وتصوم لهما مع صيامك)** [أخرجه الدارقطنى]

(وعن) أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: **(إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عملهُ إلا من ثلاثة: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له)**

[أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه]

قال فى (الدين الخالص) ج٨، ص ٧٤ وما بعدها .. الخ بتصرف واختصار: (والأحاديث) فى هذا كثيرة، وكلها تدل على أن الميت ينتفع بعمل الحى من دعاء، وصلاة، وصدقة، وصيام، وحج .. وغير ذلك من أنواع البر من غير أن ينقص من أجر العامل شىء، وبه قال جمهور أهل السنة منهم الحنفيُّون وأحمد.

(وقد) أمر الله تعالى بالدعاء للوالدين بقوله: **﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى**

---

(٧٩١) ويحتمل أن المتوفَّى لم يؤد زكاة وجبت عليه . . (ويحتمل) أنه ترك الوصية مع كثرة ماله . . وعدَّ هذا سيئة.

صَغِيراً﴾[٧٩٢]، وأخبر باستغفار الملائكة للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾[٧٩٣]. وقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[٧٩٤].

ثم يقول:(فهذه) الأدلَّة تفيد القطع بحصول الانتفاع بعمل الغير، ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٧٩٥]: لأن المؤمن إذا عَمِلَ عملاً خيريًا وقصد به أخاه المؤمن وصل إليه ثوابه بسبب إيمانه، فكأنَّه من عمله، (وقيل): إن الآية مخصوصة بغير ما دلَّت عليه الأدلَّة السابقة، من أن الإنسان ينتفع بعمل غيره من دعاء وصلاة وصدقة وقراءة قرآن.

(وعن) عكرمة أن الآية خاصة بقوم موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام . (أما) هذه الأمة فالواحد منها ينتفع بعمل غيره لما تقدم (وقيل): المراد بالإنسان فى الآية الكافر، أى: ليس له من الخير فى الدنيا إلاَّ ما عمل هو، فَيُثَابُ عليه بالتوسعة فى رزقه والعافية فى بدنه، وليس له فى الآخرة شىء .

ثم يقول، ما خلاصته:

(هذا): واعلم أن العبادة مالية وبدنية، (فالمالية) كالصدقة: نَبَّه الشارع بوصول ثوابها على وصول ثواب سائر الأعمال المالية (أمَّا) أداء الدَّيْن فبالإجماع ولو كان من أجنبى بلا إذن (ونَبَّه) بوصول ثواب الصوم، وهو من العبادة البدنية على وصول ثواب العبادات البدنية. (ونَبَّه) بوصول ثواب الحج المركَّب من عبادتين مالية وبدنية على وصول ثواب المركَّب منهما (ومشهور) مذهب مالك والشافعى: أن ثواب العبادة البدنية لا يصل كالصلاة والصيام وقراءة القرآن أخذًا بعموم قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾، وقد علمتَ أن الآية لا تنافى انتفاع الميت بعمل غيره من قراءة وغيرها. (ولذا) قال

(٧٩٢) سورة الإسراء: آية ٢٤.
(٧٩٣) سورة الشورى: آية ٥ .
(٧٩٤) سورة غافر: آية ٧ .
(٧٩٥) سورة النجم: آية ٣٩ .

الحنفيون وأحمد: إنه ينتفع بعمل غيره إذا أُدِّى بخشوع وخضوع ووقار، ولم تكن القراءة بأجر وكانت على الوجه المشروع.(قال) ابن القيم: أفضل ما يُهدى إلى الميت العِتْقُ، والصدقة، والاستغفار، والدعاء له، والحج عنه.

(وأما) قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعًا بغير أجرة فيصل إليه ثوابها كما يصل ثواب الصوم، والحج. (ولذا) اختار المحققون من أصحاب مالك والشافعي: أن ثواب القراءة يصل إلى الميت إذا جُعلت من قبيل الدعاء بأن يقول: اللهم اجعل لفلان مثل ثواب ما قرأت [٧٩٦] (قال) النووى: أجمع العلماء على أن الدعاء للأموات ينفعهم ويصل ثوابه إليهم لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾[٧٩٧] وغيرها من الآيات والأحاديث كقول النبى ﷺ:(اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد) وقوله ﷺ: (اللهم اغفر لحيِّنا وميِّتنا).

ثم بعد ذلك يقول فى الدين الخالص: (واختلف) العلماء فى وصول ثواب قراءة القرآن، فالمشهور من مذهب الشافعى أنه لا يصل. (وذهب) أحمد بن حنبل وجماعة من أصحاب الشافعى إلى أنه يصل .. فالاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه: اللهم أوصل مثل ثواب ما قرأته إلى فلان [٧٩٨] .

وأنا أقول بعد ذلك متسائلاً ومتعجِّبًا: كيف يهب الإنسان مثل ثواب قراءته إلى فلان من الموتى .. وهو لا يدرى ـ أى القارئ ـ إذا كان الله تبارك وتعالى قد قَبِل منه تلاوته أم لا؟

كما أقول كذلك ـ كما قال أحد الصالحين ـ إن قراءة القرآن عند القبر قد تكون سببًا فى تعذيب الميت ـ لأن هذا الميت لم يكن فى حياته منفذًا لما فى القرآن من الأوامر .. ومجتنبًا لما فيه من المنهيات .. الخ. (ولهذا) فإن القرآن حينئذ سيكون حجة عليه لا له .. (وعندما) سيُتلى القرآن بجوار قبره فإن الملَك

---

(٧٩٦) أى: من القرآن .

(٧٩٧) سورة الحشر: الآية ١٠ .

(٧٩٨) انظر: ص ٢٠٤ جـ٤ شرح الأذكار (ما ينفع الميت من قول غيره) .

سيضربه على رأسه بمرزبَّة من حديد.. وهو يقول له: ألم تسمع هذا القرآن فى حياتك .. وإذا كنتَ قد استمعت إليه.. فلِمَ لَمْ تنفذه..؟ وهكذا إلى أن يبعث إن شاء الله .. والله أعلم.

وعلى هذا، فإن (الراجح) الذى تشهد له الأدلة الثابتة ـ كما يقول فى الدين الخالص [٧٩٩] ـ هو أن قراءة القرآن عند القبر مكروهة لأنه لم يثبت فيها حديث مرفوع صحيح ولا حسن، ولم ينقل عن أحد من الصحابة ولا التابعين .. ولذا قال الإمام أحمد: القراءة عند القبر بدعة. ـ وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار ـ كما قال الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى يفعلا ما اتفق عليه أهل السنة .. وهو وصول الصدقة على الميت والدعاء له .. وقضاء دَيْنه .

وعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كذلك ضرورة أن يقدم كل واحد منهما خيرًا لنفسه قبل فوات الأوان.. وقبل أن يقول كما يحكى الله تعالى فى قرآنه: ﴿رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٨٠٠] . والله الموفق للصواب .

(٥٩) ما تقولُ فى الصلاة ، والصَّوْم ، والصَّدقة .. وهل مع الإيمان عملٌ .. وهل للإنسِ شياطين يا رسولَ الله؟

عن أبى ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله، ما تقول فى الصلاة [٨٠١]؟ قال : (**تَمامُ العمل**) [٨٠٢] . قلت : يا رسول الله ، تركتَ أفضل عمل فى نفسى

---

(٧٩٩) ج٨ ص ٨١ .

(٨٠٠) المنافقون: من الآية ١٠، ١١ .

(٨٠١) أى: ما الذى تقوله فى فضل الصلاة ومنزلتها . . وأبو ذر فى هذا الحديث يسأل عن قيم الأعمال ليأخذ نفسه بالأهم فالأهم منها .

(٨٠٢) يعنى: أنها أفضل الأعمال وخيرها .

أو خيره [٨٠٣] ؟ قال: **(ما هو؟)** قلت : الصومُ. قال: **(خير وليس هناك)** [٨٠٤] قلت: **يا رسول الله، وأىُّ الصدقة، وذكر كلمة**[٨٠٥]. **قلتُ: فإن لم أقْدر**[٨٠٦]؟ قال: **(بفَضْل طعامكَ)**[٨٠٧]. قلتُ: فإن لم أفعل[٨٠٨]؟ قال: **(بِشِقِّ تمرة)**[٨٠٩] قلت: فإن لم أفعل؟ قال : **(بكلمة)** [٨١٠]. **قلتُ: فإن لم أفعل؟ قال: (دَعِ الناسَ من الشَّرِّ** [٨١١]**، فإنها صدقةٌ تصدَّق** [٨١٢] **بها على نفسك)** قلت: فإن لم أفعل؟ قال: **(تُريد أن لا تدع فيك من الخير شيئًا)**[٨١٣].

[رواه البزار، واللفظ له، وابن حبان فى صحيحه أطول بنحوه، والحاكم]

وروى البيهقى، ولفظه فى إحدى رواياته، قال: سألتُ رسول الله ﷺ: **ماذا يُنجى العبدَ من النار**[٨١٤]؟ قال: **(الإيمان بالله)**[٨١٥]. **قلت: يا نبى الله، مع الإيمان عمل؟**[٨١٦] قال: **(أن ترضخ مما خَوَّلك الله** [٨١٧]**، وترضخ مما رزقَك**

---

(٨٠٣) يعنى: أن أبا ذر كان يرى أن أفضل الأعمال وخيرها هو الصيام حتى سمع ما قاله الرسول ﷺ فى الصلاة . . وأو هنا للشك.

(٨٠٤) أى: ليس هو أفضل الأعمال كما كنت تظن ولكنه من خيرها .

(٨٠٥) ولم يذكرها الراوى لأنه نسيها وتقديرها أفضل أو أعظم أجرًا فقال له : (جهد من مقل أو سر إلى فقير).

(٨٠٦) يعنى: إن لم أجد ما أتصدق به .

(٨٠٧) أى: بما بقى منه ولو لقمة أو لقمتان.

(٨٠٨) لأنه لم يكن لى فضل طعام .

(٨٠٩) أى: بنصفها.

(٨١٠) وهو رد السائل بالمعروف والعدة الجميلة ولين الكلام للناس والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(٨١١) أى: اجتنب كل ما يؤذى الناس من قول أو فعل : فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

(٨١٢) أى: تتصدق فحذفت إحدى التاءين للتخفيف.

(٨١٣) وذلك لأن من يعجز عن فعل أقل الخير ثم لا يقدر أن يحبس نفسه عن الشر يكون مجردًا من كل خير .

(٨١٤) أى: ما الذى إذا فعله العبد يكون سبباً فى نجاته من النار .

(٨١٥) لأن الإيمان بالله . . هو أساس الأعمال كلها ولا نجاة لأحد من عذاب الله إلا به .

(٨١٦) يعنى: هل هذا الإيمان بمجرده كَاف فى النجاة أم يحتاج إلى عمل ؟

(٨١٧) أى: أن تعطى اليسير مما تملك من نعم الله وفضله . . لأن الرضخ العطاء القليل، ومعنى خوَّلك، أى : أعطاك.

الله) قلت: يا نبى الله،فإن كان فقيرًا لا يجد ما يرضخ؟ قال: **(يأمر بالمعروف**[٨١٨] **وينهى عن المنكر** [٨١٩]) قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر ؟ قال: **(فليُعنِ الأخرق)**[٨٢٠] قلت: يا رسول الله، أرأيتَ إن كان لا يُحسنُ أن يصنَع ؟ قال : **(فليُعن مظلومًا** [٨٢١]) . قُلت يا نبى الله، أرأيتَ إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يُعين مظلومًا؟ قال : **(ما تُريد أن تترك لصاحبك من خير**[٨٢٢]**، ليُمسكْ أذاه عن الناس)** [٨٢٣] قلتُ: يا رسول الله، أرأيتَ إنْ فعل هذا يُدخلُه الجنة؟ قال: **(ما من عبد مؤمن يُصيب خَصْلةً من هذه الخصال** [٨٢٤]**، إلا أخذَتْ بيده حتى تُدخلهُ الجنةَ)** [٨٢٥].

وروى الإمام أحمد عن أبى ذر من حديث عبيد بن الخشخاش ـ بألفاظ تختلف كثيرًا عن الذى فى الحديثين السابقين ـ قال أبو ذر: أتيتُ النبى ﷺ وهو فى المسجد فجلست، فقال: **(يا أبا ذر هل صَلَّيتَ؟)** قلت: لا. قال : **(قُمْ فَصَلِّ)** قال: فقمتُ فصليتُ ثم جَلَسْتُ، فقال : **(يا أبا ذر تعوَّذ بالله من شر شياطين الإنس والجن)** قال : قلت: يا رسول الله أوَ للإنس شياطين؟ قال: **(نعم)** قال: قلت: يا رسول الله، فالصلاة؟ قال: **(خير موضوع** [٨٢٦] **من شاء أقلَّ ومن شاء أكثر)** قال: قلت: يا رسول الله فالصوم؟ قال : **(فرض مُجزئ وعند الله مزيد)** قلت: يا رسول الله فالصدقة؟ قال: **(أضعاف مضاعفة)** قلت: يا رسول الله فأيها أفضل؟ قال: **(جُهد من مقل ، أو سِرٌ إلى فقير)** .

---

(٨١٨) المعروف : كلمة جامعة تشمل كل ما عُرِف حُسْنه عقلاً أو شرعاً مما أمر الله به ورسوله .

(٨١٩) وهو كل ما عُرِف قُبحه مما نهى عنه الله ورسوله نهى كراهة أو تحريم .

(٨٢٠) والأخرق أى الذى لا يحسن العمل .

(٨٢١) بأن يقوم معه حتى يرد إليه مظلمته .

(٨٢٢) يعنى: إذا كان لا يستطيع شيئًا من هذا كله فلا مال ينفق منه ولا نهيًا عن منكر، ولا إعانة لعاجز ولا نصرًا لمظلوم . فماذا بقى فيه من الخير ؟

(٨٢٣) يعنى: ليكف عن الناس شره فلا يبسط لهم يدًا ولا لسانًا بسوء.

(٨٢٤) أى: المتقدمة، ومنها كفُّه شره وأذاه عن الناس.

(٨٢٥) أى: أعانته وأنهضته وقادته وهو تعبير رائع.

(٨٢٦) أى: خير شىء وضعه الشارع. وفى رواية صحيحة أيضًا : (واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة).

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة.. أن ينتفعا بكل هذا الخير المشار إليه فى هذه الأحاديث الشريفة من خلال إجاباته صلوات الله وسلامه عليه.. مع ملاحظة شىء هام.. وهو أن الأساس فى هذا الخير هو حرص أبى ذر ﷺ على طلب العلم النافع.. الذى بدونه ـ والعياذ بالله ـ سنتخبط فى ظلمات الجهل.. وسننقاد إلى الخرافات والأوهام . ولهذا فقد ورد فى الحديث (عن) معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ **(مَن يُرِدْ اللهُ به خيرًا يُفقِّهه فى الدين)** [رواه البخارى ومسلم وابن ماجه]

نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعًا .. من المتفقهين فى دينه .. اللهم آمين،،

(٦٠) ما الذى يخلطُ بلا إله إلا الله .. يا رسول الله؟

عن زيد بن أرقم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :

(إن الله عز وجَلَّ عَهِدَ إلىَّ ألا يأتينى أحَدٌ مِنْ أُمَّتى بلا إله إلا الله، لا يخلطُ بِهَا شيئًا، إلاَّ أوجَبْتُ له الجنَّةَ، قالوا: يا رسول الله، وما الذى يخلط بلا إله إلا الله؟ قال : حِرصًا على الدنيا، وجمعًا لها، ومنعًا لها، يقولون قولَ الأنبياء، ويعملون أعمال الجبابرة) .

[أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول]

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى أمر من أخطر الأمور التى لابد أن نلتفت إليها بقلوبنا .. حتى نكون من أهل التوحيد الخالص .. وحتى لا نخلط بلا إله إلا الله .. بهذا المعنى الذى أوجزه الرسول ﷺ فى ختام الحديث بكلمات تتطلب منَّا تفكيرًا طويلاً .. لابد أن نصل عن طريقه إلى الأسباب الأساسية فى هذا الخلط.. الذى هو الأساس فى كل ما أصاب الناس ـ والمسلمين بصفة خاصة ـ من نكبات وأزمات .

(وقبل) أن نفكر فى كل هذا المشار إليه.. فإننى أرى أن نبدأ أولاً بمعرفة

المعنى المراد تنفيذه من كلمة التوحيد، وهى: لا إله إلا الله .. التى ورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها :

(حديث) عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (عبدالله بن عمرو) أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (**خير الدعاءِ دُعاءُ يوم عرفة، وخيرُ ما قلتُ أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير**).

[أخرجه مالك والترمذى واللفظ له، وقال: حديث غريب]

(وحديث) جابر ﷺ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (**أفضلُ الذِّكْر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله** [٨٢٧]) . [أخرجه أحمد والنسائى والترمذى وقال: حسن غريب وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه]

(وحديث) أبى سعيد الخُدرِىِّ ﷺ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : (**قال موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب علِّمني ما أذكرك به، وأدعوك به. فقال : يا موسى قل : لا إله إلا الله . قال موسى عليه الصلاة والسلام : يا رب، كل عبادك يقولون هذا. قال : قل : لا إله إلا الله. قال : لا إله إلا أنت. إنما أُريد شيئًا تخصُّنِى به. قال : يا موسى لو أن السموات السبع وعامِرهُنَّ غيرى، والأرضينَ السبع فى كِفة، ولا إله إلا الله فى كِفَّة، لمالتْ بهنَّ لا إله إلا الله**). [أخرجه النسائى وابن حبان]

(وحديث) عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (**التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملؤه، ولا إله إلا الله، ليس لها دون الله حجابٌ حتى تخلُصَ إليه**) [٨٢٨]. [أخرجه الترمذى]

وقد أشار فى الجزء الأول من (الدين الخالص) إلى أهمِّ ما يتعلق بكلمة التوحيد من أحكام، فيقول تحت عنوان :

---

(٨٢٧) أُطلق على الحمد دعاء على سبيل التجوُّز، لأن الحمد يتضمن الدعاء لقوله تعالى: ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ (إبراهيم:٧) أى: فمن حمد الله تعالى كأنه يقول : رَبِّ أدِمْ علىَّ نعمتك وزدنى منها.

(٨٢٨) هذا من المتشابه المصروف عن ظاهره باتفاق السلف والخلف.

حُكم النطق بكلمة التوحيد

يجب على مَن نشأ مؤمنًا، أن يذكرها فى العمر مرة ناويًا أداء الواجب، وإلا فهو عاصٍ. ثم ينبغى له الإكثار من ذكرها عارفًا معناها مستحضرًا ما احتوت عليه لينتفع بذكرها دنيا وأخرى. فتتفجَّر ينابيع الحِكَم من قلبه، ويرى لها من الأسرار والعجائب إن شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر.

(وأما الكافر) الذى يريد الدخول فى الإسلام، فذكره لها ليس شرطًا فى صحة إيمانه ولا جزءًا من مفهومه، وإنما جعل الشرع النطق بالشهادتين شرطًا لازمًا لإجراء الأحكام الدنيوية على المؤمن كالصلاة خلفه، والصلاة عليه، ودفنه فى مقابر المسلمين، وتزوجه مسلمة.. (فإذا) لم ينطق بهما لعذر كالخرس، أو لم يتمكن من النطق بهما، بأن مات عقب إيمانه بقلبه، أو اتفق له عدم النطق بهما بعد الإيمان بقلبه (فهو مؤمن) عند الله وناجٍ فى الآخرة (وأما) من امتنع عن النطق بهما عنادًا بعد أن عُرِض عليه ذلك (فهو كافر) والعياذ بالله تعالى، ولا عبرة بتصديقه القلبى مع هذا الامتناع . ثم يقول تحت عنوان:

تَضَمُّنُها العقائد

كل ما تقدم من العقائد [٨٢٩] يندرج فى كلمة التوحيد، وذلك أن معنى لا إله إلا الله : (لا معبود بحق إلا الله) .. (ويلزم) هذا المعنى أن يكون غنيًا عن كل ما سواه، وأن يفتقر إليه كل ما عداه.

(ويلزم) كونه غنيًا عن كل ما سواه، (أ) وجوب الوجود له والقِدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والسمع والبصر والكلام وعدم الغَرَضِ فى فعل مَّا أو حُكم كذلك، وعدم التأثير بالقوة المودعة، وعدم وجوب فعل عليه تعالى (ب) واستحالة العدم والحدوث، والفناء، والمماثلة للحوادث، والاحتياج

---

(٨٢٩) يعنى: كل ما ذكره من أول الكتاب . . حول الواجب والمستحيل والجائز فى حق الله تبارك وتعالى . . وما يتعلق بالسمعيات . . والإيمان بالرسل . . والعلامات الصغرى والكبرى بالنسبة ليوم القيامة . . .الخ.

لموجد أو ذات يقوم بها. والصَّمم، والعمى. والبَكَم. والتأثير بالقوة المودَعة، والغرض فى فعل أو حكم مَّا. ووجوب فعل عليه تعالى.

(فهذه) اثنتان وعشرون عقيدة، منها الواجب له تعالى، ومنها المستحيل فى حقه تعالى.

(ويلزم) كونه مفتقرًا إليه كل ما عداه (أ) وجوب الوحدانية له تعالى فى الذات والصفات والأفعال، والحياة والعلم والإرادة والقدرة، وحدوث العالم، وعدم التأثير بالعلَّة والطبع والتولُّد (ب) واستحالة التعدُّد فى الذات والصفات والأفعال اتصالاً وانفصالاً على ما تقدم، والموت والجهل والكراهية والعجز، وقِدَم العالم والتأثير بالعلَّة والطبيعة والتولُّد.

(فهذه) أربع عشرة عقيدة ما بين واجب له تعالى ومستحيل عليه تعالى .

ثم يقول:

(ومعنى) محمد رسول الله : ثبوت الرسالة له صلى الله عليه وآله وسلم، ويندرج تحته: (أ) وجوب الأمانة والتبليغ والصدق، واتصافه بما لا نقص فيه، سواء أكان واجبًا كالفطانة وعدم دناءة الآباء والأمهات، أم جائزًا كالمرض والجوع . (ب) وإيماننا بجميع الأنبياء والكتب والملائكة واليوم الآخر، والقضاء والقدر. (جـ) واستحالة الخيانة والكتمان والكذب، واتصافه بما فيه نقص كالبلادة والجنون والعمى.

(فهذه) أربع عشرة عقيدة [٨٣٠] تُضم لما تقدم تكون جملتها خمسين عقيدة.

وعلى هذا، فإن كلمة التوحيد [٨٣١]، هى الكلمة التى من أجلها بعث الله الرسل، وأنزل الكتب، وجعلها فارقة بين الإيمان والكفر، وبين أهل السعادة وأهل الشقاوة.. (فهى) الأساس الذى لا يقبل الله من أحد عملاً إلا إذا بُنِىَ عليها، وهى القطب الذى لا تدور رحى الشريعة إلا به، وهى زبدة رسالات الرسل،

---

(٨٣٠) أربع برقم (أ) وستة برقم (ب) وأربع برقم (جـ) .

(٨٣١) كما جاء فى هامش الترغيب والترهيب ج٢ ص ٦٨٩ .

وخلاصة دعوتهم ومُفتتح كلامهم.. فما أُرسلَ أحد منهم إلى قومه إلا كان التوحيد أول ما يدعوهم إليه .. (وهى) كلمة التقوى التى ألزمها الله حزبه وأولياءه، وحَرم منها أعداءه.

(وقد) جمعت هذه الكلمة العظيمة التى هى عنوان الإسلام بين النفى والإثبات فنفت بصدرها الإلهية عن كل ما سوى الله عز وجل، وأعلنت البراءة من كل معبود باطل، وأثبتت بعَجُزها الإلهية لله وحده.. ولهذا قالوا فى تفسيرها: لا معبود بحقٍّ فى الوجود كُلِّه إلا الله .. فهى فى معنى قول مؤسِّس الحنيفية إبراهيم خليل الرحمن لقومه : ﴿ **إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ** ﴾ (٨٣٢).

غير أن كل هذا بالنسبة لنا يتوقف على تحقيق المعنى المراد من هذه الكلمة التى هى أفضل الكلمات ..

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله، مَن أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: **(لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحدٌ أوَّلَ منك لما رأيتُ من حرصك على الحديث: أسعدُ الناسِ بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه)**.

[رواه البخارى]

(وهذا) معناه أن الذى سيفوز بشفاعة الرسول ﷺ ـ من أهل الكبائر من أمته ـ هو من قالها بلسانه مع اعتقاد القلب لمضمونها ومع العمل بمقتضاها.. فتكون عبادته كلها لله .. (وقد) قالت طائفة من العلماء : التلفظ بكلمة التوحيد سبب يقتضى دخول الجنة والنجاة من النار، بشرط أن يأتى بالفرائض، ويجتنب الكبائر، فإن لم يأت بالفرائض، ولم يجتنب الكبائر لم يمنعه التلفظ بكلمة التوحيد من دخول النار..

(هذا) مع ضرورة تنفيذ المراد منها .. وأن لا يسأل إلا الله، ولا يخاف إلا من الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يعتمد إلا على الله، ولا ينحنى إلا لله .. (فإن)

---

(٨٣٢) الزخرف : من الآية ٢٦، ٢٧.

فعل غير ذلك وكان من الذين يعبدون مع الله غيره.. بمعنى أن يعبد الدرهم والدينار، والشمس والقمر والحجر والبقر والشجر .. والشهرة والشهوة .. الخ (فهو) ليس من أهل التوحيد الخالص.. (وإنما) هو من المشركين والعياذ بالله .. وإلى هذا يشير أحد الصالحين فى قوله الذى كان يخاطب فيه أحد هؤلاء المشركين :

لَكَ ألفُ معبودٍ مُطَاعٍ أمرُهُ دونَ الإلهِ وتَدَّعِى التوحِيدَ

(بل) وكان أحد الموحدين يتباهى بأنه من الذين يحبون رسول الله ﷺ وأنه من أهل التوحيد الخالص، فيقول مناجيًا ربه :

يا ربِّ إن ذنوبى فى الورى كثُرتْ وليسَ لى عملٌ فى الحَشْرِ يُنجِينى
وقد أتيتُك بالتوحيد يَصحبُه حبُّ النبىِّ وهذا القدرُ يكفينى

(فإذا) كان هناك من حُرِمَ من هذا التوحيد الخالص.. فإنه ما كان إلا بسبب هذا الخلط الذى أشار إليه الرسول ﷺ فى الحديث الأول .. (والذى) ما كان إلا بسبب الانشغال بالدنيا التى كانت ولا تزال سببًا فى كل ما نحن فيه من غفلة واستهتار .. بتلك الصورة التى جعلت أكثرنا لا يفكر إلا فى ملذاته وشهواته .. مع أنه لو فكر فى حقيقة الدنيا لما شُغل بها أكثر من المطلوب الضرورى الذى يُغنيه عن السؤال .. ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٣٣).

فلابد إذًا من العمل الذى يغنينا عن المسألة والذى به سنحقق الهدف من وجودنا فى هذه الحياة.. وذلك بتنفيذ أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه.. من خلال الزرع والحصد والضرب فى الأرض طلبًا للرزق، كما أمرنا الله تبارك وتعالى بهذا حتى فى يوم الجمعة كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (٨٣٤). (مع) ضرورة أن نعتبر أنفسنا غرباء فى هذه الدنيا .

---

(٨٣٣) المنافقون : من الآية ٨ .

(٨٣٤) الجمعة : من الآية ١٠ .

(فعن) ابن عمر ﷺقال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنكبى فقال : **(كُن فى الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ)** وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول[٨٣٥] : إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساءَ، وخُذ من صحتِكَ لمرضِكَ، ومن حياتِكَ لموتك). [رواه البخارى]

(فالمعنى) المراد من قوله ﷺ: **(كُنْ فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)**[٨٣٦] أى: لا تركن إليها ولا تتخذها وطنًا ولا تُحدِّث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق الغريب به فى غير وطنه الذى يريد الذهاب منه إلى أهله .. وهذا هو معنى قول سلمان الفارسى ﷺ: أمرنى خليلى صلى الله عليه وآله وسلم: أن لا أتخذ من الدنيا إلا كمتاع الراكب.. (ولله) دَرُّ من قال :

أتبنِى بناءَ الخالدين وإنما ... مُقامُكَ فيها لَوْ عقلتَ قليلُ
لقدْ كانَ فى ظِلِّ الأراكِ كفايةٌ ... لمن كانَ فيها يعترِيه رَحيلُ

وأيضًا يقول أحدهم :

ترجُو البقاءَ بدارٍ لا بقاءَ لَهَا ... وهَلْ سمعتَ بظِلٍّ غير مُنتقِلِ

كما يقول أحدهم :

سُجِنْتَ بها وأنت لها مُحِبٌّ ... فكيف تُحِبُّ ما فيها سُجِنْتَا
فلا تَلْهُو بدارٍ أَنْتَ فيها ... تفارق منك يومًا ما لَهَوْتَا
وتُطْعِمُكَ الطعامَ وعن قريبٍ ... سَتُطعَمُ منك ما منها طَعِمتا

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يكونا أولاً إن شاء الله من أهل التوحيد الخالص إذا ما نفذاه على هذا الأساس الذى وقفا عليه.. (بل) وحتى يكونا من هؤلاء الزاهدين فى هذه الدنيا.. بمعنى أن

---

(٨٣٥) أى: معلقًا على كلام الرسول ﷺ .

(٨٣٦) كما جاء فى شرح : (الحديث الأربعون) من الأربعين النووية.

يخرجوها من قلوبهم بهذا المعنى الذى قال فيه العلماء : ليس الزاهد مَنْ لا مالَ عنده، وإنما الزاهد من لم يُشغِل المالُ قلبَهُ وإن أُوتِىَ مثلَ ما أوتِىَ قارون .

(وهذا) معناه أنه لا مانع أن يكون معك مال ـ حلال ـ كمال قارون .. ولكن على شريطة أن يكون هذا المال الحلال فى يدك لا فى قلبك .. لأنه إذا كان فى يدك استطعت أن تستَغلَّه فى طاعة الله تعالى .. أما إذا كان مُتَربِّعًا على قلب البعيد .. فإنه سيكون مطية له .. بمعنى أن الدنيا هى التى ستركبه لكى توجهه إلى أى اتجاه تشاء .. و(لهذا) فقد ورد فى الحديث : (نِعْمَ المالُ الصالحُ للرجل الصالح).

(وعليهما) كذلك أن لا يغترّا بالدنيا حتى لا يكونا من عُـبَّادها المشار إليهم فى ختام الحديث الذى ندور حوله .. وهم الذين يخلطون : (بلا إله إلا الله .. حرصًا على الدنيا، وجمعًا لها، ومنعًا لها.. يقولون قول الأنبياء، ويعملون أعمال الجبابرة).

نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا من أهل هذا الخلط المشين .. والذى ليس من خصال المؤمنين الموحدين .. ونحن نسأله سبحانه وتعالى أن يُخرِج حُبَّ الدنيا من قلوبنا.. وأن يجعلها بالنسبة لنا مزرعة خير لصالح الآخرة التى هى دار القرار.. ودار النعيم الأبدى..

اللهم آمين .. اللهم آمين .. اللهم آمين،،

(٦١) ما هو أوَّلُ ما يُبَشَّر به المؤمنُ .. يا رسول الله؟

عن سلمان الفارسىِّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

(أوَّلُ ما يُبَشَّر به المؤمنُ : رَوْح وَرَيْحانٌ، وجنَّةُ نَعيم، وإن أول مَا يُبَشَّر به المؤمنُ، أن يُقالَ له: أبشِرْ ولِىَّ الله برضاهُ والجنَّة، قَدِمتَ خَيْر مَقدِم، قد

غفر الله لمن شَيَّعَكَ واستجاب لمن استغفر لك، وقَبِلَ مَن شَهِدَ لَكَ)

[أخرجه ابن أبى شيبة وأبو الشيخ فى الثواب]

ففى هذا الحديث الشريف يُبَشِّر الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه المؤمنين والمؤمنات كما يُبشِّر المشيِّعين لهم.. بكل تلك البُشْريات العظيمة التى نحن جميعًا كمؤمنين ومؤمنات فى أشد الحاجة إليها .. حتى نكون بها ـ إن شاء الله تعالى ـ من المطمئنين على مستقبلنا عنده سبحانه وتعالى، منذ اللحظة الأولى التى سنكون فيها داخل قبورنا.. التى هى أول منزل من منازل الآخرة .

(فقد) ورد عن عثمان بن عفان ﷺ أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :

(القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر، وإن لم يَنْجُ منه فما بعده أشد منه)، وقال ﷺ: **(ما رأيت منظرًا إلا والقبر أفظع منه)** (٨٣٧) [أخرجه الترمذى وقال : حسن غريب، ورزين وزاد]: قال هانئ: سمعت عثمان يُنشد :

فإن تنجُ منها تنجُ من ذى عظيمة ... وإلاَّ فإنِّى لا إخَالُكَ ناجيًا

(لهذا) فإن المؤمن الصادق ـ إن شاء الله ـ سيكون فى أشد الحاجة إلى تلك البشريات المشار إليها فى نص الحديث، والتى أولها أنه سَيُبَشَّر من جانب ملائكة الرحمة الذين سيستقبلونه ـ ذكرًا كان أو أنثى ـ بالرَّوْح والريحان، وجنة النعيم .. ولعل هذا، هو المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى:

﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ * فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أى : فأما إن كان الميت، من الذين قرَّبهم الله من جواره فى جناته **﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾** أى : فله الرحمة، والمغفرة، والرزق الطيب الهنىء، وله ريحانٌ يُتَلَقَّى به عند الموت **﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾** (٨٣٨) أى : وله بستان يتنعَّم فيه .

---

(٨٣٧) أى: أشد وأشنع .

(٨٣٨) الواقعة : ٨٣ ـ ٨٩، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى باختصار وتصرف.

(وهذا) معناه كذلك، أن المؤمن سيكون فى كنف الله تعالى ورحمته من اللحظة الأولى التى سيكون فيها داخل قبره بعد أن يسأله (مُنكر ونكير).

(فقد) ورد عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

(إن العبد إذا وُضِع فى قبره وتولَّى عنه أصحابه حَتَّى إنَّه ليَسمعُ قرع نِعالِهم إذا انصرفوا أتاه مَلَكانِ فيُقعِدانِه، فيقولان له: ما كنتَ تقول فى هذا الرجل؟ لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم. فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا، ويُفسَحُ له فى قبره سبعون ذراعًا ويُملأُ عليه خُضْرًا إلى يوم يُبْعَثون. وأما الكافر أو المنافق فيُقال له: ما كُنتَ تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى، كنتُ أقول ما يقول الناس. فيُقال له: لا دَرَيتَ ولا تليت (٨٣٩) **ويُضرب بمطارق من حديد ضربَةً بين أُذنَيْه، فيَصيحُ صَيْحَةً يَسمعُها مَن يَليه غير الثَّقلين** (٨٤٠) **ويُضَيَّقُ عليه قبره حتى تختلف أضلاعه).** [أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائى واللفظ للبخارى]

(وعن) البَراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر وَلَمَّا يُلْحد. فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلسنا حوله وكأن على رءوسنا الطيرَ، وفى يده عود ينكتُ به فى الأرض، فرفع رأسه فقال: **(استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثًا، ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيضُ الوجوه كَأنَّ وجوهَهُم الشمس، معهم كَفَنٌ من أكفانِ الجنَّة، وَحنُوطٌ** (٨٤١) **من حَنُوطِ الجنَّةِ حتى يجلِسُوا منه مَدَّ البَصَر. ثم يَجِيءُ مَلَكُ الموتِ عليه السلام حتى**

---

(٨٣٩) أى : لا عرفتَ الحق بنفسك ولا اتبعتَ من يعرف .

(٨٤٠) وهما الجن والإنس .

(٨٤١) حَنُوط كرسول : طيب يخلط للميت خاصة، وكل ما طُيِّبَ به الميت من مسك وغيره.

يجلس عند رأسه، فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان. قال : فتخرجُ تَسيلُ كما تَسيلُ القطرةُ من فِيِّ السِّقَاء، فإذا أخذها لم يَدَعوها فى يده طَرْفَةَ عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنُوط، ويخرج منها كأطيب نَفْحة مسْك وُجِدَت على وجه الأرض. قال: فيَصْعدُونَ بها فلا يَمُرُّونَ على مَلأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الطيب؟ فيقولون: فلان بنُ فُلانٍ بأحسنِ أسمائه التى كانوا يُسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له، فيُفتَحُ لهم: فيُشَيِّعُهُ من كل سماء مُقَرَّبوها إلى السماء التى تليها حتى يُنْتَهَى به إلى السماء السابعة. فيقول الله عز وجَلَّ: اكتبوا كتاب عبدى فى عِلِّيِّنَ وأعيدوه إلى الأرض، فإنِّى : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (٨٤٢) قال: فُتعادُ روحُه فى جسده فيأتيه مَلَكَان فيُجلسانه فيقولان له: مَن رَبُّكَ؟ فيقول: رَبِّى الله، فيقولان له: وما دينكَ؟ فيقول: دينِىَ الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علْمكَ؟ فيقول: قرأتُ كتابَ الله فآمنتُ به وَصَدَّقتُ، فينادى مُناد فى السماء أن صَدَق عبدى فافرشوه من الجنَّة، وألبسُوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة. قال : فيأتيه من رَوْحِهَا (٨٤٣) وطيبِهَا ويُفسحُ له فى قبره مَدَّ بصره. ويأتيه رجُلٌ حَسَنُ الوجْه، حَسَنُ الثياب، طَيِّبُ الريح فيقولُ: أبشرْ بالذى يَسُرُّك، هذا يومُكَ الذى كُنتَ تُوعَدُ، فيقول له: من أنتَ فوجهُكَ الوجهُ يجىء بالخير؟ فيقول: أنا عملُكَ الصالح، فيقولُ: رب أقم الساعة حتى أرجعَ إلى أهلِي ومالِي .

قال : وإن العبدَ الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سُودُ الوجُوه معهم المُسوح(٨٤٤)، فيجلسون

---

(٨٤٢) كما تشير الآية رقم ٥٥ من سورة طه .

(٨٤٣) بفتح الراء وسكون الواو : الرحمة.

(٨٤٤) المسوح جمع مسح كحمل وحمول : الثوب الخشن .

منه مدَّ البصر، ثم يجىء مَلَكُ الموتِ حتى يجلسَ عند رأسه، فيقول: أيتها النفسُ الخبيثة اخرجى إلى سَخَطٍ من الله وغَضَبٍ، فتفرق فى جسده فينتزعُها كما يُنْتَزَع السَّفُودُ (٨٤٥) منَ الصوفِ المبلول، فيأخذها. فإذا أخذها لم يَدَعوها فى يده طرفَةَ عينٍ حتى يجعلوها فى تلك المُسوح، ويخرج منها كأنتن ريحِ جيفَةٍ وُجدَتْ على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على مَلأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بنُ فلانٍ بأقبح أسمائه التى كان يُسمَّى بها فى الدنيا، حتى يُنتهَى بها إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له فلا يُفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (٨٤٦)، فيقول الله: اكتبوا كتابه فى سِجِّينٍ فى الأرضِ السُّفلى، فَتُطرحُ رُوحُه طرحًا، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (٨٤٧)، فُتعادُ رُوحُه فى جسده، ويأتيه ملكان فيُجلِسَانه فيقولان له: مَن رُّبك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى. فينادى منادٍ من السماء: أن كَذَبَ فأفرِشُوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حَرِّهَا وسَمُومِها ويَضيق عليه قبرهُ حتى تختلفَ أضلاعه، ويأتيه رجلٌ قبيح الوجه قبيح الثياب، مُنتنُ الريح، فيقول: أبشِرْ بالذى يسوءك، هذا يومُك الذى كُنْتَ تُوعَدُ، فيقول: فمن أنتَ، فوجهُكَ الوجهُ يجىء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب، لا تُقم الساعة).

[أخرجه أحمد وأبو داود وابن خزيمة]

---

(٨٤٥) السفود بوزن التنور: الحديدة التى يُشوى بها اللحم.

(٨٤٦) الأعراف: ٤٠، وَسم الخياط ثُقبُ الإبرة.

(٨٤٧) الحج: ٣١.

(وهكذا) كما وضح من سياق الحديثين يتميَّز الصالح من الطالح.. بالإضافة إلى البشريات الأخرى التى منها كذلك ـ كما جاء فى نص الحديث الذى ندور حوله ـ أن الملائكة ستقول للمؤمن : **(أبشر ولىَّ الله برضاهُ والجنة، قدمْتَ خير مَقْدمٍ، قد غفر الله لمن شَيَّعَكَ واستجاب لمن استغفر لك، وقَبِلَ مَن شَهِدَ لك)** .

(وهذا) كُلُّه لابد أن يكون سببًا فى حرص الأخ المؤمن على أن يكون أهلاً لهذا الخير على الدوام،(وكذلك) لابد أن يكون سببًا فى حرص الإخوة المؤمنين على المشاركة فى تشييع جنازات إخوانهم من المؤمنين والمؤمنات.. حتى يفوزوا بثواب هذا التشييع المشار إليه فى قول الرسول ﷺ : **(مَن شهدَ الجنازةَ حتى يُصلَّى عليها فله قيراطٌ، ومَنْ شهدها حتَّى تُدفنَ فلَهُ قيراطان. قيلَ: وما القيراطان؟ قيل: مثْل الجبلين العظيمين)** [متفق عليه](٨٤٨) .. (وعن) عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : **(ما من ميت يُصلى عليه أُمَّةٌ من المسلمين يبلغون مائةً كلهم يشفعون له إلاَّ شُفِّعُوا فيه)** [رواه مسلم]

(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يُشركون بالله شيئًا إلا شفَّعهم الله فيه)** [رواه مسلم]

(ولاسيَّما) إذا كان المشيِّعون من هؤلاء الموحدين سيستغفرون لأخيهم المؤمن بعد أن يُفرغ من دفنه (فقد) ورد أن النبى ﷺ كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: **(استغفروا لأخيكم وسَلُوا له التثبيتَ ، فإنه الآن يُسأل)**. [رواه أبو داود]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن ينتفعا بكل هذا التذكير.. الذي أرجو أن يكون إن شاء الله سببًا فى تحقيق كل البشريات لهما.. مع حرصهما الدائم على الدعاء بالرحمة والمغفرة لكل من سبقهما إلى الله تعالى بالإيمان ..

---

(٨٤٨) عن أبى هريرة .

كما يشير إلى هذا قول الله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ**﴾(٨٤٩). وعليهما أيضًا أن يسألا الله تعالى لجميع المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات : (رضاه والجنة)، اللهم آمين،،

(٦٢) يا رسول الله .. أيُّ مسجد وُضِع فى الأرضِ أولاً ؟

قال أبو ذر ﷺ: قلتُ : يا رسول الله، أيُّ مسجد وُضِعَ فى الأرض أولاً؟ قال: (**المسجد الحرام**) قلت: ثم أيٌّ؟ قال: (**ثم المسجد الأقصى**) قلت: كم بينهما؟ قال: (**أربعون سنة**) ثم قال: (**أينما أدركتك الصلاةُ فَصَلِّ فهو مسجد**) وفى رواية : (**فكلها مسجد**). [رواه الجماعة]

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى صلوات الله وسلامه عليه من خلال إجابته إلى معلومة هَامَّة ينبغى على كل مسلم ومسلمة أن يكونا على علم بها، وهى أن المسجد الحرام وُجِد قبل المسجد الأقصى بأربعين سنة (٨٥٠).

وقد ورد فى السنة الشريفة الإشارة إلى فضل الصلاة فى هذين المسجدين الشريفين بالإضافة إلى الصلاة فى مسجد الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه:

فعن جابر ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**صلاةٌ فى المسجد الحرام مائةُ ألف صلاة، وصلاة فى مسجدى ألفُ صلاة، وفى بيت المقدس خمسمائةُ صلاة**(٨٥١)). [رواه البيهقى، وحسَّنه السيوطى]

وروى أحمد أن النبى ﷺ قال: (**صلاةٌ فى مسجدى هذا أفضلُ من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاةٌ فى المسجد الحرام**

---

(٨٤٩) الحشر : من الآية ١٠ .

(٨٥٠) مالك وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٨٥١) وهذا معناه أن الصلاة فى مسجد الرسول ﷺ تعدل صلاتين فى المسجد الأقصى .

أفضلُ من صلاةٍ فى مسجدى هذا بمائة ألف صلاة)

وروى الجماعة أن النبى ﷺ قال : **(لا تُشَدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى)** .

فليكُنْ هذا أخا الإسلام فى موضع الاعتبار حتى لا تضيع الفرصة التى قد تُمكِّنك من زيارة المساجد الثلاثة التى ينبغى أن تشُدَّ الرحال إليها حتى تفوز بالصلاة فيها أكبر عدد ممكن من الصلوات المفروضة والمسنونة.. مع حرصك الشديد عندما ستشد رحالك إلى مسجد الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: أن تزوره وتسلم عليه وعلى صاحبيه ـ أبى بكر وعمر ـ عليهما رضوان الله .. مع الحرص الشديد كذلك على أن تصلى أكبر عدد ممكن من الصلوات فى الروضة الشريفة.

هذا، وإذا كان النبى ﷺ قد قال بعد الإجابة التى وقفنا عليها: **(أينما أدركتْك الصلاةُ فصَلِّ فهو مسجد)** أو كما جاء فى الرواية الأخرى : **(فكلها مسجد)**: فإن هذا معناه أن الله تعالى قد اختَصَّ هذه الأمة المحمدية بأن جعل لها الأرض مسجدًا وطهورًا .. وأن هذا معناه كذلك أنه ينبغى أن نُكْثر من بناء بيوت الله تعالى فى كل مكان فوق هذه الأرض حتى لا يكون هناك عُذر لأحد فى التخلف عن صلاة الجماعة التى هى من السنن المؤكدة ـ عند أكثر الفقهاء ـ وقد ورد أنه لا يتخلف عنها من الذكور المكَلَّفين ـ لغير عذر قاهر ـ إلا منافق ، بَيِّن النفـاق ، أو ضعيف الإيمان :

فقد روى مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود، رضى الله عنه قال : (مَن سَرَّهُ أن يَلْقَى الله غدًا مُسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث يُنَادىَ بهنَّ، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سُنن الهُدى [٨٥٢]، وإنَّهُنَّ من سنن الهُدى، ولو أنَّكُم صلَّيتُم فى بيوتكم ـ كما يُصلى هذا المتخلف فى بيته ـ لتركتم سُنَّة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضلَلْتُم، وما من رجل يتطهر، فيحسن الطهور [٨٥٣]، ثم يعمد إلى

(٨٥٢) قال النووى: روى بضم السين وفتحها، وهو بمعنى متقارب، أى طرائق الهدى جـ ٥ص ١٦٦ صحيح مسلم .

(٨٥٣) الطُّهور بضم الطاء: القيام بالتطهر، أما الطَّهور بفتح الطاء فهو ما يُتطهر به من ماء أو تراب .

مسجد من هذه المساجد إلا كَتَبَ الله له بكل خطوة يخطوها حَسنة، ويرفعه درجة، ويَحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتُنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يُؤتى به يُهادى [٨٥٤] بين الرجلين حتى يُقام فى الصف.

(وفى رواية لمسلم أيضًا) : **(لقد رأيتُنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق، قد عُلِمَ نفاقه، أو مريض، إن كان المريض ليمشى بين رجلين، حتى يأتى الصلاة)**.

وعن جابر رضي الله عنه **قال**: **أتى ابن أُمِّ** مكتوم **النبى** ﷺ **فقال**: **يا رسول الله إن** منزلى شَاسع[٨٥٥]، **وأنا مكفوف البصر، وأنا أسمع الأذان**، قال: **(فإن سمعتَ الأذانَ فأجِبْ، ولو حَبْوًا، أو زحفًا)**. [رواه أحمد والطبرانى]

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام حتى تحافظ على صلاة الجماعة، وتكون من عُمَّارِى المساجد، وحسبك حتى تفوز بهذا الخير أن تقرأ معى هذه الأحاديث الشريفة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **(صلاةُ الجماعة أفضلُ من صلاة الفذِّ** [٨٥٦] **بسبع وعشرين درجة)** . [رواه البخارى ومسلم]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول **الله** ﷺ قال : **(مَن تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تحط خطيئته، والأخرى ترفع درجته)**. [رواه مسلم]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول **الله** ﷺ: **(ألا أَدُلُّكُم على ما يمحو الله به الخطايا، ويُكَفِّر به الذنوب؟ قالوا: بلى، يا رسول الله، قال : (إسباغ** [٨٥٧] **الوضوء على المكاره، وكثرةُ الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة، فذلكم الرباط** [٨٥٨]**)**. [رواه مسلم]

---

(٨٥٤) أى: يمشى بين رجلين يسندانه .

(٨٥٥) أى: بعيد عن المسجد . (٨٥٦) الفذ : أى المنفرد .

(٨٥٧) أى: إتمام الوضوء عند البرد والألم والمرض ونحو ذلك .

(٨٥٨) أى: الوقوف على الحدود لحماية بلاد المسلمين من الغزاة والمعتدين . وقد شبه النبى ﷺ المنتظِر للصلاة بالمرابط لأنه يجاهد نفسه، وجهاد النفس أكبر من جهاد العدو .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : (**مَن غدا إلى المسجد** [٨٥٩] **وراح أعَدَّ الله له الجنةَ نُزُلاً** [٨٦٠] **كلما غدا وراح**) . [رواه أحمد والشيخان]

والله ولى التوفيق،،

(٦٣) يا رسولَ الله .. إن الشيطانَ قد حَالَ بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يُلَبِّسُهَا علَىَّ، فمَاذا أفعل؟

عن عثمان بن أبى العاص، قال : قلتُ : يا رسول الله إن الشيطانَ قد حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يُلَبِّسُهَا [٨٦١] علىَّ؟ فقال ﷺ: (**ذاك شيطانٌ يقال له خِنْزب**[٨٦٢]، **فإذا أحسسته فتعوَّذ بالله منه، واتْفُلْ عن يسارك ثَلاثًا**) قال: ففعلت، فأذهبه الله عنى . [رواه مسلم]

ولكى نفهم المراد من هذه الفتوى .. فإنه ينبغى علينا أولاً أن نمهد لها بتوجيه لابد أن نفهمه حتى ننفذه.. (وهو) أنه لابد قبل أن نقف بين يدى الله تعالى فى الصلاة أن نُفرِغ القلب من جميع الشواغل الدنيوية.. ولابد ونحن نُكبِّر تكبيرة الإحرام أن نطرح الدنيا خلف ظهورنا .. (وذلك) حتى يتحقق الخشوع المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ [٨٦٣]:

وهذا الخشوع كما قال فى (الدين الخالص)[٨٦٤] : ينقسم إلى قسمين: ظاهرى، وباطنى .

---

(٨٥٩) من غدا إلى المسجد وراح : أى ذهب ورجع .

(٨٦٠) والنزل : ما يُعد للضيف .

(٨٦١) يُلبسها، بفتح فسكون : أى يخلطها علىَّ ويُشككنى .

(٨٦٢) خنزب بتثليث الخاء وسكون النون وفتح الزاى : لقب الشيطان . والخنزب فى الأصل قطعة لحم مُنْتنة .

(٨٦٣) المؤمنون : ١، ٢ .

(٨٦٤) ج ٤ ص ٢٦٨ .

فالظاهرى: سكون الجوارح عن العبث وجَعْل بصره موضعَ سجوده.

والباطنى : خوف القلب وخضوعه ورِقّته وسكونه وحفظه عن الاشتغال بغير ما هو فيه من التأمل فى معاني القرآن، فينشأ عن سكون الجوارح، لقوله ﷺ فى العابث بلحيته: **(لو خشعَ قلبُ هذا لخشعتْ جوارحه)**.

[أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادره عن أبى هريرة]

(وقد اتفق العلماء) على أنه يُطلب من المصلى أن يكون خاشعًا خاضعًا مستحضرًا عظمة الله وهيبته، وأنه يناجى من لا تخفى عليه خافية. لقوله تعالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾**[٨٦٥] أى: خائفون من الله متذللون له، جاعلون أبصارهم إلى موضع سجودهم. (وقد) عَدَّ الإمام الغزالى[٨٦٦] الخشوع ركنًا من أركان الصلاة [٨٦٧]. (وقال) بعض السلف: الخشوع للصلاة كالروح للجسد.

(وقال ابن رجب) الحنبلى فى رسالة الخشوع فى الصلاة: ويتفاوت الخشوع فى القلب بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له[٨٦٨]، وبحسب تفاوت مشاهدة القلوب للصفات المقتضية للخشوع: (فمن خاشع) : لقوة مطالعته لقرب الله من عبده واطلاعه على سره وضميره المقتضى للاستحياء من الله تعالى ومراقبته فى الحركات والسكنات (ومن خاشع): لمطالعته لكماله وجماله المقتضى للاستغراق فى محبته، والشوق إلى لقائه ورؤيته (ومن خاشع) : لمطالعته شدة بطشه وانتقامه وعقابه المقتضى للخوف منه سبحانه وتعالى، جابر المنكسرة قلوبهم من أجله، وهو سبحانه وتعالى يتقرب ممن يناجيه فى الصلاة، ويُعفِّر وجهه فى التراب بالسجود (وقد روى) أبو نعيم من طريق

---

(٨٦٥) المؤمنون : ١، ٢ .

(٨٦٦) حجة الإسلام صاحب كتاب (إحياء علوم الدين) عليه رحمة الله .

(٨٦٧) وهذا معناه أن الصلاة عنده تكون باطلة إذا لم يكن فيها خشوع .

(٨٦٨) وقد ورد توضيحًا لهذا، أن الإمام زين العابدين رضى الله عنه كان إذا توضأ وتهيأ للصلاة اصفر لونه واحمر وأصبح فى حالة يُرثى لها . . فسئل عن هذا؟ فقال لسائليه : أما تدرون أمام مَن سأقف ؟! .

حمزة عن ابن شوذب قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : (أتدرى بأى شيء اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ؟ قال: لا يا رب . قال : لأنه لم يتواضع لى أحد قط تواضعك). وتواضعه هذا هو الخشوع، وهو العلم النافع، وهو أول ما يُرفع من العلم .. (فالعلم) النافع هو ما باشر القلوب فأوجب لها السكينة والخشية، والإخبات [٨٦٩] لله والتواضع والانكسار

(ولهذا) فنحن المؤمنين ـ إن شاء الله ـ فى أشد الحاجة إلى هذا العلم النافع الذى به ستكون قلوبنا خاشعة لله رب العالمين .. وستكون حَيَّةً بتلك الصورة التى ستجعل المصلى كهذا الرجل الصالح وهو حاتم الأصم ﷺ .. (فلقد) مرَّ عليه عصام بن يوسف رحمه الله وهو يتكلم فى مجلسه [٨٧٠] فقال له : يا حاتم تُحسن تُصلِّى [٨٧١] ؟ قال : نعم. قال: كيف تصلى؟ قال حاتم: أقوم بالأمر، وأمشى بالخشية، وأدخل بالنية، وأُكَبِّر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكر، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأُسلِّم بالنية، وأختمها بالإخلاص لله عز وجل، وأرجع على نفسى بالخوف، أخاف أن لا يُقبل منى، وأحفظه بالجهد إلى الموت. قال: تكلم فأنت تحسن تصلى . ا هـ كلام ابن رجب باختصار.

(وما) كانت صلاته هكذا إلا بسبب خشوع قلبه.. كما جاء فى قول النبى ﷺ: **(لو خشعَ قلبُ هذا لخشعتْ جوارحه)** (وذلك) لأن القلب بالنسبة لباقى الجوارح كالملك بالنسبة للرعية.. إذا صلح صلحت الرعية وإذا فسد فسدت الرعية.. وفى الحديث: **(.. ألا وإن فى الجسد مُضْغَةً إذا ـ صَلُحَتْ ـ صَلُحَ الجسدُ كُلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلبُ)**. [٨٧٢]

(فلتعمل) أخا الإسلام على أن تكون من أصحاب القلوب الصالحة .. حتى

---

(٨٦٩) أى: الخشوع لله تبارك وتعالى.

(٨٧٠) أى: أنه كان يجلس فى مجلس الدرس ليعلم الناس.

(٨٧١) يريد أن يقول له : أتحسن كيف تصلى ؟ .

(٨٧٢) من حديث شريف، رواه البخارى ومسلم .

تكون خاشعًا فى صلاتك، (وحتى) لا تكون فريسة لهذا الشيطان الذى يسمى (خنزب)، والذى يحاول جاهدًا أن يُلَبِّس قراءتك فى الصلاة عليك .. وذلك بمعنى أنه يُشكِّكُ فى معانى الآيات التى تتلوها .. حتى يكون سببًا فى ضلالك وبطلان صلاتك والعياذ بالله .. **(فإذا أحْسَسْتَه فتعوذ بالله منه واتفُلْ**[٨٧٣] **عن يسارك ثلاثًا)**، فإنك إذا فعلتَ ذلك سيُذهِبُه اللهُ عنك .. كما يقول راوى الحديث.

(واعلم)، أن هذا الذى سيحدث لك من جانب هذا الشيطان وغيره من الشياطين الأخرى : إنما هو من باب الوسوسة التى ينبغى أن تستعيذ بالله تعالى منها على الدوام ـ سواء كان هذا فى الصلاة أم فى غيرها ـ (وذلك) بما هو منصوص عليه فى القرآن والسنة.

ومما يدفع الوسواس، قراءة المعوذتين، فإن لهما تأثيرًا عجيبًا فى دفع شَرِّ الشيطان، والتحصُّن منه، فقد قال أبو سعيد الخُدرى ﷺ: كان رسول الله ﷺ يتعوَّذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فأخذ بهما وترك ما سواهما. [أخرجه الترمذى وحسَّنه]

وعن عقبة بن عامر ﷺ أن النبى ﷺ قال : **(ألاَ أخبرك بأفضل ما تَعوَّذ به المتعوِّذون؟ قلت: بلى . قال : قل أعوذ برب الفلق**[٨٧٤]**، وقل أعوذ برب الناس)**. [أخرجه مسلم]

وعن عبد الله بن حبيب ﷺ أن النبى ﷺ قال لى مرارًا : **(قل. فلم أقل شيئًا ثم قلت: ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تُمسِى، وحين تُصبح ثلاثَ مرات تكفيك من كُلِّ شىء)**.

[أخرجه الثلاثة، وهم: أبو داود والترمذى، والنسائى. وقال الترمذى: حسن صحيح]

وعن عائشة ﷺ أن النبى ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه نفث [٨٧٥] فى كَفَّيه

---

(٨٧٣) (التَّفْل) شبيه بالبزق وهو أقل منه. أوله البزق ثم التفل ثم النفث ثم النفخ. وقد تفل من باب ضرب ونَصر. . (مختار الصحاح) .

(٨٧٤) أى: السورة رقم ١١٣، ١١٤ من القرآن الكريم .(والفلق) قيل: هو الصبح، وقيل: هو الخلقُ كله (مختار الصحاح).

(٨٧٥) النفث : قذف النفَس مع شىء من الريق، وهو دون التفل.

بقل هو الله أحد والمعوذتين جميعًا، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده، فلما اشتكى [٨٧٦] كان يأمرنى أن أفعل ذلك به . [آخرجه الشيخان]

ومما يدفع الوسواس، قراءة آية الكرسى، ففى الحديث : **(إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكُرسى، فإنه لن يزالَ عليك من الله حافظٌ ولا يقربك شيطانٌ حتى تُصبح)** الحديث [أخرجه البخارى مطولاً عن أبى هريرة]

وعن ابن عباس ﷺ أنه قال: من رقية الوسواس قراءة قوله تعالى: ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [٨٧٧]. [آخرجه أبو داود]

وقال النووى: يُستحب قوله: لا إله إلا الله لمن ابْتُلى بالوسوسة فى الوضوء والصلاة وأشباههما، فإن الشيطان إذا سمع الذكر خنس . ا هـ .

فكُنْ أخا الإسلام منتفعًا بكل هذا حتى يحفظك الله تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾ [٨٧٨] . والله خير الحافظين،،

(٦٤) أخبرنا يا رسولَ الله عن الرؤيا التى رأيتَها فى منامك .. ثم خرجتَ على أصحابك وهم فى صُفَّةٍ بالمدينة فأخبرتَهُم بها؟

عن عبد الرحمن بن سَمُرةَ ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن فى صُفَّة [٨٧٩] بالمدينة ، فقال: (إنِّى رأيتُ البَارِحَةَ عَجبًا :

رأيتُ رَجُلاً مِنْ أمتِى أتاهُ مَلَكُ الموتِ ليقبِضَ روحَهُ.. فجاءه بِرُّه بوالديه، فردَّ مَلَكَ الموتِ عنه.

---

(٨٧٦) أى: مرض .

(٨٧٧) الحديد : ٣ .

(٨٧٨) سورة الناس : ١ ـ ٦ .

(٨٧٩) اسم مكان.

ورأيتُ رجُلاً مِنْ أُمتِى قَدِ احتَوشَتْهُ الشياطين.. فجاءهُ ذِكْرُ اللهِ فطيَّر الشياطينَ عنه.

ورأيتُ رجُلاً مِن أُمتى قد احتوشتهُ ملائكةُ العذاب.. فجاءتهُ صلاتُه فاستنقذتهُ من أيديهم.

ورأيتُ رجُلاً من أُمَّتِى يَلْهثُ عطشًا، كُلَّما دَنَا من حوضٍ مُنِع وَطُرِدَ .. فجاءه صيام شهرِ رمضانَ .. فأسْقاهُ وأرواه.

ورأيتُ رجُلاً من أمتى والنبيون جلوسٌ حِلَقًا حِلَقًا، كلما دنا منهم طُرِدَ .. فجاءهُ غُسلُهُ مِن الجنابة، فأخذ بيده وأجلسه إلى جَنْبى .

ورأيتُ رجُلاً من أُمتى .. مِن بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ويساره وفوقه ظلمة، وهو مُتحيِّر .. فجاءه الحج والعمرة فأخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور.

ورأيتُ رجُلاً من أُمتِي يَتَّقِى وهَجَ النارِ وشَرَرَهَا .. فجاءته صَدقتُهُ فصارتْ سَدّاً بينه وبين النارِ وظِلاً على رأسه.

ورأيتُ رجلاً من أُمتِي يُكَلِّمُ المؤمنينَ ولا يُكلِّمُونَهُ.. فجاءته صِلتُه لَرحمِهِ فقالت :يا معشر المؤمنين .. إنه كان وَصُولاً لرحمه.. فكَلَّموهُ وصافحوه.

ورأيتُ رُجلاً من أُمتِى قد احتوشَتْهُ الزبانية [٨٨٠].. فجاءه أمره بالمعروف ونَهْيه عن المنكر .. فاستنقذه من أيديهم .. وأدخله فى ملائكة الرحمة.

ورأيتُ رجُلاً من أُمتِى جاثِيًا على ركبتيهِ وبينه وبين الله عز وجَلَّ حجاب.. فجاء حُسْنُ خُلُقِه فأخذ بيده وأدخله على الله عز وجَلَّ.

ورأيتُ رجلاً من أمتِى قد ذهبت صحيفتُه مِن قِبَلِ شِمالِه .. فجاءه خوفه من الله عز وجل .. فأخذ صحيفته فوضعها فى يمينه.

---

(٨٨٠) وهم ملائكة جهنم والعياذ بالله من النار .

ورأيتُ رجُلاً من أُمَّتِى قد خفَّ ميزانه .. فجاءه أفراطُه (٨٨١) فثقَّلُوا ميزَانه.

ورأيت رجُلاً من أمتِى قائمًا على شفير جهنم.. فجاءه رجاؤه فى الله عز وجل، فاستنقذه من ذلك ومضى.

ورأيت رجلاً من أُمتى قد هَوى فى النار .. فجاءته دمعته التى بكاها من خشية الله عز وجل .. فاستنقذته من ذلك .

ورأيت رجلاً من أمتى قائمًا على الصراط يَرْعُدُ كما ترعدُ السَّعْفة (٨٨٢) فى يوم ريح عاصف.. فجاءه حُسْنُ ظَنِّه بالله عَزَّ وجَلَّ فسَكَن .

ورأيتُ رجُلاً من أُمتِى يزحف على الصراط يحبو أحيانًا ويتعلَّقُ أحيانًا.. فجاءته صلاتُهُ عَلَىَّ فأقامته على قدميه وأنقذته.

ورأيتُ رجلاً من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فغلِّقت الأبوابُ دونَهُ .. فجاءته شهادةُ أن لا إله إلا اللهُ ففتَحتْ له الأبوابَ وأدخلته الجنةَ).

[حديث صحيح، قال عنه الحافظ أبو موسى المدينى: إنه حسن جداً.. وقال عنه شيخ الإسلام (٨٨٣) : إنه من أحسن الأحاديث]

ففى هذا الحديث الشريف.. أو فى هذه الرؤيا التى جاءت مثل فَلَقِ الصُّبح .. يحدثنا الحبيبُ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.. من خلال إخباره لأصحابه: بأهم فضائل ونتائج الأعمال الصالحة التى ينبغى أن نسارع بها إلى الله تبارك وتعالى قبل فوات تلك الفرصة التى نعيشها إلى الآن فى دار العمل التى لابد لها من نهاية .. ولابد بعدها من الانتقال إلى دار الحساب التى سيكون أولها القبر الذى هو أول منزل من منازل الآخرة .

(لحديث) هانئ مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبُلَّ لحيته، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى، وتذكر

---

(٨٨١) أى: الذين ماتوا قبله من الأولاد . .إذا كان قد رضى بقضاء الله فيهم .

(٨٨٢) أى: الخوصة.

(٨٨٣) أى: ابن تيمية عليه رحمة الله .

القبر فتبكى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(القبرُ أولُ منزلٍ من منازلِ الآخرةِ . فإنْ نجا منه فما بعده أيسَرُ، وإنْ لم يَنْجُ منه فما بعده أشدُّ منه)**، وقال ﷺ : **(ما رأيتُ منظرًا قطُّ إلاَّ والقبر أفظع منه)**.

[أخرجه الترمذى وقال: حسن غريب، ورزين]

وزاد : قال هانئ: سمعت عثمان يُنشد :

فإن تنج منها تنجُ من ذِى عظيمة وإلاَّ فإنِّـــى لا إخَـالُكَ ناجيـًا

(وقد) جاء فى حديث البراء بن عازب الذى أخرجه أحمد وأبو داود وابن خزيمة .

أن العبد المؤمنَ بمجرد أن تُعَاد روحه فى جسده ـ داخل القبر ـ وبمجرد أن يُغلق القبر عليه .. يأتيه ملكان ـ وهما منكر ونكير ـ فيجلسانه فيقولان له : (مَن ربك؟ فيقول : ربى الله، فيقولان له : وما دينك؟ فيقول : دينى الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول : قرأتُ كتاب الله فآمنتُ به وصدقْتُ، فينادى مُناد فى السماء: أن صَدق عبدى فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة. قال: فيأتيه من رَوْحِهَا (٨٨٤) وطيبِهَا ويُفسَحُ له فى قبره مَدّ بصره. ويأتيه رجل حسنُ الوجه، حسنُ الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرُّك، هذا يومُكَ الذى كنت تُوعد، فيقول له: مَن أنتَ فوجهُكَ الوجه يجىء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقِم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى ..)

(وفى) سورة الحاقة .. يقول الله تبارك وتعالى مشيرًا إلى الفارق الكبير الذى سيكون بين من أُوتِىَ كتابه بيمينه، ومَن أوتى كتابه بشماله .

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا

(٨٨٤) بفتح الراء وسكون الواو : أى الرحمة.

كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾.

أى: كُلُوا يا أهل الجنة من ثمارها، واشربوا من طيِّب أشربَتها هنيئًا .. بما قَدَّمتُم لآخرتكم من الأعمال الصالحة فى أيام الدنيا التى خَلَت ومَضَتْ..

ثم بعد ذلك يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٨٨٥) * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٨٨٦) * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٨٨٧) * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٨٨٨) * إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٨٨٩) * وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ * (٨٩٠) لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ (٨٩١)﴾ (٨٩٢).

وفى يوم القيامة عندما ستدنو الشمس من الرءوس، وسيكون العرق فوق الأذقان.. سيكون أهل الأعمال الصالحة تحت ظل عرش الرحمن، يوم لا ظل إلا ظله:

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: (**سبعة (٨٩٣) يُظلهم الله فى ظله(٨٩٤) يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: إمام عادلٌ ، وشَابٌّ نشأ فى عبادة الله تعالى، ورجل قلبهُ معلَّق فى المساجد (٨٩٥)، ورجلان تحابَّا فى الله اجتمعا عليه**

(٨٨٥) أى : يا ليت الموتة التى متُّها فى الدنيا لم يكن بعدها بعث .

(٨٨٦) أى: ذهبت عنى حججى، فلا حجة لى أحتج بها .

(٨٨٧) أى : ثم فى نار جهنم أوردوه ليصلى فيها .

(٨٨٨) أى : ثم أدخلوه فى سلسلة طولها سبعون ذراعاً بذراع الملك.

(٨٨٩) أى : ليس له يوم القيامة قريب يدفع عنه، أو يُغيثه مما هو فيه من البلاء.

(٨٩٠) وهو ماء يسيل من صديد أهل النار .

(٨٩١) أى: لا يأكل هذا الطعام إلا المذنبون الذين كفروا بالله .

(٨٩٢) سورة الحاقة : من الآية ١٨ ـ ٣٧ .

(٨٩٣) أى: سبعة أصناف من الناس.. مع جميع الأمم .. وبصفة خاصة من أمة النبى محمد ﷺ .

(٨٩٤) أى: فى ظل عرشه سبحانه .. لأن الله تعالى لا ظل له .. فهو سبحانه مخالف للحوادث .

(٨٩٥) أى: أنه يصلى الوقت فى المسجد .. ثم بعد ذلك يعود إلى عمله .. أو إلى بيته وهو يتمنى أن يعيش إلى الوقت الآخر حتى يعود إلى المسجد .

وتفرَّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقال: إنى أخاف الله(٨٩٦)**، ورجُلٌ تَصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلَم شمالُه ما تنفقُ يمينُه**(٨٩٧)**، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه** (٨٩٨)). [متفق عليه]

وإن شاء الله تبارك وتعالى .. ستكون الأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله تبارك وتعالى.. سببًا فى دخولنا الجنة .. كما قال الله تعالى مؤكدًا هذا فى ختام سورة الكهف:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً (٨٩٩) *** قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا** (٩٠٠) **لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى** (٩٠١) **وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا** (٩٠٢) **وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾**(٩٠٣) .

كما قال تعالى فى ختام سورة البينة: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** (٩٠٤) *** جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ** (٩٠٥) **تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** (٩٠٦) **ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ** (٩٠٧) **﴾**(٩٠٨) .

---

(٨٩٦) وقد يكون العكس هو الصحيح من جانب المرأة الصالحة.

(٨٩٧) كناية عن إخفاء الصدقة .. حتى لا يكون من أهل الرياء.

(٨٩٨) أى: بالدموع خوفًا من الله تبارك وتعالى .

(٨٩٩) أى: لابثين فى الجنة أبداً لا يريدون عنها تحولاً .

(٩٠٠) أى : لو كان ماء البحر مدادًا للقلم الذى يُكتب به كلمات ربى .

(٩٠١) أى: لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثل ما فيه من الماء مددًا .

(٩٠٢) أى : فليخلص له العبادة ولا يجعل له شريكًا فى عبادته .

(٩٠٣) الكهف : من الآية ١٠٧ ـ ١١٠ .

(٩٠٤) أى: أولئك هم خير خلق الله .

(٩٠٥) أى: بساتين إقامة .

(٩٠٦) أى: رضى الله عنهم بطاعتهم، وعملهم للخلاص من عقابه، ورضوا عنه بما أعطاهم من الثواب وجزاهم من الكرامة .

(٩٠٧) أى: ذلك الخير لمن خاف الله فى الدنيا فى سره وعلنه، فأدى الفرائض، واجتنب المعاصى .

(٩٠٨) البينة : ٧، ٨ .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن ينتفعا بكل هذا التذكير الذى أرجو أن يكون سببًا فى تقرُّبهم إلى الله تبارك وتعالى بصالح الأعمال الواردة فى نص الرؤيا .. وكذلك فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى وقفا على بعضهَا.. وهما يذكران قول الله تبارك وتعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ أى : فى الدنيا، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٩٠٩] أى: فى الآخرة .. تفَضُّلاً منه ورحمة. والله ولى التوفيق،،

(٦٥) يا رسولَ الله إنَّ أخى يشتكى بَطنه .. فبماذا أداويه؟

فى الصحيحين ـ من حديث أبى المتوكل، عن أبى سعيد الخدرىِّ ﷺ: **(أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: إن أخى يشتكى بطنه؟ وفى رواية: استُطلق بطنُهُ؟ فقال: اسقه عَسَلاً . فذهب ثم رجع، فقال: قد سقيتُه فلم يُغْنِ عنه شيئًا؟ وفى لفظ: فلم يزده إلا استطلاقًا؟ مرتين أو ثلاثًا، كلَّ ذلك يقول له: اسقه عسَلاً. فقال له الرسول ﷺ فى الثالثة أو الرابعة : صدق الله وكذب بطن أخيك)** [٩١٠] . وفى صحيح مسلم، وفى لفظ له:(إن أخى عَرِبَ بطنه) أى: فسد هضمه، واعتلَّتْ معدته. والاسم: (العَرَب) بفتح الراء، و(الذرب) أيضًا .

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح : يشير النبى ﷺ إلى فوائد العسل النحل.. الذى ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [٩١١] كما قال الله تبارك وتعالى فى قرآنه.

وقد جاء فى (الطب النبوى) تعليقًا على هذا الحديث:

---

(٩٠٩) سورة النحل : ٩٧ .

(٩١٠) وأخرجه أيضًا : أحمد والترمذى والنسائى. (والاستطلاق) فى الحديث هو الإسهال، ومثله: (العرب) و (الذرب) فى الحديث الذى بعده.. وقد قال النبى ﷺ فى ختام الحديث : (.. وكذب بطن أخيك) ولم يقل : (وكذبت) : لأن غير العاقل يذكَّر ويؤنث .

(٩١١) النحل من الآية رقم ٦٩ .

والعسل فيه منافع عظيمة، فإنه جلاءٌ للأوساخ التى فى العروق والأمعاء وغيرها، مُحلِّلٌ للرطوبات أكلاً وطلاءً، نافع للمشايخ[٩١٢] وأصحاب البلغم، ومن كان مزاجه باردًا رطبًا، وهو مُغَذٍّ، مُلينٌ للطبيعة، حافظ لقُوى المعاجين ولما استُودع فيه، مُذْهِبٌ لكيفيات الأدوية الكريهة مُنَقٍّ للكَبد والصَّدر، مُدِرٌّ للبَوْل، موافق للسعال الكائن عن البلغم. وإذا شُرب حارًا بدُهن الورد : نفع من نهش الهوام وَشُرب الأفيون. وإن شُرب وحده ممزوجًا بماء: نفع من عضة الكلب الكَلِب، وأكْل الفُطُر القتال. وإذا جُعِلَ فيه اللحم الطَّرِىُّ: حفظ طراوته ثلاثة أشهر. وكذلك إن جُعِلَ فيه القثَّاء والخيار والقرع والباذنجان. ويحفظ كثيرًا من الفاكهة ستة أشهر ويحفظ جُثَث الموتى. ويُسمَّى الحافظ الأمين. وإذا لطخ به البدن المُقَمَّل والشَّعر: قتل قُمَّلَهُ وصئْبَانه[٩١٣]، وطَوَّل الشَّعر وحَسَّنَه ونَعَّمه. وإن اكتُحِل به: جلا ظُلمة البصر. وإن استُنَّ به[٩١٤]: بَيَّض الأسنان وصَقَلَهَا، وحفظ صحتها وصحة اللثة، ويفتح أفواه العروق، ويُدِرُّ الطَّمْثَ. ولَعْقه على الريق : يُذهِب البلغم، ويغسل خمل المعدة، ويدفع الفضلات عنها، ويُسخنها تسخينًا معتدلاً، ويفتح سددها، ويفعل ذلك بالكَبِد والكُلَى والمثانة. وهو أقل ضررًا لسدد الكبد والطحال من كل حلو.

وهو ـ مع هذا كله ـ: مأمون الغائلة، قليل المضار، مُضِر بالعرض للصفراويين ودفعها: بالخل ونحوه، فيعود حينئذ نافعًا له جدًا.

وهو: غذاء مع الأغذية، ودواء مع الأدوية، وشراب مع الأشربة، وحُلْوٌ مع الحلو، وطلاء مع الأطلية، ومُفرِّحٌ مع المُفَرِّحات. فما خُلِق لنا شىء فى معناه: أفضل منه ولا مثله، ولا قريب منه، ولم يكن مُعَوَّلُ القدماء إلا عليه.

وكان النبى ﷺ: يشربه بالماء على الريق. وفى ذلك سرٌّ بديع فى حفظ الصحة، لا يُدرِكُه إلا الفَطِن الفاضل.. وفى سنن ابن ماجه مرفوعًا، من حديث

---

(٩١٢) أى: كبار السن .

(٩١٣) (الصؤابة) بالهمز: بيضة القملة، وجمعها (صؤاب) و (صئبان) .

(٩١٤) أى: استعمله فى جلاء أسنانه .

أبى هريرة : (من لَعِقَ ثلاثَ غَدَوات كُلَّ شَهْرٍ: لم يُصبْهُ عظيم البلاء). وفى أثر آخر[٩١٥] : (عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن).

وقد اختلف الناسُ فى قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾[●]، هل الضمير فى (فيه) راجع إلى الشراب؟ أو راجع إلى القرآن؟ على قولين، الصحيح منهما. رجوعه إلى الشراب. وهو قول ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وقتادة، والأكثرين. فإنه هو المذكور، والكلام سِيقَ لأجله، ولا ذكر للقرآن فى الآية. وهذا الحديث الصحيح الذى ندور حوله، وهو قوله ﷺ : (صدق الله ..) ـ كالصريح فيه. والله تعالى أعلم.

هذا وإذا كان النبى ﷺ قد قال للرجل.. فى ختام الحديث : (صدق الله وكذب بطن أخيك)، فإن هذا النص.. يشير إلى أن هذا الأخ ـ وهو المريض ـ لم يشرب العسل وهو يؤمن إيمانًا جازمًا بأن العسل فيه شفاء للناس.. ولو كان هذا على أساس من الإيمان لأذهب الله ما فى بطنه من الاستطلاق.. وعلى هذا فإن العيب لم يكن فى العسل .. وإنما كان فى البطن التى لم تصدق فى تَقَبُّل الدواء الربانى الذى فيه خير كثير .. ومثل هذا .. كمثل هذا الذى لم يصدق فى صلاته .. فلم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر .. ولهذا، فنحن نقول عن هذا الذى لم يصدق فى صلاته: صدق الله وكذبت صلاته .. لأنه لو صحت صلاته وكان صادقًا فى أدائها .. لنهته عن الفحشاء والمنكر .. كما قال تعالى مؤكدًا لهذا: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[٩١٦]، وقس على هذا جميع العبادات ..

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذا المراد منه، والله ولى التوفيق،،

---

(٩١٥) أخرجه ابن ماجه والحاكم فى صحيحه ـ وقال : على شرط الشيخين . وأقره الذهبى ـ عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ـ مرفوعاً .

(●) النحل: ٦٩

(٩١٦) العنكبوت : من الآية ٤٥ .

(٦٦) أخبرْنا بشرار الناس.. وأشدِّهمْ شَرّاً.. يا رسول الله

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**أَلاَ أُنبئُكُم بِشرَارِكُمْ؟**) قالوا: بلَى إنْ شئْتَ يا رسولَ الله. قال: (**إن شرارَكُم الذى يَنزِلُ وَحْدَهُ، ويَجْلِدُ عَبْدهُ، ويَمْنَعُ رِفْدَهُ.. أفلا أُنَبِّئُكُم بشرٍّ من ذلك؟**) قالوا: بلَى إن شئْت يا رسولَ الله. قالَ: (**مَن يُبغضُ النّاسَ وَيُبْغضونَه**) قال: (**أفلا أنبِّئكُم بشرٍّ من ذَلكَ؟**) قالوا: بلَى إن شئْتَ يا رسول الله. قال: (**الذينَ لا يُقيلُونَ عَثْرةً، ولا يَقْبلُونَ مَعْذرةً، ولا يَغْتفِرُونَ ذَنْبًا**). قَالَ: (**أفلاَ أنبِّئُكُم بِشرٍّ من ذلك؟**) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: (**مَنْ لا يُرجَى خَيْرُه، ولا يُؤمَنُ شرُّه**). [رواه الطبرانى وغيره]

ففى هذا الحديث الشريف يخبرنا النبى ﷺ بشرار الناس، وهو:

(الذى ينزل وحده)، أى: إذا كان مع رفقة فى سفر فنزلوا منزلاً لم يشاركهم فيه، ونزل فى مكان وحده.. وهذا معناه.. أن فلانًا هذا قد عزل نفسه عن إخوانه.. الذين كان ينبغى عليه أن يظل مرتبطًا بهم فى هذا السفر الذى لابد فيه من الصحبة الصالحة.. (اللهم) إلا إذا كانت هذه الصحبة غير صالحة.. فإنه يتحتم عليه حينئذ أن يعتزلهم حتى لا يكون شريكًا لهم فيما يفعلونه من الآثام.. وإلى هذا يشير أحدهم فى قوله:

وَحْـدةُ الإنســان خَيْـرٌ ... من جليسِ السُّوء عنـده
وجليـسُ الخيـرِ خَيْـرٌ ... من جُلوسِ المـرءِ وَحْـده

● **(والذى يجلد عبْده)**، أى: يضربه ويؤذيه ولا يغفر له هفواته.. لمجرد أنه عبد حكمت عليه الأيام (٩١٧) بهذا المصير الذى جعله مملوكًا لهذا السيد الظالم.. الذى كان لابد أن يفهم أن هذا العبد إنسان مثله.. له مشاعره.. وأن الله تعالى خلق الناس سواسية كأسنان المُشط.. لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى..

(٩١٧) بسبب الحروب.. أو ما شابه هذا.. بأن يكون مملوكًا بعد أن كان سيدًا.. أو صاحب جاه دنيوى.

فهو القائل سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٩١٨).

(وقد) ورد أن النبى ﷺ كان يُرغِّب فى عتق رقابِ الأرقَّاء المؤمنين:

فعن أبى نَجيح السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قال: حاصَرْنَا مع رسول الله ﷺ الطائف، وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (**أيُّما رَجُل مُسلم أعتق رجُلاً مُسلمًا ، فإن الله عَزَّ وجَلَّ جاعل وِقَاء (٩١٩) كُلِّ عَظْم من عظامه عظمًا من عظام مُحَرِّرِه(٩٢٠)، وأيُّما امرأة مُسلمَة أعتقت امرأةً مُسلمةً، فإن الله عز وجَلَّ جاعل وِقَاءَ كُلِّ عَظمٍ من عظامها عَظْمًا من عظام مُحرِّرتها من النار**).

[رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه]

وفى رواية لأبى داود والنسائى: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**مَن أعتق رقبة مؤمنة كانت فِداءه من النار**) .

● (**وهو الذى يمنع رِفْده**): أى: عطاءه ونواله.. وهذا معناه أن فلانًا هذا قد حرم نفسه من ثواب كان ينبغى عليه أن يحرص على تحصيله حتى يكون ثِقلاً فى ميزانه: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (٩٢١) .

وقد ورد فى السنة:

عن أبى هُرَيرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا يَجتمع غُبارٌ فى سبيل الله، ودُخانُ جهنم فى جوف عَبْدٍ أبدًا (٩٢٢)، ولا يجتمع شُحٌّ وإيمان فى قلب عبدٍ أبدًا (٩٢٣)**).

[رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم واللفظ له.

ورواه أطول منه بإسناد على شرط مسلم]

---

(٩١٨) الحجرات: من الآية ١٣ .

(٩١٩) هو بكسر الواو كل ما جعلته وقاية لشىء ، ويقال: وقاه الله السوء أى: حفظه .

(٩٢٠) هو بفتح الراء الأولى مشددة أى: معتقه.

(٩٢١) النبأ: من الآية ٤٠ .

(٩٢٢) المراد أن من شهد غبار المعركة مع الكفار لا يدخل النار .

(٩٢٣) وذلك لأن الشح إيثار للمال وعبادة له وليس ذلك من شأن المؤمن .

وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: **(مَن نَفَّسَ عن مُسْلم كُرْبَةً (٩٢٤) من كُرب الدنيا (٩٢٥)، نَفَّسَ الله عنه كُرْبةً من كُربِ يومِ القيامة، ومَن يسَّر على مُعْسِرٍ (٩٢٦) فى الدنيا يَسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة. (٩٢٧) ومَن سَتَر على مسلم فى الدنيا سَتَر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عَوْنِ العبد (٩٢٨) ما كان العبدُ فى عَوْنِ أخيه (٩٢٩)).**

[رواه مسلم وأبو داود والترمذى واللفظ له، والنسائى، وابن ماجه والحاكم ، وقال: صحيح على شرطهما]

ثم بعد ذلك يخبر النبى ﷺ عن الذين هم شَرٌّ من ذلك ، فيقول:

(مَن يُبغِضُ الناسَ ويبغضونه) ، أى: الذى لا يألف أحدًا من الناس ولا يألفه أحد منهم.. (بل) ينفرون منه لسوء خلقه.. (والعياذ بالله).. وهذا معناه أن فلانًا هذا.. لا خير فيه.. لأنه لو كان فيه خيْر.. أو كان الخير: يجرى على يديه.. لكان قريبًا من إخوانه المؤمنين.. الذين سيكونون تبعًا لهذا السلوك الأخلاقى على صلة به.. وكان حبه مُتربِّعًا على قلوبهم.. وقد ورد فى الحديث: **(المؤمن آلف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف).**

● **(وهم الذين لا يُقيلون عثرةً)** ، أى: لا يصفحون عن زَلَّة ، ولا يغفرون هفوة، بل يتعنتون ويتشدّدُون.. وهذا معناه أن المتخلِّقين بهذا الخُلق البغيض ليسوا من هؤلاء المؤمنين الحقيقيين الذين من أهم أخلاقهم أنهم يُقيلون لذوى العثرات عثراتهم.. التى قَلَّ أن ينجو منها أحد.. والتى نسأل الله تعالى أن يعافينا جميعًا منها .

● **(وهم الذين لا يقبلون معذرة)** ، أى: يرفضون عذر من اعتذر إليهم

---

(٩٢٤) الكُربَة بضم الكاف: الغم والشدة.

(٩٢٥) يعنى: أهوالها وشدائدها .

(٩٢٦) بأن أنظره حتى يزول إعساره أو تجاوز له عن بعض الدَّيْن أو كله .

(٩٢٧) يعنى: جعل أموره سهلة ميسرة لا عناء فيها ولا تعقيد .

(٩٢٨) ومن أعانه الله فهو المعاق ومَن خذله فهو المخذول.

(٩٢٩) أى: مدة عون العبد فى عون أخيه وفى حاجته.. فـ(ما) مصدرية ظرفية.

ويُصرُّون على مؤاخذته.. وهذا معناه أن هؤلاء لا يعرفون أن كل إنسان منا فى هذه الحياة مُعرض للخطأ.. (ففى) الحديث الشريف: (**كلُّ ابن آدمَ خَطَّاء، وخيرُ الخطائين التَّوابُونَ**) وأنه إذا كان الله تعالى سيغفر له زلَّتَهُ، وسيقبل معذرته التى سيُعلنُ فيها أو بها توبته.. فإنه ينبغى على العبد كذلك أن يكون متخلقًا بهذا الخلق الإلهى الكريم.. حتى لا يكون هناك ما يُسمَّى بالتعالى أو عدم الصفح بين المسلمين.. وهذا بالطبع ليس من صفات أهل الخير.

● (**ولا يغتفرون ذنبًا**) ، أى: لا يسترون خطئاً ولا يعفون عمن أساء إليهم.. وهذا كذلك ليس من صفات المؤمنين.. لأن المؤمن هو الذى يعفو عمن ظلمه.

(وفى) الحديث الشريف: عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**ما نقصتْ صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عِزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل**). [رواه مسلم والترمذى]

(فمعنى) ، (**ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عِزًا**): أى: إذا عفا عن ظالمه ولم ينتقم منه زاده الله بذلك العفو عِزًا وشرفًا .

(وعن) عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**ارحموا. تُرحَموا. واغفروا يُغْفَرْ لكم**). [رواه أحمد بإسناد جيد]

وفى رواية له من حديث جرير بن عبدالله قال رسول الله ﷺ: (**من لا يرحم الناسَ لا يرحمه الله ، ومن لا يغفر لا يُغفر له**) . وعلى هذا ، فإنه ينبغى على الأخ المسلم.. أن يكون متخلقًا بهذا الخلق الكريم الوارد فى الحديثين الأخيرين.

● (**وهم الذين لا يُرجَى خيرهم ، ولا يُؤْمَن شرُّهم**): أى: لا يُتَوقَّع الخير منهم.. والعياذ بالله.. وإنما هم على عكس هذا.. يُتوقع الشَّر منهم..

فلنحذر جميعًا أن نكون من أهل الشر المشار إليهم فى هذا الحديث الشريف الذى دُرْنَا حوله [٩٣٠] (ولنكن) على عكس هذا من أهل الخير.. ففى الحديث (**طُوبى لمن زكتْ نفسه ، وحسُنت خليقته، وطابتْ سريرته، وعزلَ عن الناس شرَّه**..).

---

(٩٣٠) بتصرف يسير فى توضيح بعض ألفاظه لتُناسب السياق.

والله نسأل أن يجعلنا جميعًا من المشار إليهم فى قول الرسول ﷺ: (**طوبى لمن جعله اللهُ مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر**) ، وعلى عكس هذا: والويل كُلُّ الويل لمن جعله مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير ـ كما ورد أيضًا فى الحديث ـ والله نسأل فى الختام أن يحفظنا ويحفظ أهلنا.. بل ويحفظ وطننا وأمتنا من الشر وأهله.. اللهم آمين ،،

(٦٧) هل سورة الفاتحة رُقيةٌ.. يا رسول الله؟

عن أبى سعيد الخدرىِّ رضي الله عنه، قال: (انطلق نفر من أصحاب النبى ﷺ فى سَفْرة سافروها، حتى نزلوا على حَىٍّ من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبَوْا أن يُضَيِّفُوهم . فَلُدِغَ سَيِّدُ ذلك الحىِّ، فَسَعَوْا له بكل شىء لا ينفعه شىء. فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرَّهْط (٩٣١) الذين نزلوا، لعلهم أن يكون عند بعضهم شىء فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط ، إن سيدنا لُدِغَ وسَعَينا له بكل شىء لا ينفعه شىء ، فهل عند أحد منكم من شىء؟ فقال بعضهم: نعم ، والله إنى لأرقى، ولكن استضفناكم فلم تُضَيِّفونا، فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ، ويقرأ الحمد لله رب العالمين، فكأنما نَشِط من عقال. فانطلق يمشى وما به قَلَبَةٌ . قال: فأوفوهم جُعْلهم الذى صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقتسموا. فقال الذى رقى: لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله ﷺ فنذكر له الذى كان، فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له ذلك. فقال:

(وما يُدريك أنها رُقية. ثم قال: قد أصبتُم، اقتسِمُوا واضْرِبوا لى معكم سهمًا) [رواه البخارى ومسلم] (٩٣٢)

---

(٩٣١) الرهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة (مختار الصحاح) ص ٢٥٩.

(٩٣٢) وأخرجه أيضًا الترمذى وابن ماجه وأحمد .

وقد روى ابن ماجه فى سننه، من حديث على قال: قال رسول الله ﷺ: **(خيرُ الدواءِ القرآنُ)**

يقول فى (الطب النبوى) [٩٣٣]، بعد ذِكْر هذين الحديثين الشريفين: ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة، فما الظن بكلام رب العالمين: الذى فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه الذى هو الشفاء النافع.. والنور الهادى، والرحمة العامة، الذى لو أُنزل على جَبل لتصدَّع من عظمته وجلالته. قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [٩٣٤]. (ومن) ههنا لبيان الجنس، لا للتبعيض. هذا أصح القولين. كقوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [٩٣٥]. وكلهم من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فما الظن بفاتحة الكتاب التى لم يُنزَّل فى القرآن ولا فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور مثلُها، المتضمنة لجميع معانى كتب الله، المشتملة على ذكر أصول أسماء الرب ومجامعها، وهى: الله والرب والرحمن والرحيم، وإثبات المعاد، وذكر التوحيدين: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وذكر الافتقار إلى الرب سبحانه وتعالى فى طلب الإعانة، وطلب الهداية، وتخصيصه سبحانه بذلك، وذكر أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعه وأفرضه، وما العباد أحوج شىء إليه، وهو: الهداية إلى صراطه المستقيم المتضمِّن كمال معرفته وتوحيده وعبادته، بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والاستقامة عليه إلى الممات. ويتضمَّنُ ذكر أصناف الخلائق وانقسامهم إلى مُنْعَم عليه بمعرفته الحق والعمل به ومحبته وإيثاره.. ومغضوب عليه: بعدوله عن الحق بعد معرفته له، وضالٍّ: بعدم معرفته له. وهؤلاء أقسام الخليقة. مع تضمُّنها لإثبات القَدر والشرع، والأسماء والصفات، والمعاد والنبوات، وتزكية النفوس، وإصلاح القلوب، وذكر عدل الله وإحسانه، والردِّ على جميع أهل البدع والباطل.

---

(٩٣٣) ص ١٣٨، وما بعدها.

(٩٣٤) الإسراء: من الآية ٨٢.

(٩٣٥) سورة الفتح: من الآية ٢٩.

(وبالجملة): فما تضمنته الفاتحة ـ من إخلاص العبودية ، والثناء على الله، وتفويض الأمر كله إليه ، والاستعانة به والتوكل عليه، وسؤاله مجامع النعم كلها ، وهى: الهداية التى تجلب النعم، وتدفع النقم . ـ من أعظم الأدوية الشافية الكافية .

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كل هذا.. حتى ينتفعا بسورة الفاتحة التى قرأتُ أن جميع معانى القرآن جُمعت فيها ، وأن جميع معانيها جُمعت فى البسملة [٩٣٦]، وأن معانى البسملة جُمعت فى الباء التى فى أولها، وأن معانى الباء جُمعت فى النُّقطة التى تحتَها، لأنها تدل على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى.. والله ولى التوفيق ،،

(٦٨) يا رسول الله، من أين أتصدق وليس لنا أموال ؟

عن أبى ذر ﷺ، قال: قلتُ: يا رسول الله من أين أتصدقُ، وليس لنا أموال؟ قال: (**لأنَّ مِن أبواب الصدقة: التكبير، وسبحان الله ، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، وأستغفر الله ، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعزل الشوكَ عن طريق الناس، والعظمَ والحجرَ، وتهدى الأعمى ، وتسمع الأصم والأبْكَم حتى يفقه، وتَدُلَّ المسْتَدِلَّ على حاجة له قد علمتَ مكانها، وتسعى بشِدَّة سَاقَيْكَ إلى اللَّهفان المستغيث، وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف: كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك، ولك فى جماع زوجتك أجر**).

[الحديث رواه أحمد ومسلم]

وعند مسلم: قال: يا رسول الله، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: (**أرأيتُم لو وضعها فى حرامٍ، أكان عليه فيها وِزْر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر**).

---

(٩٣٦) أى: بسم الله الرحمن الرحيم .

وفى نص آخر رواه البخارى وغيره ، قال رسول الله ﷺ: (**عَلَى كُلِّ مسلم صدقة، فقالوا: يا نبى الله فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه، ويتصدق. قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يُعِينُ ذَا الحاجةِ الملهُوف** [٩٣٧]. **قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف وليُمسك عن الشر، فإنها له صدقة**).

وروى أحمد وغيره، عن رسول الله ﷺ أنه قال:(**كلُّ نفس كُتب عليها الصدقةُ كُلَّ يوم طلعت فيه الشمس، فمن ذلك أن يعدل بين الاثنين** [٩٣٨] **صدقة، وأن يُعين الرجُلَ على دابته فيحملَه عليها صدقة، ويرفعَ متاعه عليها صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكُلُّ خطوة يمشى إلى الصلاة صدقة**) .

فمن كل تلك الأحاديث الشريفة الصحيحة يَتَّضِحُ للأخ المسلم كَما يتأكَّد له أن كل معروف صدقة.. وأن أعمال البر ليست قاصرة على نوع معين.. وإنما كل خير سَيُجريه الله تعالى على يد هذا الإنسان ـ ذكرًا كان أم أنثى ـ سيكون معروفًا وصدقة بالنسبة له.. ففى الحديث الذى رواه أحمد والترمذى وصححه يقول صلوات الله وسلامه عليه:

(**كلُّ معروف صدقة، ومن المعروف أنْ تلقَى أخاك بوجه طَلْقٍ، وأن تُفرغ من دَلْوك فى إنائه**).

وفى رواية للبخارى يقول صلوات الله وسلامه عليه: (**لا يغرس مسلمٌ غرسًا ، ولا يزرع زرعًا فيأكل منه إنسان، ولا دابة، ولا شىء إلا كانت له صدقة**).

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا وينفذاه حتى يفوزا بهذا الخير المُبَشَّر به فى هذا الحديث الشريف الذى رواه الطبرانى فى الأوسط والذى يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه:

---

(٩٣٧) الملهوف: أى المظلوم يستغيث (مختار الصحاح) ص ٦٠٦ .

(٩٣٨) أى: المستغيث سواء أكان مظلوماً أم عاجزاً .

(صنائعُ المعروف تقى مصارع السوء، والصدقة خَفِيّاً [٩٣٩] تطفئ غضب الرب، وصِلَة الرحم تزيد فى العمر ، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة، وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة ، وأول مَن يدخل الجنةَ أهل المعروف) .

والله ولى التوفيق،،

(٦٩) يا رسول الله.. إنَّا قوْمٌ من أهل البادية.. فعَلِّمنا شيئًا ينفعنا اللهُ به؟

عن أبى جُرىٍّ الهُجَيْمى رضي الله عنه قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ: فقلتُ: يا رسول الله، إنَّا قومٌ من أهل البادية [٩٤٠]، فَعَلِّمنَا شيئًا ينفَعُنا الله به [٩٤١] ؟ فقال: (لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئًا [٩٤٢]، ولو أن تُفْرِغَ من دَلْوكَ فى إناء المُسْتَسْقِى [٩٤٣]، ولو أن تُكَلِّم أخاكَ، وَوَجْهُكَ إليه مُنْبَسِطٌ [٩٤٤]، وإياكَ وإسْبالَ الإزار [٩٤٥] فإنه من المخيلة [٩٤٦]، ولا يُحبُّهَا الله، وإن امرؤ شَتَمكَ بما يعلَم فيك [٩٤٧] فلا تَشْتُمه بما تعلم فيه [٩٤٨]، فإن أجره لك وَوَبالهُ [٩٤٩] على مَن قَالَه) [رواه أبو داود والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائى مُفرَّقًا، وابن حبان فى صحيحه واللفظ له]

---

(٩٣٩) أى: فى السر بعيدًا عن المنِّ والأذى .

(٩٤٠) أى: من سكانها .

(٩٤١) أى: فى دنيانا وأخرانا .

(٩٤٢) أى: لا تستصغرنَّ ما تقدمه لغيرك من بر ومعروف مهما صَغُر.

(٩٤٣) أى: الذى يطلب منك السُّقيا .

(٩٤٤) أى: متهلِّل .

(٩٤٥) أى: إطالته حتى يجر على الأرض .

(٩٤٦) بفتح وكسر أى الاختيال والتكبر .

(٩٤٧) أى: هجاك وسبَّك بالذى يعلمه فيك من نقص أو عيب .

(٩٤٨) أى: فلا تقابله بمثل فعله .

(٩٤٩) أى: ضرره وعقابه.

وفى رواية للنسائى، فقال: **(لا تحقِرنَّ من المعروف شيئًا أن تأتيه** [٩٥٠]**، ولو أن تهب صلَة الحَبْل** [٩٥١]**، ولو أن تُفْرِغَ من دلوك فى إناء المسْتَسْقى، ولو أن تَلْقىَ أخاكَ المسلمَ ووجهُكَ بَسِطٌ إليه، ولو أن تُؤنِسَ الوحشان** [٩٥٢] **بنفسِكَ، ولو أن تَهَب الشسْعَ** [٩٥٣]**)** .

وعن أبى ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تحقِرنَّ من المعروف شيئًا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق** [٩٥٤]**)**. [رواه مسلم]

ففى كل هذه الأحاديث الشريفة يعلمنا الحبيب صلوات الله وسلامه عليه.. أهَمَّ أسباب المودة والرحمة بيننا وبين إخواننا المؤمنين.. الذين ينبغى أن يكون الاتصال بيننا وبينهم مستمرًا.

وذلك حتى يتحقق المشار إليه فى قول الرسول ﷺ: **(المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان يشُدُّ بعضه بعضًا)**. [رواه مسلم] [٩٥٥]

(مَثَلُ المؤمنين فى تَوادِّهم وتَراحُمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى [٩٥٦] **له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى)** [رواه مسلم][٩٥٧].

كما ورد أيضًا عنه صلوات الله وسلامه عليه فى رواية مسلم [٩٥٨]: **(المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله)** .

ولهذا، فقد قال الرسول ﷺ للرجل الذى طلب منه ـ بلسان قومه ـ أن يُعلِّمهم شيئًا ينفعهم الله به.

---

(٩٥٠) أى: لا تحقرن فعل شىء من المعروف مهما قل ، وجملة (أن تأتيه) بدل من شيئًا .

(٩٥١) أى: ولو أن تعطى لغيرك قطعة من الحبل ليطول بها حبله .

(٩٥٢) أى: تزيل وحشته وتطمئن خاطره.

(٩٥٣) الشِّسْع: أحد سيور النعل.

(٩٥٤) بوجه طليق: أى مشرق بالابتسامة التى تشير إلى صفاء القلب .

(٩٥٥) عن أبى موسى رضى الله عنه .

(٩٥٦) كأن بعضهم دعا بعضًا فى الأساس، تداعت عليهم الحيطان تهدمت ، وتداعت إبل فلان: أى هزلت أو هلكت . فيظهر أن ما فى الحديث من هذا القبيل .

(٩٥٧ ـ ٩٥٨) عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

(لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ، ولو أن تُفرغ من دلوك فى إناء المستسقِى): أى: لا تستصغرنَّ ما تقدمه لغيرك من المحتاجين إلى برِّكَ ومعروفك.. مهما صغر حجمه أو قَلَّتْ قيمته.. لأن أى شىء من هذا القبيل سيكون له ثقله وقدره عند الله تبارك وتعالى الذى يقول:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٩٥٩)، ويقول: **﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾** (٩٦٠) حتى ولو كان هذا الشىء.. قليلاً من الماء تُفرغهُ من دلوك فى دلو المستسقى الذى طلب منك هذا..

(ولو أن تُكَلِّم أخاك، ووجهُكَ إليه مُنبسط) لأن فعلاً كهذا سيكون معناه، أنكَ قد فتحت قلبك له.. وأنك قد أدركت أهمية هذا الفعل الذى هو من المعروف.. كما ورد فى رواية جابر ﷺ التى يقول فيها صلوات الله وسلامه عليه: **(.. وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق..)** (٩٦١) أى: ومن جملة المعروف أن تبشَّ فى وجه أخيك إذا لقيته ـ حتى ولو لم تُعطه شيئًا ـ لأن هذا أيضًا من الصدقة.. كما ورد فى رواية أبى ذر ﷺ التى يقول فيها صلوات الله وسلامه عليه: **(تَبسُّمكَ فى وجه أخيك صدقة..)** (٩٦٢) أى: إن إظهارك له البشارة والبشر إذا لقيته تُؤْجَر عليه كما تُؤْجَر على الصدقة.. مع ملاحظة أن المراد بالتبسُّم: أن تظهر الأسنان بدون صوت، فإن كان بصوت لطيف يسمعه من يقرب منه كان ضاحكًا، فإن كان قويًا يسمعه البعيد سُمِّى قهقهة.. والممدوح الأول .

(وإياك وإسبَال الإزار فإنه من المخيلة ، ولا يُحبُّها الله): وهذا تحذير هام لابد أن يلاحظه الأخ المسلم، والمؤمن بصفة خاصة.. لأنه يتنافى مع أخلاق

---

(٩٥٩) الزلزلة: ٧ .

(٩٦٠) المزمل: من الآية ٢٠ .

(٩٦١) والحديث بتمامه رواه أحمد والترمذى وقال: حديث حسن صحيح ، وصدره فى الصحيحين من حديث جابر (انظر الترغيب والترهيب) ج٣ ص ٦٦٨ .

(٩٦٢) والحديث بتمامه رواه الترمذى وحسَّنه ، وابن حبان فى صحيحه. (الترغيب والترهيب) ج٣ ص ٦٦٨ .

المؤمنين الذين من أهم صفاتهم أن يكونوا من المتواضعين تنفيذًا لوحى الله تبارك وتعالى:

(فعن) عياض بن حمَار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله أوحى إلىَّ أنْ تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغى أحد على أحد)** [رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه]: (وذلك) حتى لا يتعاظم أحد على أحد ويفخر عليه بما أعطى من زيادة فى مال أو جاه.. الخ من حطام الدنيا الزائل.

(وعن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(ما نقصتْ صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عِزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)** [رواه مسلم والترمذى]؛ لأنه لما تواضع لله عز وجل وخفض جناحه للخلق وألان جانبه لهم: جازاه الله على ذلك بالشرف وعلو الدرجة.

(وعلى عكس هذا) ، فقد حَذَّر الرسول ﷺ من الكِبْر الذى هو المنهى عنه فى الحديث:

فعن عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبى ﷺ قال: **(لا يدخل الجنةَ مَنْ كان فى قلبه مثقال ذَرَّة** (٩٦٣) **من كِبْر)** فقال رجل: إن الرجل يُحبُّ أن يكون ثوبُه حَسَنًا، ونعلُه حسنةً ؟ قال: **(إنَّ الله جميل** (٩٦٤) **يُحبُّ الجمال. الكِبْر بَطَر الحق، وغَمْطُ الناس)** [رواه مسلم والترمذى]: (وبَطَر الحق) بفتح الباء الموحدة، والطاء المهملة جميعًا: هو دَفْعه وردُّه. (وغمط الناس) بفتح الغين المعجمة وسكون الميم وبالطاء المهملة: هو احتقارهم وازدراؤهم.. وكذلك غمصهم بالصاد المهملة، وقد رواه الحاكم فقال: **(ولكن الكبر مَن بَطَرَ الحق، وازدرى الناس)** وقال: احتجًا بروايته .

وعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(بينما رجلٌ ممن كان قبلكم يَجُرُّ إِزَارَهُ من الخُيَلاء خُسِفَ به، فهو يَتَجَلْجَلُ فى الأرض إلى يوم القيامة)**

---

(٩٦٣) هى النملة الصغيرة ، أو هى الهباءة التى تُرى فى ضوء الشمس من كوة.

(٩٦٤) قال فى النهاية: (أى: حسن الأفعال كامل الأوصاف).

[رواه البخارى والنسائى وغيرهما] . و(الخُيلاء) بضم الخاء المعجمة وتكسر بفتح الياء ممدودًا: وهو الكبر والعُجب. وَ(يتجلْجَلُ) بجيمين، أى: يغوص وينزل فيها .

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**بينما رَجلٌ يمشى فى حُلَّة تُعْجبُهُ نفسُهُ مُرَجِّل رأسه** (٩٦٥) **، يختال فى مِشْيته** (٩٦٦)**، إذ خَسَفَ الله به فهو يَتَجلْجَلُ فى الأرض إلى يوم القيامة**). [رواه البخارى ومسلم]

(**وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه ، فإن أجره لك، ووباله على مَن قاله**) أى: إن تطاول عليك أحد السفهاء من الناس.. فقال كلامًا بذيئًا بقصد إثارتك، أو إخراجك عن طبيعتك الأخلاقية التى لم تعتد التعامل بغيرها مع الناس.. (وإلا) فإنك ستكون مثله.. وستكون أيضًا قد مكَّنْتَه من نفسك.. وحسبك قول النبى ﷺ الذى ختم به توجيهه هذا، وهو: (**فإن أجره لك، ووباله على من قاله**) (بل) وحسبك فى النهاية أن تحقق كذلك المراد من قول الرسول ﷺ: (**اتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرة**(٩٦٧)**، فمن لم يجد فبكلمة طيِّبة**(٩٦٨)) . [رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ]

(وعلى) الأخت المسلمة.. أن تلاحظ كل هذا كذلك حتى لا تكون من أهل الكبر.. بل وحتى تكون كذلك إن شاء الله من أهل الجنة..

والله ولى التوفيق ،،

(٧٠) ماذا قال رسول الله ﷺ للنساء فى موعظته لهُنَّ.. يومَ اجتمعنَ لكى يُعلِّمهُنَّ؟

عن أبى سعيد الخُدرىِّ ﷺ قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت :

---

(٩٦٥) أى: سَرَّح شعر رأسه .

(٩٦٦) هى بكسر الميم: الهيئة من المشى .

(٩٦٧) أى: بنصف تمرة وهو بكسر الشين .

(٩٦٨) يعنى: فمن لم يجد ما يتصدق به فليتصدق بكلمة نافعة.

يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتك فيه تُعلمنا مما علَّمك الله. قال: **(اجتمعن يوم كذا وكذا فى موضع كذا وكذا)** فاجتمعنَ، فأتاهُنَّ النبى ﷺ فعلَّمهُنَّ مما علَّمه الله ، ثم قال: **(ما منكُنَّ من امرأة تُقدمُ ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابًا من النار)** فقالت امرأة: واثنين؟ فقال رسول الله ﷺ: **(واثنين)**. [رواه البخارى ومسلم وغيرهما]

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ فى قوله للمرأة مبعوثة النساء: **(اجتمعن يوم كذا وكذا..)** إلى ضرورة أن تتعلم المرأة المسلمة أمور دينها.. وكذلك لابد أن تُزَوَّد مع أخواتها المسلمات بالمواعظ النافعة.. حتى تنتفع بها كما ينتفع الرجال الذين كثيرًا ما يستأثرون بمجالس العلم النافع.. مع أنه لا مانع شرعًا.. من أن تذهب المرأة المسلمة ـ المحتشمة والغير متعطرة ـ بإذن زوجها أو ولى أمرها إلى المسجد.. لكى تصلى وقتًا من أوقات الصلاة مع الجماعة، ولكى تسمع إلى درس علم نافع مع إخوانها المسلمين.. ما دام هناك مكان مُهَيَّأ لها فى مؤخرة المسجد.. فقد كانت النساء على عهد رسول الله ﷺ يحضُرن الجماعات، ويُصلين خلف الرجال.. ولكن صلاتها فى بيتها أوْلَى من صلاتها فى المسجد، حتى أن الله عز وجل لم يفرض عليها الجمعة، مثل الرجال.

(فعن) عبدالله بن عمر أن النبى ﷺ قال: **(لا تمنعوا النساء أن يَخرجْنَ إلى المساجد، وبيوتهن خَيْر لَهُنَّ)**. [رواه أحمد]

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **(لا تمنعوا إماءَ الله مساجد الله، وليخرجن تَفِلات)** (٩٦٩) [رواه أبو داود]

(وهذا) معناه أن طلب الخير.. الذى من أهمه طلب العلم النافع ليس قاصرًا على الرجال فحسب.. (بل) إنه ينبغى على الرجال أن يُعلِّموا زَوْجَاتهنَّ، وبناتهنَّ، وأخواتهنَّ.. وقد وردت الإشارة إلى هذا فى الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول ﷺ: **(طلبُ العلمِ فريضةٌ على كُلِّ مسلمٍ..)** (٩٧٠)، فقد قال

---

(٩٦٩) أى: غير متعطرات .

(٩٧٠) جزء من حديث رواه ابن ماجه وغيره.

العلماء: أى: ومسلمة.. تبعًا للرجل.. لأن الرجل الذى هو الزوج أو الأب أو الأخ أو الابن.. عندما يتعلم علمًا نافعًا.. فإنه يتعلم لنفسه ولكل أفراد أُسرته من النساء.. وإلاَّ فإنه سيُسأل عن تقصيره فى هذا يوم القيامة.. ولاسيَّما إذا كان هذا العلم النافع يتعلق بالأحكام الفقهية المتعلقة بالطهارة والصلاة.. وجميع أركان الإسلام.. ففى الحديث الشريف: (**مَن يُرد الله به خيرًا يُفقِّهه فى الدين**)[٩٧١] الذى هو جميع تعاليم الإسلام وأحكامه.. على أساس من الإيمان والإسلام والإحسان .

(هذا) وإذا كان النبى ﷺ قد قال فى موعظته للنساء: (**ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من الولد، إلا كانوا لها حجابًا من النار**)، فإن المعنى هو: أن المرأة المسلمة التى يموت لها ثلاثة من الأولاد ـ فى حياتها ـ فاحتسبتهم عند الله.. وكانت صابرة على وفاتهم.. وراضية بقضاء الله تعالى فيهم.. ولم تفعل ما يفعله الأُخْريات من لطم الخدود، وشقِّ الجيوب.. بالإضافة إلى (دعوى الجاهلية): (**كانوا لها حجابًا من النار**) أى: سترًا واقيًا.. (وإذا) كانت المرأة الأخرى قد قالت: (واثنين؟) فقال لها رسول الله ﷺ: (**واثنين**)، فإن هذا معناه كذلك أن الله تبارك وتعالى قد أرسل رسوله صلوات الله وسلامه عليه بالبشريات العظيمة للصابرين والصابرات: ﴿ **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾[٩٧٢] مع ملاحظة كذلك أن الرجل مشارك للمرأة فى هذا الخير: (فعن) عبد الرحمن ابن بشير الأنصارى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَن مات له ثلاثة من الولد لمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ لم يَرِد النارَ إلا عابرَ سبيل**[٩٧٣]**، يعنى: الجواز على الصراط**[٩٧٤]**).** [رواه الطبرانى بإسناد لا بأس به، وله شواهد كثيرة]

---

(٩٧١) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه.. وغيرهم .

(٩٧٢) البقرة: ١٥٦ ، ١٥٧.

(٩٧٣) أى: مجتازًا لطريق .

(٩٧٤) فإنه ممدود على متن جهنم ، فمن جازه فقد ورد النار عبورًا لا دخولاً .

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كل هذا.. حتى يكونا إن شاء الله من أهل الجنة لا من أهل النار.. ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى: ﴿لا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٩٧٥).

مع ضرورة الحرص من جانب الأخت المسلمة بصفة خاصة على طلب العلم النافع.. ولو عن طريق القراءة التى ينبغى عليها أن تتعلمها.. (وعلى) الأخ الزوج، أو الأخ، أو الابن(٩٧٦).. أن يُعينها على تحقيق هذا الخير.. الذى ينبغى عليه أن يكون قدوة لها فيه. والله ولى التوفيق ،،

(٧١) حَدِّثنا عن مَأدُبة الله .. يا رسولَ الله

عن ابن مسعود ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال:

(إن هذا القرآن مأدبةُ الله ، فتعلَّموا من مأدُبته ما استطعتم، إن هذا القرآنَ هو حبلُ الله، والنورُ المبين، والشفاءُ النافعُ، عصمةٌ لمن تمسَّك به، ونجاةٌ لمن اتَّبعَهُ، لا يَعْوَجُّ فيُقَوَّمَ، ولا يزيغُ فيُستَعتَبَ، ولا تنقَضِى عجائبهُ، ولا يخلَقُ عن كثرة الرَّدِّ، فاتلُوه فإن الله يأجركُم على تلاوتِه بكل حرف عَشْرَ حَسَنات، أما إنى لا أقول: (ألم) حرف، ولكن: ألف ولام وميم، ولا أُلْفِيَنَّ أحَدكُم واضعًا إحدى رِجلَيْه يدعُ أن يقرأ سورة البقرة، فإن الشيطانَ يَفرُّ من البيت الذى تُقرأُ فيه سورةُ البقرة، وإن أصفَر البيوت لجوف «أصفَرَ من كتاب الله») [أخرجه ابن أبى شيبة، ومحمد بن نصر - وابن الأنبارى فى كتاب المصاحف، والطبرانى فى الكبير، وأبو داود، والبيهقى فى شُعَب الإيمان. عن ابن مسعود المأدَبة بفتح الدال من الأدب، وبالرفع هو الطعام الذى يُدْعَى إليه، وقوله: لا يزيغ: أى لا يميل، وقوله: فيُستعتب: أى يدخل عليه العتب] (٩٧٧).

---

(٩٧٥) الحشر: ٢٠ .

(٩٧٦) بل وينبغى على الوالد أن يكون مهتمًا بتعليم جميع أولاده القراءة والكتابة.. والعلوم النافعة.. ولاسيما الدراسية منذ الصغر.. لأن التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر.. بعكس التعليم فى الكِبَر.. فإنه كالنقش على الماء .

(٩٧٧) والحديث فى جمع الجوامع رقم ٢٩٨٧ - ٧٣٨٣.

وما بين القوسين من هامش مرتضى وأورده الصغير من رواية الحاكم فى المستدرك فى «فضائل القرآن» عن ابن مسعود برقم ٢٥١٣ ورمز له بالضعف (**إن هذا القرآن مأدبة الله ، فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم**) فقط، وساق المناوى الحديث كله وقال:قال الحاكم: تفرد به صالح بن عمر عنه وهو صحيح، وتعقبه الذهبى، بأن صالحًا ثقة خرَّج له مسلم، لكن إبراهيم بن مسلم ضعيف .

ومعنى: (يخلَق): يبلى، ومعنى (ألْفِيَنَّ): أجدن من ألفى بمعنى وجد، ومعنى: (يدع أن يقرأ سورة البقرة) أى: يترك قراءتها. ومعنى (أصْفَر): أخْلى، والمراد: الخلو من الخير والبركة. وأصفر الثانى فعل ماضٍ معناه: افتقر وخَلَى، والحديث فى مجمع الزوائد جـ٧ ص ١٦٤ باب منه فى فضل القرآن ومَن قرأه بروايات متكاملة. وقال الهيثمى فى أحد طرقِ الحديث: رواه الطبرانى بأسانيد.. ورجال هذا الطريق رجال الصحيح. ولفظ (الرفع) من كلام مرتضى.

(ففى) هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى (**مأدبة الله**) بفتح الدال، أى القرآن الذى ينبغى على الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يجدا فيه ضالتهما من الأدب الرفيع الذى فيه كل ما تحتاج إليه الروح الطيبة من مقومات وتبصير بكل ما يجعل هذه الروح مُحصَّنةً بكل خير.. (وهو) أيضًا (مأدُبَةُ الله) بضم الدال.. أى الطعام الحقيقى الذى يُدعَى إليه.. لغذاء الأرواح والأجساد.. (بمجرد) أن يعيش الأخ المسلم مع القرآن بكل مشاعره.. متدبِّرًا فى فهم كلماته والمواعظ المنصوص عليها فيه.. (ولاسيما) إذا كان هذا التدبر فى معرفة الأوامر والنواهى.. (وما) كان من أمر السابقين من الأمم وما حدث لهم من العقاب بسبب عدم إيمانهم برسلهم .

(وذلك) حتى نتعظ بكل هذا ونأخذ منه العبرة المشار إليها فى قول الله تعالى لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ **وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (٩٧٨).

---

(٩٧٨) سورة هود: ١٢٠ .

(هذا) بالإضافة إلى ثواب التلاوة المشار إليه فى نص الحديث.. وهو: عشر حسنات بكل حرف.. (وقد) وضح النبى ﷺ هذا بقوله: لا أقول (ألم) حرف ولكن: ألف ولام وميم.. أى: القارئ للقرآن[٩٧٩] سيأخذ عشر حسنات عن كل حرف من تلك الحروف.. (أما) إذا كان لا يحسن القراءة.. فإنه ينبغى أن يكون محسنًا للاستماع.. كما يأمرنا بهذا رب العزة سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[٩٨٠]، وحذار أن يكون من هؤلاء المهرجين فى مجالس القرآن بتلك الصورة التى لا يمكن أبدًا أن تكون من أفعال العقلاء الذين يعرفون حُرمة القرآن.

(وقد) ورد فى الحديث أن رسول الله ﷺقال: (**إن الله يحب الصمتَ عند ثلاث: عند تلاوة القرآن، وعند تشييع الجنازة، وعند الزحف**). وهو حديث صحيح. (مع) ضرورة الإكثار من تلاوة القرآن فى بيوتنا.. (ولاسيما) سورة البقرة حتى تفر الشياطين من بيوتنا.. (وحتى) لا يكون بيت أى واحد منا أصفر من كتاب الله.. أى: لا خير فيه ولا بركة ـ والعياذ بالله ـ .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قال: (**إن هذا القرآن سببٌ، طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تَضِلُّوا ما إن تمسكتم به**) . [أخرجه ابن منيع]

(والمراد) من هذا التنبيه أن يكون المسلم أهْلاً للعمل بما جاء فى هذا القرآن من أحكام.. حتى لا يَضِلَّ أو يزِلَّ.. (وحسبه) أن يفهم المراد من قول الرسول ﷺ فى أول الحديث: (**إن هذا القرآن سببٌ، طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم**)، أى: أنه عهد بينك وبين الله تبارك وتعالى.. (وأنه) قد يكون حجة لك أو عليك.. (فكُنْ) أهلاً لهذا العهد الذى بينك وبين الله.

(وعن) أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إن هذا القرآنَ شافعٌ مُشَفَّعٌ**

---

(٩٧٩) الذى ينبغى عليه أن يكون متوضئًا.. (أما) إذا كان جُنبًا.. فإنه يحرم عليه أن يقرأ القرآن ، أو أن يمس مصحفًا.. وكذلك بالنسبة للأخت الحائض والنفساء .

(٩٨٠) سورة الأعراف: ٢٠٤ .

وماحلٌ مُصَدَّقٌ ، من شفع له القرآن نجا، ومَن مَحَلَ به القرآن يوم القيامة كَبَّهُ الله فى النار على وجهه) [أخرجه محمد بن نصر] (٩٨١)

(والماحل): أى الخصم المجادل، وقيل: ساعٍ، من قولهم: محل بفلان إذا سعى به إلى السلطان، يعنى: أن من اتبعه وعمل بما فيه، فإنه شافع مقبول الشفاعة ومُصدَّق عليه فيما يرفع من مساويه إذا ترك العمل به ا هـ نهاية.

(وعلى هذا) فإنه ينبغى على الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يحرصا كل الحرص على أن يكون القرآن شفيعًا لهما بين يدى الله تبارك وتعالى..

(وليحذرا) أن تكون هناك خصومة بينهما وبين القرآن أمام الله تبارك وتعالى.. بسبب هجره، وعدم العمل بما فيه.. (مع) ملاحظة ما أشار إليه النبى ﷺ فى نص الحديث، وهو أن القرآن (**ماحلٌ مُصَدَّقٌ**)، وأن (**من محل به القرآن يوم القيامة كَبَّهُ الله فى النار على وجهه**) والعياذ بالله.

(وعن) الحكم بن عمير الثمالى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إن هذا القرآن صعب مُسْتَصْعَبٌ لمن كَرِهَهُ، مُيَسَّرٌ لمن تَبِعَه، وإن حديثى صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لمن كرهه، مُيَسَّرٌ لمن تبِعَهُ، مَن سمع حديثى فحفظه، وعملَ به جاء يوم القيامة مع القرآن، ومَن تهاون بحديثى فقد تهاون بالقرآن، ومَن تهاون بالقرآن خسر الدنيا والآخرة**). [أخرجه الخطيب فى التاريخ]

(ففى) هذا الحديث يشير النبى ﷺ إلى ملاحظة هامة، وهى أن القرآن مرتبط بالسنة، وأن السنة مرتبطة بالقرآن.. (وأنه) لن ينفصل أحدهما عن الآخر.. إلا فى نظر هؤلاء الضالين المضلين الذين يسمون أنفسهم بالقرآنيين.. وهم الذين يشكِّكُون فى السنة.. ويطالبون بالعمل بالقرآن فقط.. (مع) أنهم لو كانوا من أولى الألباب.. لعلموا أنهم لن يفهموا القرآن إلا عن طريق السنة.

ففى القرآن ـ مثلاً ـ يأمرنا الله سبحانه وتعالى بالصلاة.. ولكنه لم يبين فى آية من آياته كيف نصلى.. وكم عدد ركعات كل صلاة من الصلوات الخمس..

---

(٩٨١) والحديث فى جمع الجوامع رقم ٢٩٠٤ ـ ٧٣٩٠.

(وإنما) الذى أخبرنا بهذا، وعلمنا إياه هو الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول: (**صلُّوا كما رأيتمونى أُصَلِّى**)، وفى القرآن أيضًا يأمرنا سبحانه وتعالى بأداء فريضة الحج إن استطعنا إلى ذلك سبيلاً.. ولكنه لم يعلمنا كيف تُؤدَّى المناسك.. (وإنما) الذى علمنا هذا هو الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى قال لأصحابه، وهو يحج بهم أو معهم: (**خذوا عنى مناسككم**).

(فليعلم) الأخ المسلم هذا.. حتى يكون مرتبطًا بالقرآن والسنة معًا.. (وحتى) لا يكون والعياذ بالله من المشار إليهم فى ختام الحديث فى قول النبى ﷺ: (**ومَن تهاونَ بحديثى فقد تهاونَ بالقرآنِ، ومَنْ تهاون بالقرآن خسر الدنيا والآخرة**).

(وعن) أبى جهيم الأنصارى ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (**إن هذا القرآنَ أُنزِل على سبعة أحرف ، فلا تَمارَوْا فيه ، فإن المِراءَ فيه كفر**).

[أخرجه البغوى، والبيهقى فى شعب الإيمان]

(وهذا) معناه أن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن (على سبعة أحرف)، أى بجميع لهجات العرب حتى يفهموا المراد منه.. (وإلا) فإن النبى ﷺ لن يستطيع أن يُبلِّغ قرآن الله إلى جميعهم.. (ولهذا) فقد ثبت أن النبى ﷺ كان إذا ذهب إلى أية قبيلة.. كان يخاطبها بالقرآن بنفس اللهجة التى كانوا يتحادثون بها فيما بينهم.. (وهذا) هو الإعجاز الذى مَيَّزَ الله به حَبيبَه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه على العالمين.. (فلا) تختلفوا فى هذا ولا تماروا فيه (فإن المراء فيه كفر).

(مع) ملاحظة أن هناك علمًا من العلوم القرآنية يسمى بعلم القرآن.. فاعقل هذا أخا الإسلام.. وكُنْ من الدارسين لهذا العلم [٩٨٢].. بدل أن تجادل مع المجادلين.. والله ولى التوفيق ،،

---

(٩٨٢) وهناك معهد فى مصر تابع للأزهر الشريف يسمى (معهد القراءات). ويتخرج منه أكثر قراء القرآن الكريم .

(٧٢) ما هى كَفَّارة المجلسِ .. يا رسول الله ؟

عن أبى هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: (**من جلس مجلسًا كَثُر فيه لغَطُه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك**[٩٨٣]: **سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك: إلا غُفِر له ما كان فى مجلسه ذلك**).

[رواه أبو داود والترمذى واللفظ له، والنسائى ، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال الترمذى: حديث حسن صحيح غريب]

وعن أبى برزة الأسلَمِىِّ ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلسًا يقول بآخره [٩٨٤] إذا أراد أن يقوم من المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك. فقال رجل: يا رسول الله إنك لتقول قولاً ما كنتَ تقوله فيما مضى[٩٨٥]؟ فقال: ذلك كَفَّارة لما يكون فى المجلس[٩٨٦] .

[رواه أبو داود ، ورواه الحاكم أبو عبدالله فى المستدرك من رواية عائشة ﷺ وقال: صحيح الإسناد]

وعن عائشة ﷺ قالت: إن رسول الله ﷺ كان إذا جلس مجلسًا ، أو صلَّى تكلم بكلمات، فسألتْهُ عائشة عن الكلمات، فقال: (**إن تكلَّم بخير كان طابَعًا**[٩٨٧] **عليهنَّ إلى يوم القيامة، وإن تكلم بِشَرٍّ كان كَفَّارةً له: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**).

[رواه ابن أبى الدنيا والنسائى، واللفظ لهما ، والحاكم والبيهقى]

---

(٩٨٣) يعنى: قالها عند قيامه من المجلس فجعلها خاتمة كلامه .

(٩٨٤) يعنى: فى ختامه .

(٩٨٥) أى: لم نكن نسمعك تقوله قبل ذلك.

(٩٨٦) أى: هو كفارة لما وقع فى المجلس من سقط الكلام ولغوه ويمحوه ويزيله أو يغطيه ويستره فلا يعاقب الله عليه .

(٩٨٧) أى: كالخاتم الذى يُطبع به الكتاب.

ففى هذه الأحاديث الثلاثة.. يُشير النبى ﷺ إلى أهم ما ينبغى علينا أن نلاحظه جميعًا ـ مسلمين ومسلمات ـ ألا وهو كفارة المجلس (وذلك) حتى نكون إن شاء الله تعالى من الذين يحرصون عليه فى ختام كُلِّ مجلس.. لأن من قال هذه الكلمات مع الفهم والاعتقاد بمضمونها كانت توبةً صحيحة له، وكان حَرِيًا بأن يغفر الله له ما فرط منه فى مجلسه.. (فقد) بدأ الدعاء أولاً بتسبيح الله عز وجل وهو تنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته المقدسة من نقص وعيب ، ثم ثَنَّى ذلك بالحمد والثناء على الله بما له من صفات الكمال ونعوت الجلال، ثم أعقب ذلك بالشهادة له بالتوحيد الخالص من شوائب الشرك فى الإلهية والعبادة، ثم عقَّب ذلك بطلب المغفرة لذنبه، وإعلان التوبة والرجوع إلى الله.

(ولا شك) أن كل هذا الخير الخالص.. سيكون أعظم ختام للمجلس.. حتى ولو لم يكن فيه لغط.. فإنه سيكون له كالخاتم الذى يُطبع به الكتاب فيُنفَّذ ويُعمل بمضمونه.. وإذا كان العكس هو الصحيح فإنه سيكون كفارة له[٩٨٨]

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه فى ختام كل مجلس.. حتى يتحقق ما وقفا عليه فى الحالتين المشار إليهما فى الأحاديث.. والله ولى التوفيق،،

(٧٣) ماذا أقولُ إذا أصابتْنى مُصيبةٌ .. يا رسولَ اللهِ؟

عن أُمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما من عبد تُصيبه مصيبة**[٩٨٩]، **فيقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون** [٩٩٠]: **اللهم آجِرْنى فى**

---

(٩٨٨) انظر ص ٦٨٥ وما بعدها مع الهامش (من الترغيب والترهيب) ج٢ بتصرف وإضافات موضوعية.

(٩٨٩) يعنى: أى مصيبة مهما خفت، فقد ورد أن سراج رسول الله ﷺ طُفِئ فاسترجع ، فقالت له عائشة: أو تلك مصيبة يا رسول الله ؟ قال: (نعم كل شىء يؤذى المؤمن فهو مُصيبة) .

(٩٩٠) يعنى: لله مُلكًا وخَلقًا وعبيدًا يفعل بنا ما يشاء وإنا إليه راجعون فى الآخرة فيجزينا على صبرنا .

مُصيبتِي [٩٩١]**واخلُفْ لى خيرًا منها** [٩٩٢]**: إلاَّ آجرهُ اللهُ تعالى فى مُصيبته، وأخلَف له خيرًا منها)** . قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أىُّ المسلمين خيرٌ من أبى سلمة، أولُ بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إنِّى قلتُها فأخلف الله لى خيرًا منه: رسول الله ﷺ[٩٩٣]) [رواه مسلم ، وأبو داود والنسائى والترمذى] ، ولفظه قالت:قال رسول الله ﷺ: **(إذا أصابَ أحدَكم مصيبةٌ فليقُلْ: إنَّا للَّه وإنَّا إليه راجعون. اللهم عندك أحتسب**[٩٩٤] **مصيبتى فأجُرنى بها وأبدلنى خيرًا منها)** فلما احتضر أبو سلمة [٩٩٥] قال: اللهم اخلفنى فى أهلى خيرًا منى [٩٩٦] فلما قُبِضَ قالت أُمُّ سلمةَ: **(إنا للَّه وإنا إليه راجعون)** ، عند الله أحتسب مصيبتى [٩٩٧] فأجُرنى فيها [٩٩٨]). [رواه ابن ماجه بنحو الترمذى]

قال ابن ماجه: (حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا عبد الملك بن قدامة الجُمحى عن أبيه عن عمر بن أبى سلمة عن أُم سلمة أن أبا سلمة حدثها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **(ما من مسلم يُصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أُمر به من قوله: (إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهم عندك أَحْتَسِبُ مُصيبَتِي فأجُرنِى فيها وعَوِّضنى خيرًا منها: إلاَّ آجَرهُ الله عليهَا وعَاضَهُ خيرًا مِنْها)**، قالت: فلما تُوُفِّى أبو سلمةَ ذكرتُ الذى حدثنى عن رسول الله ﷺ فقلت: **(إنا لله وإنَّا إليه راجعون ، اللهم عندك أحتسب مصيبتى هذه فأجُرنى عليها.. فإذا أردت أن أقول: وعوِّضنى خيرًا منها.. قلت فى نفسى: أُعاضُ خيرًا من أبى سلمة؟ ثم قلتُها فعاضنى اللهُ محمدًا ﷺ وآجرنى فى مصيبتى)** .

---

(٩٩١) يعنى: اكتب لى بها أجرًا .

(٩٩٢) يعنى: وعوِّضنى خيرًا مما فقدته.

(٩٩٣) بالنصب بدل من (خيرًا).

(٩٩٤) أى: أدخر وأعتد .

(٩٩٥) أى: نزل به الموت.. فهو محضور ومُحتضر .

(٩٩٦) أى: اجعل لهم خليفة عنى يكون خيرًا منى .

(٩٩٧) أى: عند الله لا عند غيره أدخر ثواب مصيبتى وأطلب أجرها منه .

(٩٩٨) أى: فاكتب لى أجرها .

هذا، وإذا كان لِيَ أن أُعلِّق على ما جاء فى تلك الأحاديث الشريفة المتعلقة بأم سلمة رضي الله عنها تلك التى أخلفها الله خيرًا من زوجها أبى سلمة رضي الله عنه برسول الله ﷺ خير خلق الله على الإطلاق فى الدنيا والآخرة.. فإن هذا معناه.. أن هذا ما كان إلا لأن أبا سلمة كان مخلصًا فى دعائه.. كما كانت أُمُّ سلمة كذلك أهلاً لهذا الشرف الذى كانت به من أُمهات المؤمنين.. رضى الله عنهن وجعلنا جميعًا أهلاً للانتساب - كمؤمنين - إلى بُنوتهنَّ .. (وما كان) كل هذا كذلك إلا ببركة الاسترجاع الذى رغَّبنا الله تعالى فيه فى قوله:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ أى: ولنختبرنكم بشىء من الخوف ينالكم من عدوكم، وبشىء من الجوع - بسبب القحط - ينالكم فيه مجاعة وشدة ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ أى: وبشىء من نقص الأموال ، والأولاد ، والثمار، كل ذلك للامتحان والاختبار، ليتبيَّن الصادق فى الإيمان من المنافق ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ أى: وبشِّر يا محمد الصابرين على بلائى، المستسلمين لقضائى، بما يَسُرُّهم من المغفرة والرحمة ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أى القائلين عند المصيبة: إنَّا عبيدٌ لله فى حياتنا، وصائرون إليه بعد مماتنا ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ أى: هؤلاء الصابرون لهم مغفرة من ربهم لذنوبهم ، ولهم رحمة من الله ورأفة ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (٩٩٩) المصيبون لطريق الحق، المهتدون للرشد والصواب.

وقد رُوىَ عن ابن عباس رضي الله عنهما فى قوله تعالى ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ (١٠٠٠) وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١٠٠١) قال: أخبر الله عز وجلَّ أن المؤمن إذا سلَّم الأمر لله ورجع

---

(٩٩٩) الآيات ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ من سورة البقرة.. والتفسير من مختصر تفسير الطبرى.. بتصرف يسير .

(١٠٠٠) قيل: معناه ثناء من الله عليهم .

(١٠٠١) أى: لطريق السداد حيث استرجعوا وأذعنوا لأمر الله.. قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: نعم العدلان ونعمت العلاوة: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ فهذان العدلان ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٧) فهذه العلاوة وهى ما توضع بين العدلين زيادة فى الحِمل .

فاسترجع عند المصيبة كُتب له ثلاثُ خصالٍ من الخير: الصلاةُ من الله والرحمةُ، وتحقيقُ سبيل الهُدى [١٠٠٢].

وقال رسول الله ﷺ: **(من استرجع عند المصيبة ، جَبَر اللهُ مُصيبته[١٠٠٣]، وأحسَنَ عُقْباهُ [١٠٠٤]، وجَعل له خَلَفًا [١٠٠٥] يرضاه)**

[رواه الطبرانى فى الكبير]

وفى رواية له: قال رسول الله ﷺ: **(أُعطِيَتْ أمتى شيئًا لم يُعطه أحدٌ من الأُمَمِ عند المصيبة: (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون)** .

يعنى أن الاسترجاع عند المصيبة من خصائص هذه الأمة بدليل أن يعقوب عليه السلام حين أُصيبَ بفقد يوسف عليه السلام قال: (فصبر جميل) ولم يسترجع.. أى: لم يقل: (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

وعن أبى موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا ماتَ ولدُ العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتُم ولدَ عبدى؟ فيقولون: نعم ، فيقول: قبضْتُم ثمرةَ فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدى؟ فيقولون: حَمِدكَ واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدى بيتًا فى الجنة، وسَمُّوه بيت الحمد).**

[رواه الترمذى وحسَّنه وابن حبان فى صحيحه]

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه.. عند المصيبة.. حتى يكونا إن شاء الله تعالى من المُبَشرين فى قول الله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾ (●) بل وحتى يُبنى لكل واحد منهما بيتٌ فى الجنة يُسمَّى ببيت الحمد.. أسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعًا أهلاً لهذا الخير.. اللهم آمين ،،

(١٠٠٢) أى: التوفيق لسلوك طريق الهدى .

(١٠٠٣) أى: عوَّضه عما فقده بتلك المصيبة .

(١٠٠٤) أى: جعل عاقبته حميدة .

(١٠٠٥) أى: جعل له عِوضًا وبدلاً عما فاته ورزقه رزقًا وفيرًا .

(●) البقرة: ١٥٥ .

(٧٤) وما هو الحسدُ المذمُومُ المحذَّر منه.. يا رسول الله؟

عن أبى هُريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**إياكم والحسَدَ ، فإن الحسدَ يأكل الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطب، أو قال: العُشبَ**).

[رواه أبو داود والبيهقى]

ورواه ابن ماجه، والبيهقى أيضًا وغيرهُما من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: (**الحسد يأكُل الحسنات كما تأكُل النارُ الحطبَ ، والصدقة تُطْفِئُ الخطيئةَ كَما يطفِئُ الماءُ النارَ، والصلاةُ نورُ المؤمِن، والصيامُ جُنَّةٌ من النار**).

ففى هذا الحديث الشريف ـ بروايتيه ـ يشير النبى ﷺ إلى ملاحظة واحدة.. (وهى) التحذير من الحسد المذموم ـ الذى معناه أن يتمنى الحاسد زوال النعمة الدينية أو الدنيوية عن المحسود شفاء لحقد نفسه وغيظ قلبه ـ (ولهذا) فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

(وهذا) الحسد المذموم هو المشار إليه فى قول الله تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة: ١٠٩].

أى: تمنى كثير من اليهود والنصارى لو ردوكم كُفارًا بعد إيمانكم.. حسدًا منهم لكم على ما أعطاكم الله من التوفيق، ووهب لكم من الرشاد.. من بعد ما وضح لهم الحق فى أمر محمد وأمر رسالته.. فكفرهم بالله ورسوله عنادًا، وعلى علم منهم ومعرفة.

﴿**هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ**﴾ أى: قل يا محمد لهم: موتوا كمدًا وغيظًا ، وهو دعاء عليهم بالهلاك ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾.

[آل عمران:١١٩]

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[١٠٠٦] أى:ولا تتمنوا الذى فضَّل الله به بعضكم على بعض، من منازل الفضل ودرجات الخير، وليرض أحدكم بما قسم الله له ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ أى: للرجال نصيب من ثواب الله وعقابه، مما اكتسبوه من خير أو شر ، وللنساء نصيب مثل ذلك ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ أى: واسألوا الله توفيقه ومعونته على ما يُرضيه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢] .

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أى: أم يحسد هؤلاء اليهود النبىَّ ﷺ على النبوة التى فضَّل الله بها محمدًا، وشرَّف بها العرب؟ ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أى: فقد أعطينا أهل إبراهيم الصحف، وسائر ما آتيناهم من الكتب ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤] .

ففى تلك الآيات البينات يشير الله تبارك وتعالى إلى ضرورة أن تكون هناك القناعة المتربعة على قلب كل مسلم ومسلمة.. حتى لا يكون هناك فى قلوبهم ما يسمى بالحقد أو الحسد.. (لأنه) يوم أن يكون هذا المرض الخَطير متربعًا على القلوب.. فإن هذا سيكون معناه انفراط عقد المسلمين وعدم التآلف بينهم.. (وهذا) وحده يُعتبر جُرمًا كبيرًا فى حق عامة المسلمين وخاصتهم.. (لأن) تآلف المسلمين وترابطهم من أهم أهداف الإسلام.. (ولهذا) فقد نهى رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه عن التقاطع ، والتدابر، والتباغض ، والتحاسد.. حتى لا يكون هناك هجر أو تخاصم بين المسلمين .

(فعن) أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تَقَاطعوا[١٠٠٧]، ولا تدابروا [١٠٠٨]، ولا تَبَاغضوا [١٠٠٩]، ولا تحاسدوا [١٠١٠]، وكونوا عبادَ**

(١٠٠٦) قال مجاهد: قالت أُم سلمة: يا رسول الله، يغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث.. فنزلت الآية.

(١٠٠٧) من القطيعة والهجر ، وأصله تتقاطعوا فحذفت إحدى التاءين للتخفيف.

(١٠٠٨) التدابر: المعاداة والمقاطعة لأن كل واحد منهما يولى صاحبه دُبره.

(١٠٠٩) أى: لا يبغض بعضكم بعضًا بل تحابوا وتآلفوا، وهو نهى عن الأسباب الموجبة للتباغض.

(١٠١٠) أى: لا يحسد أحدكم أخاه على ما أولاه الله من نعمة فيتمنى زوالها عنه .

الله إخوانًا [١٠١١]**، ولا يَحِلُّ لِمُسلم أن يهجُر أخاه فوق ثلاث** [١٠١٢]) [رواه مالك والبخارى ، وأبو داود ، والترمذى، والنسائى، ورواه مسلم أخصر منه، والطبرانى]،وزاد فيه:(**يلتقيان: فيُعرض هذا**[١٠١٣]**ويُعرضُ هذا، وخيرهم**[١٠١٤] **الذى يبدأ بالسلام، والذى يبدأ بالسلام يسبق إلى الجنة**).

قال مالك: ولا أحسبُ التدابر إلا الإعراضَ عن المسلم يُدبِرُ عنه بوجهه.

(وعن) أبى أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال: (**لا يحلُّ لمسلم أنْ يهجرَ أخاه فوق ثلاثِ ليالٍ ، يلتقيان ، فيُعرض هذا، ويُعرض هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام**) . [رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى وأبو داود]

(ولقد) كان الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ـ وهو طبيب القلوب ـ يعالج الداء الدفين بصورة عملية.. تجعل القلب بعد ذلك فى تمام السلامة والعافية من كل أمراض القلوب.

(عن) أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كُنَّا جُلوسًا مع رسول الله ﷺ، فقال: (**يطلُع الآن عليكم** [١٠١٥] **رجلٌ من أهل الجنة**) ، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيتُهُ من وَضُوئه [١٠١٦] قد علَّق نَعْلَيْه بيده الشِّمال، فلما كان الغَدُ [١٠١٧]، قال النبى ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبى ﷺ مثل مقالته أيضًا،فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول، فلما قام النبى ﷺ تبعَهُ عبدُ الله بن عَمْرٍو [١٠١٨]، فقال: إنِّى لاحَيْتُ أبِى [١٠١٩] ، فأقسمتُ

(١٠١١) أى: أنصارًا متحابين وأعوانًا متعاطفين.

(١٠١٢) وهذا معناه تحريم أن يهجر المسلم أخاه المسلم أكثر من ثلاث ليال وإباحتها فى الثلاث.

(١٠١٣) أى: يولى كل منهما صاحبه عرضه وهو جانبه .

(١٠١٤) وفى رواية (وخيرهما) بالتثنية ولعلها أصح أى: أفضلهما. (وهذا) معناه كذلك أن السلام يقطع الهجرة ويرفع الإثم فيها .

(١٠١٥) أى: يدخل عليكم.

(١٠١٦) يعنى: يقطر منها الماء .

(١٠١٧) يعنى: اليوم التالى .

(١٠١٨) أى: تبع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الرجل الذى قال عنه الرسول ﷺ ما قال.

(١٠١٩) أى: خاصمته ونازعته .

إنِّى لا أدخل عليه ثلاثًا ، فإن رأيتَ أن تُؤوِيَنى إليكَ حتى تمضى [١٠٢٠] فعلتَ. قال أنسٌ: فكان عبد الله يُحدِّثُ أنه باتَ معه تلك الثلاثَ الليالى فلم يَرَهُ يقومُ من الليل شيئًا [١٠٢١] ، غير أنَّه إذا تعارَّ [١٠٢٢] تَقَلَّب على فراشه ذكَر الله عَز وجلّ، وكَبَّر حتى لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أنِّى لم أسمعه يقول إلاَّ خيرًا، فلما مَضت الثَّلاثُ الليالى، وكدْتُ أن أحتقر عملَهُ، قلتُ: يا عبدَ الله لم يكن بينى وبين أبى غَضَبٌ ولا هُجْرَةٌ، ولكن سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لك [١٠٢٣] ثلاثَ مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنَّة، فطَلَعْتَ أنتَ الثلاثَ المرات. فأردتُ أنْ آوِىَ إليكَ فأنْظرَ ما عملُكَ، فأقتدىَ بك، فلم أركَ عَمِلْتَ كبيرَ عَمَل، فما الذى بلغ بكَ ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيتَ ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دعانى [١٠٢٤] ، فقال: **ما هو إلا ما رأيتَ غَيْرَ أنِّى لاَ أجدُ فى نَفْسى لأحَد منَ المسلمينَ غشًا** [١٠٢٥] **ولا أَحْسُدُ أحدًا على خيرٍ أعطاهُ الله إيَّاهُ**، فقال عبد الله: هَذه التى بَلَغَتْ بِكَ [١٠٢٦].

[رواه أحمد بإسناد على شرط البخارى ومسلم والنسائى ، ورواته احتجا بهم أيضًا إلا شيخه سويد بن نصر، وهو ثقة، وأبو يعلى والبزار بنَحوه، وسَمَّى الرجُل المُبْهَمَ سعدًا]

وقال فى آخره: فقال سَعْدٌ: ما هو إلا ما رأيتَ يا بن أخى إلاَّ أنى لا أبيتُ ضاغنًا [١٠٢٧] على مسلم، أو كلمة نحوها. (زاد) النسائى فى رواية له والبيهقى والأصبهانى، فقال عبد الله: هذه التى بَلَغَتْ بك، وهِىَ التى لا نُطيقُ [١٠٢٨] .

ورواه البيهقى أيضًا عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: كُنَّا جُلوسًا عند

(١٠٢٠) يعنى: تضمنى إليك وتنزلنى عندك الليالى الثلاث.
(١٠٢١) يعنى: للتهجد قبل الفجر .
(١٠٢٢) أى: استيقظ من الفجر .
(١٠٢٣) أى: قال عنك .
(١٠٢٤) أى: نادانى .
(١٠٢٥) أى: أُضْمِرُ لأحد خَديعةً ولا مَكْرًا .
(١٠٢٦) أى: أوصلتك إلى الجنة.
(١٠٢٧) يعنى: حاقدًا على أحد .
(١٠٢٨) أى: لا نقدر عليه .

رسول الله ﷺ، فقال: **(لَيَطْلُعَنَّ عليكم رَجُلٌ من هذا الباب من أهل الجنة)** فجاء سعد بن مالك [١٠٢٩] فدخَل منه . قال البيهقى: فذكر الحديث قال: فقال عبد الله بنُ عَمرو رضي الله عنهما: ما أنا بالذى أنتهى [١٠٣٠] حَتَّى أُبايتَ هذا الرجلَ [١٠٣١]، فأنظُرَ عملَهُ، قال: فذكر الحديث فى دخوله عليه، قال: فناولنى عباءةً، فاضطجعتُ عليها قريبًا منه ، وجعلتُ أَرْمُقُهُ [١٠٣٢] بعينى ليلَهُ [١٠٣٣] ، كُلَّمَا تعارَّ [١٠٣٤] سَبَّحَ [١٠٣٥]، وكَبَّرَ [١٠٣٦] ، وهلَّلَ [١٠٣٧]، وحمد الله [١٠٣٨]، حتى إذا كان فى وجه السَّحَر قام فتوضأَ ، ثم دخَلَ المسجدَ [١٠٣٩] فَصلَّى ثِنْتَى عَشَرَةَ ركعَةً باثنَتَىْ عشرَةَ سورةً من المُفَصَّل [١٠٤٠] ليس من طواله، ولا من قصاره، يدعُو فى كُلِّ ركعتين بعد التَّشَهُّد بثلاث دَعَوات يقول: **(اللهم آتنا فى الدنيا حسنَةً ، وفى الآخرة حسنَةً، وَقِنَا عذابَ النارِ [١٠٤١])** . **(اللهم اكْفِنَا ما أهَمَّنَا مِنْ أمْرِ آخرَتِنا ودُنيانا)**. **(اللهم إنَّا نسألك من الخير كُلِّه، وأعوذ بك من الشر كُلِّه)**. حتى إذا فرغ.. فذكر الحديث فى استقلاله عمله [١٠٤٢] ، وعَوْدُهُ إليه ثلاثًا إلى أن قال: آخذ مضجعى، وليس فى قلبى غِمْرٌ على أحد [١٠٤٣] .

(فهذا) القول الأخير الوارد فى ختام الروايتين ـ وهو أنه لا يجد فى نفسه لأحد من المسلمين غِشًا ، ولا يحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه، وأنه لم يَبِتْ

(١٠٢٩) وهو سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة.

(١٠٣٠) أى: أسكت .

(١٠٣١) يعنى: أبيت معه .

(١٠٣٢) يعنى: أنظر إليه .

(١٠٣٣) أى: طول ليله.

(١٠٣٤) أى: استيقظ وانتبه .

(١٠٣٥) أى: قال سبحان الله .

(١٠٣٦) أى: قال: الله أكبر .

(١٠٣٧) أى: قال: لا إله إلا الله .

(١٠٣٨) أى: قال: الحمد لله .

(١٠٣٩) أى: المكان الذى يصلى فيه داخل بيته تهجدًا .

(١٠٤٠) أى: من أول سورة (ق) الخ المصحف.

(١٠٤١) وهى دعوة جامعة لكل خير فى الدنيا والآخرة.

(١٠٤٢) أى: عدّه إياه قليلاً .

(١٠٤٣) أى: ليس فى قلبى حقد على أحد.. (لأن) كلمة غِمْر: بكسر فسكون ، أى حقد .

ضاغنًا على مسلم ، وأنه ليس فى قلبه غِمْر على أحد ـ هو: الخلاصة التى لابد أن نتفق عليها ، وهى أنه لابد أن يكون القلب خاليًا من الغل والحقد والحسد: إذا أردنا أن يكون هناك عمار بين الناس.

(وذلك) لأن القلب ـ كما قال الرسول ﷺ: (.. **ألا وإن فى الجسد مُضْغَةً إذا صلُحت صَلُحَ الجسدُ كُلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كُلُّه، ألا وهى القلب)** [الحديث بتمامه رواه البخارى ومسلم]

(وعن) عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله، أىُّ الناس أفضل ؟ قال: (**كُلُّ مخمومِ القلبِ**(١٠٤٤)، **صَدُوق اللسان** (١٠٤٥)) قالوا:صدوقُ اللسانِ نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: (**هو التَّقِىُّ النَّقِىُّ، لاَ إثْم فيه ولا بغى، ولا غِلَّ، ولا حَسَد**). [رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، والبيهقى وغيره أطول منه]

(فلتكُنْ) أخا الإسلام (مخموم) القلب بهذا المعنى الذى وقفت عليه ـ فى الحديث الأخير ـ حتى لا تكون حقودًا أو حسودًا.. (بل) وحتى تكون أهلاً لدخول الجنة ـ كسعد بن مالك رضي الله عنه ـ إن شاء الله.. (ولتكن) غير متطلع إلى ما فى أيدى الناس.. حتى لا تكون فى غم بسبب هذا التطلُّع الذى لا فائدة منه.. (وإنما) حسبك أن تسأل الله من فضله.. فهو سبحانه ذو الفضل العظيم.. (وإذا) أردتَ أن تفوز ببركات السماء والأرض.. (فإنه) حَسْبك كذلك أن تستعمل هذين المفتاحين المشار إليهما فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ (١٠٤٦).

(واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليُصيبك، وما أصابك لم يكن ليُخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يُسرًا)(١٠٤٧)، وعلى الأخت المسلمة أن تنتفع كذلك بكل هذا التذكير النافع.. والله ولى التوفيق ،،

(١٠٤٤) قال السيوطى: بالخاء المعجمة قال فى النهاية: (هو من خممتُ البيتَ إذا كنسته ونظفته) .

(١٠٤٥) صدوق ، أى: مبالغ فى الصدق لا يكذب أبدًا .

(١٠٤٦) الأعراف: من الآية ٩٦ .

(١٠٤٧) والحديث فى الأربعين النووية رقم ١٩ وهو حديث صحيح.

(٣٣) ما هو الحسدُ المحمودُ .. وفى أىِّ شىء يكونُ .. وما المرادُ به .. يا رسول الله؟

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لاَ حَسَدَ إلاَّ فى اثْنَتَيْنِ: رَجُل آتاه الله مالاً فسلَّطَهُ على هَلَكَتِه (١٠٤٨) فى الحقِّ (١٠٤٩)، وَرجُل آتاهُ الله الحِكْمَةَ (١٠٥٠) فهو يقضى بها ويُعَلِّمُهَا). [رواه البخارى ومسلم]

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح المتفق عليه .. يشير الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. إلى شيئين اثنين ـ فقط ـ يتبغى علينا نحن المؤمنين ـ بصفة خاصة ـ إن شاء الله .. أن نغبط إخواننا عليهما .. بمعنى أن نتسابق معهم فى الحرص على تحقيقهما والفوز بثوابهما .. (ألا وهما): إنفاق المال الحلال فى وجوه البر.. التى أمر الله بالإنفاق فيها .. (وثانيهما): طلب العلم النافع والحكم به بين الناس وتعليمه إياهم .. طلباً للثواب الذى لابد أن نسارع فى طلبه .. لأنه كما يقول الشاعر:

ليس المصابُ من فارق الأحبابَ إن المصابَ مَن فقد الثوابَ

(هذا) وإذا كان لى بعد هذا التقديم الهام أن أدور حول هذين الشيئين المحمودين.. اللذين هما (الحسد المحمود) الذى نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهله .. لا من أهل الحسد المذموم الذى هو تمنى زوال النعمة عن المحسود (وهو حرام) .. فإننى أرى أن أبدأ الآن فى الترغيب فى الأولى .. منهما، فأقول:

الإنفاق فى سبيل الله .. أى: فى أبواب الخير المشروعة التى فى مقدمتها .. البر بالوالدين وتأكيد صلتهما وطاعتهما ، والإحسان إليهما ، وبر أصدقائهما من بعدهما.

(فعن) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أىُّ العملِ أحبُّ

(١٠٤٨) يعنى: على إهلاكه وإنفاقه.

(١٠٤٩) أى: فى وجوه الخير والبر التى أمر الله بالإنفاق فيها .

(١٠٥٠) وهى العلم النافع والفقه فى الدين.

إلى الله [١٠٥١]؟ قال: (**الصلاة على وقتها**)[١٠٥٢]. قلت: ثم أىٌّ؟ قال: (**برُّ الوالدين**) . قلت: ثم أىٌّ؟ قَال: (**الجهاد فى سبيل الله**) [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) أبى أسيد مالك بن ربيعةَ السَّاعدىِّ ﷺ قال: بينا نحنُ جلوسٌ عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بنى سلمَةَ، فقال: يا رسول الله، هل بَقىَ من أمر أبَوىَّ شىءٌ أبَرُّهما به بعد موتهما؟ قال: (**نعم، الصلاةُ عليهما**[١٠٥٣]، **والاستغفار لهما**[١٠٥٤]، **وإنفاذُ عهدهما من بعدهمَا**[١٠٥٥]، **وصِلَةُ الرحم التى لا تُوصَلُ إلا بهما**[١٠٥٦]، **وإكرامُ صَدِيقِهما**[١٠٥٧]) رواه ابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه، وزاد فى آخره: قال الرجل: ما أكثر هذا يا رسول الله وأطيبَه، قال: (**فاعمل به**).

وعن أبى بُردة [١٠٥٨] ﷺ قال: قدمتُ المدينةَ فأتانى عبد الله بن عمر ﷺ فقال: أتدرى لم أتيتك؟ قال: قلتُ: لا. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (**من أحبَّ أن يَصِلَ أباه فى قبره**[١٠٥٩]، **فليصل إخوانَ أبيه بعده** [١٠٦٠] **وإنه كان بين أبى عُمر**[١٠٦١] **وبين أبيك إخاءٌ وَوُدٌّ ، فأحببْتُ أن أصل ذاك**).

[رواه ابن حبان فى صحيحه]

ومن البر كذلك أن تصل ذوى قرابتك .. فتعطى محتاجهم، وتزور مريضهم، وتُواسِىَ منكوبَهُم .. الخ.

(١٠٥١) أى: أكثر محبوبية إلى الله من غيره .

(١٠٥٢) يعنى: فى أول وقتها .

(١٠٥٣) والمراد بالصلاة هنا ، أى: الدعاء لهما بالرحمة.

(١٠٥٤) أى: طلب المغفرة لذنوبهما من الله عز وجل .

(١٠٥٥) يعنى: بإنجازه والوفاء به .

(١٠٥٦) أى: ومودَّة القرابة التى له بسببهما ومن جهتهما.

(١٠٥٧) أى: أن يحب من كانا يحبانه من الناس ، ويقوم لهما بمثل ما كانا يقومان به من الإكرام.

(١٠٥٨) وهو ابن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ واسمه عامر بن عبد الله وتوفى سنة ثلاث ومائة . هـ .

(١٠٥٩) أى: يدوم بره بعد موته .

(١٠٦٠) وهم الذين كان يحبهم ويقربهم .

(١٠٦١) قوله (عمر) بدل من (أبى) .

(فعن) أبى هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: **(مَن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليُكرمْ ضيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصِلْ رَحِمَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخِر فليقل خيرًا أوْ ليَصْمُتْ)**.

[رواه البخارى ومسلم]

(وعن) أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:**(مَن أحَبَّ أن يُبْسَطَ له فى رزقه(١٠٦٢)، ويُنْسأ له فى أثَرِه (١٠٦٣)، فلْيَصِلْ رحِمَهُ)**.

[رواه البخارى ومسلم]

(وعن) أُمِّ كُلْثُومٍ بنتِ عُقْبَةَ ﷺ أن النبى ﷺ قال: **(أفضلُ الصدقة، الصدقةُ على ذِى الرحِمِ الكَاشِحِ)**.

[رواه الطبراني وابن خزيمَة فى صحيحه ، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم]

(ومعنى) الكاشح: أنه الذى يُضمر عداوته فى كشحه وهو خصره، يعنى: أن أفضل الصدقة الصدقةُ على ذى الرحم المضمر العداوة فى باطنه، وهو فى معنى قوله ﷺ: **(وتَصِلَ من قطعك)** (١٠٦٤).

ومن البرِّ المرغَّب فيه: كفالة اليتيم ورحمتهُ، والنفقة عليه، والسَّعْىُ على الأرملة والمسكين..

(فعن) سَهْل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(أنا وكافِل اليتيم(١٠٦٥)فى الجنة هكذا، وأشار بالسبَّابة والوُسْطى، وَفَرَّج بينَهُما)**

[رواه البخارى وأبو داود والترمذى]

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:**(كافلُ اليتيم لهُ أو**

(١٠٦٢) أى: يوسَّع ويُزاد.

(١٠٦٣) أى: يُؤخَّر له فى أجله، وسُمِّى أثَرًا لأنه يتبع العمر.(وهذه) الزيادة كناية عن البركة فى العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه فى الآخرة وصيانته عن تضييعه فى غير ذلك .

(١٠٦٤) وهذا جزء من حديث شريف، رواه البزار والحاكم وقال: صحيح الإسناد .

(١٠٦٥) أى: القيم عليه المدبر لمصالحه المتعهد لشئونه . . (واليتيم): هو من فقد أباه ولم يبلغ مبلغ الرجال.

لغيره[١٠٦٦]**،وأنا وهو كهاتين فى الجنة، وأشار مالكٌ بالسَّبابة والوسطى)**. [رواه مسلم ، ورواه مالك عن صفوان بن سليم مرسَلاً]

(ورواه) البزار متصلاً ولفظه قال: (**مَن كفل يتيمًا له ذا قرابة** [١٠٦٧]**، أو لا قرابَةَ له، فأنا وهو فى الجنة كهاتين، وضَمَّ أُصْبُعيْه** [١٠٦٨]**، ومَنْ سَعَى على ثلاث بنات** [١٠٦٩]**، فهو فى الجنة** [١٠٧٠]**، وكان له كأجر المجاهد فى سبيل الله صائمًا قائمًا** [١٠٧١]).

ومن البر ـ أيضًا ـ أن تُحسنَ إلى جارك بكل أنواع الإحسان، فتعطيه إذا احتاج، وتُعينَه إذا استعان بك، وتُشاطره أفراحه وأحزانه.. (بمعنى) أن تقف بجواره فى السراء والضراء.

(فعن) أبى شُريح الخُزاعىِّ ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**مَنْ كانَ يؤمِنُ بالله واليوم الآخر فليُحسِنْ إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرمْ ضَيفَه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكُتْ**).

[رواه مسلم، وأخرجه البخارى فى كتاب الأدب، وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان]

ومن البر كذلك أن تسافر لزيارة أخٍ لك فى الله حتى تصله ببرِّك، ولا سيما إذا كان قريبًا لك؛ لأن هذا سيكون من باب صلة الرحم المرغَّب فيها.

(فعن) أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ أن رجُلاً زار أخًا له فى قرية، فأرصد الله تعالى على مَدْرَجَتِه ملَكًا [١٠٧٢]، فلما أتى عليه [١٠٧٣]، قال: أين تريد؟ قال:

(١٠٦٦) قال فى الفتح: (بأن يكون جَدًّا أو عَمًّا أو أخًا أو نحو ذلك من الأقارب ، أو يكون أبو المولود قد مات، فتقوم أُمه مقامه ، أو ماتت أُمه فيقوم أبوه فى التربية مقامها) .

(١٠٦٧) أى: صاحب قرابة وهو بالنصب صفة ليتيم.

(١٠٦٨) يعنى: السبابة والوسطى .

(١٠٦٩) أى عمل لكسب قوتهن وما يلزم لهن من نفقة وكسوة.

(١٠٧٠) أى: إذا احتسب ذلك وابتغى به الأجر من الله .

(١٠٧١) حالان من للمجاهد، أى: حال كونه صائمًا نهارًا وقائمًا ليله.

(١٠٧٢) يعنى: أقعد له ملكًا على طريقه يرقبه وينتظره.

(١٠٧٣) أى: مَرَّ .

أُرِيدُ أخًا لى فى هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها [١٠٧٤]؟ . قال: لا ، غير أنى أحببْتُه فى الله . قال: **فإنِّى رسول الله إليكَ بأن اللهَ قد أحبَّك [١٠٧٥] كما أحببتَهُ فيه** [١٠٧٦]). [رواه مسلم]

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَن عاد مريضًا [١٠٧٧]، أو زار أخًا له فى الله ناداه مُناد بأن طِبْتَ [١٠٧٨]، وطابَ مَمْشاكَ [١٠٧٩]، وتبَوَّأتَ [١٠٨٠] من الجنة منزلاً [١٠٨١]**).

[رواه ابن ماجه، والترمذى، واللفظ له، وقال: حديث حسن ، وابن حبان فى صحيحه، كلهم من طريق أبى سنان عن عثمان بن أبى سودة عنه]

(وعن) معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى:**(وجَبَتْ محبَّتِي [١٠٨٢] للمتحابِّينَ فِيَّ [١٠٨٣] ، وللمتجالسين فِيَّ، وللمتزاورينَ فِيَّ ، وللمتباذِلينَ فِيَّ)**. [رواه مالك بإسناد صحيح]

وقد قرأت فى (فقه السنة) ج٣ ص ١٣٥ ، ١٣٦ كلاماً هامًا جاء فيه تحت عنوان:

استحباب الصدقة للصالحين

الزكاة تُعطَى للمسلم إذا كان من أهل السِّهَام [١٠٨٤] وذوى الاستحقاق

(١٠٧٤) أى: تحفظها وتراعيها وتربيها .

(١٠٧٥) ومحبة الله لعبده صفة حقيقية له سبحانه على ما يليق به سبحانه . . ويلزم منها إرادة الخير والرضا لهذا العبد .

(١٠٧٦) أى: جزاء لحبك أخاك فى الله عز وجل .

(١٠٧٧) يعنى: زاره أثناء مرضه .

(١٠٧٨) أى: فعلتَ طيبًا حسنًا . . وقال الطيبى: هو دعاء له بأن يطيب عيشه فى الدنيا .

(١٠٧٩) يعنى: طاب سعيك وكان صالحًا .

(١٠٨٠) أى: سكنت ونزلت .

(١٠٨١)وهو دعاء له بطيب العيش فى الآخرة وإظهار الدعاء بصيغة الإخبار لإظهار اخرص على وقوعه.

(١٠٨٢) أى: حقَّت وثبتت.

(١٠٨٣) أى: للذين يحب بعضهم بعضًا من أجلى .

(١٠٨٤) وهم المذكورون فى آية ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ.﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: ٦٠ .

سواء أكان صالحًا أم فاسقًا [١٠٨٥] إلا إذا علم أنه سيستعين بها على ارتكاب ما حرم الله [١٠٨٦] فإنه يُمنع منها سَدًا للذريعة، فإذا لم يعلم عنه شيئًا، أو علَم أنه سينتفع بها فإنه يُعطيه منها .. ثم يقول:

(وينبغى) أن يخُصَّ المُزكِّى بركاته أهلَ الصلاح والعلم وأرباب المروءات والخير:

(فعن) أبى سعيد الخدرىِّ ﷺ أن النبىَّ ﷺ قال: (**مَثَلُ المؤمن ، وَمَثَلُ الإيمان كمثَل الفَرسِ فى آخِيَّتِه يجول، ثم يرجع إلى آخيته** [١٠٨٧]. **وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان ، فأطعموا طعامكم الأتقياء، وألوا معروفكم المؤمنين**). [رواه أحمد بسند جيد وحسَّنه السيوطى]

وقال ابن تيمية: فمن لا يُصلِّى من أهل الحاجات لا يُعطَى شيئًا حتى يتوب، ويلتزم أداء الصلاة .. ثم يقول فى فقه السنة: وهذا حق فإن تَرْك الصلاة إثم كبير لا يصح أن يُعانَ مقترفه حتى يُحدث لله توبةً. (ويلحق) بتارك الصلاة العابثون والمستهترون الذين لا يتورعون عن منكر، ولا ينتهون عن غَىٍّ، والذين فسدت ضمائرهم، وانطمست فطرهم وتعطَّلت حاسَّة الخير فيهم .. (فهؤلاء) لا يُعطَوْن من الزكاة إلا إذا كان العطاء يوجِّهُهم الوجهة الصالحة، ويعينهم على صلاح أنفسهم بإيقاظ باعث الخير واستثارة عاطفة التديُّن.

كما يقول فى (فقه السنة) ، تحت عنوان:

استحباب إعطاء الزكاة للزوج والأقارب

إذا كان للزوجة مال تجب فيه الزكاة ، فلها أنْ تُعْطِىَ لزوجها المستحق من زكاتها إذا كان من أهل الاستحقاق ، لأنه لا يجب عليها الإنفاق عليه [١٠٨٨]،

(١٠٨٥) الفاسق: أى المرتكب للكبيرة أو المُصر على الصغيرة ـ والعياذ بالله ـ .

(١٠٨٦) كالزنى ، وشرب الخمر والقتل . . (والعياذ بالله) .

(١٠٨٧) عروة أو عود يغرز فى الحائط لربط الدواب. يعنى: أن العبد يبعد بترك بعض أعمال الإيمان ثم يعود إلى الإيمان الثابت نادمًا على تركه متداركًا ما فاته كالفرس يبعد عن آخيته ثم يعود إليها .

(١٠٨٨) يعكسه هو بالنسبة لها فـ ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** . . ﴾ (النساء: ٣٤).

وثوابها فى إعطائه أفضل من ثوابها إذا أعطت الأجنبى (فعن) أبى سعيد الخدرى أن زينب امرأة ابن مسعود، قالت: يا نبى الله، إنك أمرتَ اليوم بالصدقة، وكان عندي حُلِيٌّ فأردتُ أن أتصدق به، فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم ، فقال النبى ﷺ: (**صدق ابنُ مسعود، زوجكِ وولدكِ أحقُّ من تصدقتِ به عليهم**). [رواه البخارى]

(وهذا) مذهب الشافعى وابن المنذر وأبى يوسف ومحمد وأهل الظاهر، ورواية عن أحمد ، (وذهب) أبو حنيفة وغيره إلى أنه لا يجوز لها أن تدفع له من زكاتها، وقالوا: إن حديث زينب ورد فى صدقة التطوع لا الفرض. (وقال مالك): إن كان يستعين بما يأخذه منها على نفقتها فلا يجوز. وإن كان يصرفهُ فى غير نفقتها جاز. وأما سائر الأقارب كالإخوة والأخوات والأعمام والأخوال والعمات والخالات: فإنه يجوز دفع الزكاة إليهم إذا كانوا مستحقين ، فى قول أكثر أهل العلم لقول الرسول ﷺ: (**الصدقةُ على المسكينِ صدقة** [١٠٨٩]، **وعلى ذى القرابةِ اثنتان: صِلَة وصدقة** [١٠٩٠]) .

[رواه أحمد والنسائى والترمذى وحسَّنه]

(هذا) مع ملاحظة هامة لابد أن يضعها الأخ المنفق أو المزكِّى نُصب عينيه ، وهى أن يكون بعيدًا عن المنِّ والأذى .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [١٠٩١] ، وقوله تعالى: ﴿ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ** ﴾ [١٠٩٢]

(وعن) جندب بن عبد الله قال: قال النبى ﷺ: (**مَنْ سَمَّعَ سَمَّع الله به ، ومَنْ**

(١٠٨٩) أى: فيها أجر الصدقة .

(١٠٩٠) أى: فيها أجران: أجر صلة الرحم ، وأجر الصدقة.

(١٠٩١) البقرة: ٢٦٤.

(١٠٩٢) البقرة: من الآية ٢٦٣ .

يُرائِي يُرَائِي الله به [١٠٩٣]). [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: قال الله عز وجلَّ: (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمَنْ عمل لى عملاً أشرك فيه غيرى، فأنا منه برىء وهو للذى أشرك** [١٠٩٤]). [رواه ابن ماجه ورواته ثقات]

(وأما) عن الخصلة الثانية التى ينبغى علينا أن نتنافس مع إخواننا المؤمنين فى تحصيلها والفوز بثمارها .. (فهى) الحكمة التى هى العلم النافع، والفقه فى الدين [١٠٩٥].. وحسب الذى سيفوز بها أن يكون من المشار إليهم فى قول الله تعالى:

﴿**يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ**﴾ أى: يُعطى الفهم والإصابة فى القول والفعل، مَن يشاء من عباده ﴿**وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ أى: ومن يُعطَ الفهمَ وإصابة الصواب، فقد أُعطِىَ خيرًا كثيرًا ﴿ **وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [١٠٩٦] أى: وما يتعظ ويتذكَّر إلا أصحابُ العقول .

(والحكمة) أيضًا هى السنة .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ أى: لقد امتنَّ الله على المؤمنين ، حين أرسل فيهم رسولاً من جنسهم، ومن أهل لسانهم ﴿**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ**﴾ أى: يقرأ عليهم آيات القرآن، ويطهرهم من دنس الذنوب والآثام ﴿ **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ أى: ويُعلِّمهم كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ﴿**وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [١٠٩٧] أى: وإن كانوا من قبل بعثته لفى جهالة جَهْلاء وضلالة عمياء.

(هذا)، وإذا كنا قد عرفنا أولاً أن المراد بالحكمة ـ فى الحديث الذى ندور

(١٠٩٣) سمَّع وراءى به ، أى: فضحه .

(١٠٩٤) أى: أن عمله للذى أشركه مع الله لأن الله برىء منه .

(١٠٩٥) قال ابن عباس: (الحكمة): القرآن، والفقه فى القرآن، بمعرفة حلاله وحرامه، وأحكامه وأمثاله .

(١٠٩٦) البقرة: ٢٦٩ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى بتصرف.

(١٠٩٧) آل عمران: ١٦٤ والتفسير من مختصر تفسير الطبرى . . بتصرف .

حوله ـ العلم النافع ، والفقه فى الدين .. وإذا كان كل هذا لن يتحقق إلا بمدَارسة العلم النافع، والحرص على حضور مجالسه .. فإننى أرى أن أقف مع الأخ المسلم ـ وباختصار ـ على بعض الأحاديث الشريفة المرغِّبة فى هذا:

(فعن) أبى موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَثَلُ ما بعثنى الله به من الهُدى والعلم** [١٠٩٨] **، كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة طيبة** [١٠٩٩] **قَبِلت الماءَ ، وأنبتت الكلأَ والعُشبَ الكثيرَ ، فكان منها أجادبُ** [١١٠٠] **أمسكَت الماءَ** [١١٠١] **فنفع الله بها الناسَ، فشربوا منها وسَقَوْا وزرعُوا، وأصابَ طائفةً أُخرى منها، إنما هى قيعان** [١١٠٢] **لا تُمسك ماءً، ولا تُنبِتُ كَلأً، فذلك مَثَلُ مَنْ فقه** [١١٠٣] **فى دين الله تعالى ، ونفعه ما بعثنى الله به، فَعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ من لم يرفعْ بذلك رأسًا** [١١٠٤] **ولم يقبل هُدى الله الذى أرسِلْتُ به)**. [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن مما يلحق المؤمنَ من عمله وحسناته بعد موته : علْمًا عَلَّمهُ ونشره ، وَوَلدًا صالحًا تركَهُ ، أو مُصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناهُ، أو بيتًا لابن السَّبِيل بنَاه، أو نهرًا أجراه، أو صدقَةً أخرجها من ماله فى صِحَّته وحياته تلحقُه من بعد موته)** . [رواه ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقى ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه مثله إلا أنه قال: (أو نهرًا كَراه) وقال: يعنى حفره ولم يذكر المصحف]

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا ماتَ ابنُ آدم انقطع**

(١٠٩٨) الهدى مصدر بمعنى الدلالة والبيان . والعلم هو اعتقاد الشىء اعتقادًا جازمًا عن دليل .

(١٠٩٩) أى: خصبة صالحة للإنبات.

(١١٠٠) جمع أجدب وهو المكان الذى احتبس عنه المطر فيبست أرضه وأمحلت.

(١١٠١) يعنى: حبسته من التسرب والضياع .

(١١٠٢) جمع قاع وهى الأرض المستوية التى لا نبات فيها .

(١١٠٣) يقال (فَقُهَ) بضم القاف فهو فقيه إذا صار الفقه له ملكة راسخة، ويقال: فقه المسألة بالفتح يعنى فهمها.

(١١٠٤) كناية عن التكبر والإعراض وعدم المبالاة.

عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علم يُنتفَع به ، أو ولَدٍ صالح يدعو له)
[رواه مسلم وغيره]

لأن هذه الثلاث هى من كسبه، فالصدقة الجارية هو الذى وقفها من ماله فى حال حياته ، والعلم الذى تركه هو كذلك من عمله قبل موته فيجرى عليه ثوابه ما دام يُنتفعُ به، وولده أيضًا من كسبه .

(وعـن) أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: (**... ومَن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سَهَّل اللهُ بِهِ طريقًا إلى الجنة ..**) [رواه مسلم وغيره] (١١٠٥)

(وعن) زِرِّ بن حُبَيش قال: أتيتُ صفوان بنَ عَسَّال المُرَادىَّ ﷺ قال: ما جاء بك؟ (١١٠٦) قلتُ: أنبطُ العِلْم(١١٠٧). قال: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:(**ما مِن خارج خرج مِنْ بيتِه فى طلبِ العلم إلا وضعتْ له الملائكةُ أجنحتَها رضًا بما يصنعُ**).

[رواه الترمذى وصححه وابن ماجه واللفظ له،
وابن حبان فى صحيحه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد]

(فعلى) الأخ المسلم ـ أن يلاحظ كل هذا وُيَنفِّذَ المراد منه .. (بمعنى) أنه إذا رأى مؤمنًا مَنَّ اللهُ عليه بالمال الحلال .. ورآه ينفق منه فى أبواب الخير المشروعة .. أن يتنافس معه فى هذا الخير وهو يسأل الله تعالى أن يجعله مثله .. حتى يكون من المنفقين فى أبواب الخير المشروعة مثله .. إن شاء الله.

(وكذلك) إذا رأى مؤمنًا مَنَّ الله عليه بالعلم النافع .. ورآه يقضى بين الناس بهذا العلم .. كما رآه يُعلِّمه للناس .. (فإنه) ينبغى عليه أن يطلب العلم النافع مثله .. وهو يسأل الله تعالى أن يجعله أهلاً له .. حتى يقضى بين الناس بهذا العلم النافع ويُعلِّمه إياهم .. (وهو) يعلم يقينًا أنه عندما سيفعل هذا وبإخلاص .. سيكون قد حَسَدَ أخاه المؤمن حَسَدًا محمودًا سيُثاب عليه إن شاء الله .. (وعلى) الأخت المسلمة أن تعينه على تحقيق هذا الخير حتى تكون شريكة له فى هذا الثواب .. إن شاء الله .. والله ولى التوفيق،،

(١١٠٥) الحديث بتمامه فى الأربعين النووية رقم ٣٦.
(١١٠٦) استفهام عن الغرض الذى جاء من أجله .
(١١٠٧) أى: أطلبه وأستخرجه .

(٧٦) ما العَصَبِيَّةُ .. يا رسول الله؟

عن بنت واثلة بن الأسقع عن أبيها قال: قلتُ: يا رسول الله ما العصبية؟ قال: (**أن تُعِينَ قومكَ على الظُّلْمِ**) [أخرجه أبو داود[١١٠٨]، وقد أورد الحديث بلفظه، وذكر شارحه أن ابن حبان وثَّق واثلة بن الأسقع، وفى الشرح: قال المنذرى: وأخرجه ابن ماجه]

وهذا الحديث الشريف وإن كان موجزًا فى نَصِّه .. إلا أنَّ مضمونه يشير إلى قضية هامَّة لابُدَّ أن تكون موضع دراسة وتركيز .. (ألا) وهى قضية العصبية التى لا تزال مُسيطرة على عقول الكثيرين من الناس على المستوى العام والخاص .. (وهذا) معناه أن الجاهلية الأولى لم تَزُل بعد ..(وأعنى) بهذا .. أن هذا المفهوم من التراث الجاهلى الذى أنكره الإسلام وحاربه .. حتى لا يكون هناك ظلم لأحد تحت مظلة الإسلام الذى نادى بأنه لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .. ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [١١٠٩]، وأن الناس سواسية كأسنان المُشط .. (بل) وجعل رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه سلمان الفارسى من آل البيت ، فقال: (**سلمان منا آل البيت**).

(وذات) يوم قال أبو ذر ﷺ لبلال عليه رضوان الله: (يا بن السوداء) ، فلما علم النبى ﷺ بهذا حَزِن وتألَّم، ثم قال لأبى ذَرٍّ: (**أعَيَّرتَهُ بأُمِّه .. إنك امرؤٌ فيك جاهلية**) أى: لا زالت فيك رواسب الجاهلية .. (فما) كان من أبى ذَرٍّ إلا أن وضع خَدَّه على الأرض ثم طلب من بلال أن يطأ وجهه بقدمه ـ عقابًا له ، أو تأديبًا له ـ ولكن بلالاً أبى وعفا عن صاحبه .. وهذا خلق القرآن الذى يقول الله تعالى فيه: ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [١١١٠] .

(١١٠٨) جـ ٥ ص ٣٠٥ .

(١١٠٩) الحجرات: من الآية ١٣ .

(١١١٠) آل عمران: من الآية ١٣٤ .

(وهذا) معناه كذلك أن النبى ﷺ بهذا يُذيبُ الفوارق .. حتى لا يكون هناك تعالٍ من أحد على أحد باسم العصبية ، أو لمجرد أنه من وجَهاء الناس ، أو من هؤلاء المغرورين بما هم فيه من العزِّ الدنيوى الذى هو حتمًا إلى زوال .. (وتستطيع) أن تقول عنه بكل تركيز أنه نوع من الكبر الذى نهى عنه القرآن، والنبى صلوات الله وسلامه عليه .. ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى ناهيًا عنه:

﴿**وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[١١١١]، (ومعنى) تُصَعِّر خدَّك للناس أى تُميلُه وتُعْرِضُ به عن الناس تكبُّرًا عليهم، والمرحُ: التَّبَخْتُر ، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ** ﴾[١١١٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: (**لا يدخُل الجنةَ من كان فى قلبه مثقالُ ذَرَّة من كِبْر**) فقال رجل: إن الرجل يُحبُّ أن يكون ثوبُه حَسَنًا ونعلُه حَسَنَةً؟ قال (**إن الله جميل يُحبُّ الجمالَ ، الكِبْر بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ الناسِ**) [رواه مسلم]، ومعنى (بَطَرُ الحقِّ): أى: رَدُّه على قائله، و(غَمْطُ الناس) أى: احتقارهم . والله تعالى يقول: ﴿**فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾[١١١٣] .

(فليحذر) الأخ المسلم أن يكون ـ والعياذ بالله ـ من هؤلاء المتكبرين .. وليحذر كذلك أن يكون مُتَعَصِّبًا لهم ، إذا ما أرادوا ظلم أحَد أو الاعتداء عليه أو على أى أحد من أولاده أو قرابته، أو الاستيلاء على أمواله .. ظُلْمًا وعُدوانًا .. لأن هذا سيكون معناه المشاركة فى هذا الظلم الذى حرَّمه الله تعالى على نفسه وجعله بيننا محرمًا .. فقال رب العزة سبحانه فى الحديث القدسى:(**يا عبادى، إنى حَرَّمْتُ الظلْمَ على نفسى وجعلتُه بينكم مُحَرَّماً فلا تَظَّالَمُوا**)[١١١٤]،

(١١١١) لقمان: ١٨ .

(١١١٢) سورة القصص: ٧٦ ـ ٨١.

(١١١٣) النحل: من الآية ٢٩ .

(١١١٤) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه .

وقال تعالى فى قرآنه: ﴿ **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ﴾[١١١٥]، وقال ﴿**وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[١١١٦].

(وعن) جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**اتقوا الظُّلمَ فإن الظلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ، واتقوا الشُّحَّ فإن الشُّحَّ أهلك من كان قبلكم حَملَهُم على أن سفكُوا دِماءهم واستَحلُّوا محارمهم**). [رواه مسلم]

(وعلى) الأخ المسلم أن يكون عكس هذا، بمعنى أن يوقف الظالم هذا عند حده - إن استطاع - بأى أسلوب من الأساليب حتى لا يكون شريكًا له فى الإثم .. فقد ورد فى الحديث الشريف:

(عن) أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**انْصر أخاكَ ظالمًا أو مظلومًا**)[١١١٧]، فقال رجل: يا رسول الله انْصرهُ إذا كان مظلومًا ، أفرأيتَ إن كان ظالمًا كيف أنصرهُ [١١١٨]؟ قال: (**تحجزُهُ عن الظُّلْمِ ، فإن ذلك نَصْرُه**)[١١١٩]رواه البخارى . ورواه مسلم فى حديث عن جابر عن النبى ﷺ قال: (**ولينصُرِ الرجُلُ أخاهُ ظالمًا أو مَظْلُومًا، وإن كَان ظالمًا فلينهَهُ فإنَّه لَهُ نُصْرةٌ ، وإن كَان مظلومًا فلينْصُرهُ**) .

وفى رواية البخارى: (قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصرهُ ظالمًا ؟) فقال: (**تأخذ فوق يديه**) قال فى الفتح: (كُنِىَ به عن كفِّه عن الظلم بالفعل إن لم يكن بالقول ، وعبَّر بالفوقية إشارة إلى الأخذ بالاستعلاء والقوة).

وقال ابن بطال: (النصر عند العرب الإعانة ، وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشىء بما يئول إليه، وهو من وجيز البلاغة).

(١١١٥) غافر: من الآية ١٨ .

(١١١٦) الشورى: من الآية ٨ .

(١١١٧) يعنى: أنصره فى كل واحدة من الحالتين،فقوله (ظالمًا) حال من أخاك (ومظلومًا) معطوف عليه.

(١١١٨) يعنى: أخبرنى إذا كان هو الظالم كيف أنصره ، مع أن فى ذلك إعانة على الظلم .

(١١١٩) أى: فإن ذلك هو معنى نصرك إياه إذا كان ظالمًا .

وقال ابن المنير: (فيه إشارة إلى أن الترك كالفعل فى باب الضمان).

وقال الحافظ فى الفتح فى باب نصر المظلوم: (هو فرض كفاية ، وهو عام فى المظلومين، وكذلك فى الناصرين بناء على أن فرض الكفاية مخاطب به الجميع .. وشرط الناصر أن يكون عالمًا بكون الفعل ظلمًا، ويقع النصر مع وقوع الظلم، وهو حينئذ حقيقة، وقد يقع قبل وقوعه كمن أنقذ إنسانًا من يد إنسان طالبه بمالٍ ظلمًا وهَدَّده إن لمَ يَبذُلْه وقد يقع بعد).

وعلى الأخ المسلم أن يذكِّر الظالم ببعض الأحاديث الشريفة التى قد تكون رادعة له، والتى منها ما ورد:

(عن) أبى موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن الله يُملى للظالم**[١١٢٠] **فإذا أخذه لم يُفلتْهُ**[١١٢١]، ثم قرأ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾[١١٢٢]) [رواه البخارى ومسلم والترمذى]

(وعن) أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: (**من كانت عنده مظلمةٌ لأخيه**[١١٢٣] **من عِرضٍ أو منْ شىء**[١١٢٤] **، فلْيتَحلَّلْهُ منه اليومَ**[١١٢٥] **من قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهم**[١١٢٦] **، إن كان له عمل صالح أُخِذ منه بقدر مَظْلَمته**[١١٢٧] **، وإن لم يكن له حسناتٌ أُخِذَ من سيئاتِ صاحبه فَحُمِلَ عليه**[١١٢٨]) [رواه البخارى والترمذى] ، وقال فى أوله: (**رحم الله عبدًا كانت له عند أخيه مظلمةٌ فى عِرضٍ أو مالٍ ..**) الحديث.

(١١٢٠) أى: يمهله ويؤخره .

(١١٢١) يعنى: فإذا عاقبه على ظلمه لم يستطع أن يتخلص من يأسه وعذابه .

(١١٢٢) هود: ١٠٢ .

(١١٢٣) المظلمة ما احتملتَه أنت من الظلم أو ما أُخذ منك ظلمًا .

(١١٢٤) وأُتى بلفظ شىء لإفادة العموم. . فيدخل فيه المال بأصنافه والجراحات حتى اللطمة وغيرها .

(١١٢٥) وذلك بأن يعفو عنه ويسقط حقه فيه .

(١١٢٦) أى: من قبل أن لا يمكن دفع الحقوق بالأموال من الدراهم والدنانير .

(١١٢٧) أى: ووضع فى حسنات غريمه .

(١١٢٨) أى: فطرح عليه فتغلب سيئاته فيدخل النار.

(وعن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(أتدرون مَن المُفلسُ؟)** قالوا: المُفلسُ فينا مَن لا درْهمَ له ولا مَتَاع [١١٢٩] ، فقال: **(إن المُفلسَ من أُمتى مَن يأتى يومَ القيامَة بصلاة وصيام وزكَاة** [١١٣٠]**، ويأتى وقد شَتَم هذا، وقذف هذا** [١١٣١]**، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعْطَى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته، فإن فَنِيتْ حَسَنَاتُه قبل أن يقْضَى ما عليه أُخذَ من خطاياهم فَطرِحَتْ عليه، ثم طُرح فى النار** [١١٣٢]) .

[رواه مسلم والترمذى]

وعلى الأخ المسلم فى البداية والنهاية ، أن يكون فى جانب الحق .. وليكن شعاره هو قول أحد أهل الحق: (أنت صديقى والحق صديقى، فإن تعارضا فالحق أولى بالصداقة) و (إن الله تعالى هو الحق فمن كره الحق فقد كره الله)، والله المستعان على نُصرة الحق وأهله،،

(٧٧) ما هى السورةُ القرآنية التى مَلأتْ عظمتُها ما بين السماء والأرض، ولكاتبها من الأجر مِثْلُ ذلك .. يا رسولَ الله؟

عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

(ألا أُخبركُم بسورة ملأت عظمتُها ما بين السماء والأرض، ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ، ومن قرأها يوم الجمعة غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيَّام ، ومن قرأ الخمسَ الأواخرَ منها عند نومه بعثه الله أىَّ الليل شاء؟ سورة أصحاب الكهف) [أخرجه ابن مردويه والديلمى]

(١١٢٩) وهذا هو مدلول الكلمة لغةً أن المفلس هو من لا فلوس له .

(١١٣٠) يعنى: يأتى بحسنات كثيرة من جميع الأنواع .

(١١٣١) يعنى: قدح فى عرضه واتهمه بالزنا .

(١١٣٢) وذلك بسبب فناء حسناته وكثرة سيئاته .

وقد ورد أيضًا من حديث عائشة بلفظ:(**من قرأ سورةَ الكهف يوم الجمعة غُفِر له ما بينه وبين الجمعة ، وزيادة ثلاثة أيام ، ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله أيَّ الليل شاء**).

[أخرجه ابن مردويه فى تفسيره بسند ضعيف]

وقد صح الحديث فى العصمة من الدجال بحفظ بعض سورة الكهف من غير تقييد بيوم الجمعة. رواه مسلم من حديث أبى الدرداء .. انظر تنزيه الشريعة المرفوعة ج١ ص ٣٠٢ نشر مكتبة القاهرة، هذا والحديث فى الجامع الصغير برقم ٢٧٦٢ برواية ابن مردويه عن عائشة ـ قال المناوى: ابن مردويه فى التفسير عن عائشة، ورواه عنها أيضًا أبو الشيخ وابن جرير وأبو نعيم والديلمى وغيرهم باللفظ المذكور، ورُوِى من طرق أخرى عن ابن الضريس وغيره لكن بعضها كما قال الحافظ ابن حجر فى أماليه معضل وبعضها مرسل.

وعن ابن الضريس عن إسماعيل بن رافع مرسلاً، أن رسول الله ﷺ قال: (**ألا أُخبركُم بسورة ملأتْ عظمتُها ما بين السماء والأرض ، شَيَّعها سبعون ألف مَلَك؟ سورة الكهف . مَن قرأها يوم الجمعة غفر الله له بها إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام من بعدها، وأُعطِى نورًا يبلغ السماء، وَوُقِىَ من فتنة الدجال، ومَن قرأ الخمسَ آيات من خاتمتها حين يأخذ مضجعه من فراشه حُفِظَ وبُعِثَ من أىِّ الليل شاء**) .

فمن خلال هاتين الروايتين بالإضافة إلى ما بينهما من إضافات موضوعية .. نستطيع أن نقف على عظمة سورة الكهف وما فيها من إشارات وبركات.

ففيها: **قصة أهل الكهف** ، من أول قوله تعالى:

﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِىٍّ وَلا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا**﴾ (١١٣٣).

(١١٣٣) سورة الكهف من الآية ٩ ـ ٢٦ .

وفيها: **قصة الرجلين** اللذين جعل الله تعالى لأحدهما جنتين من أعناب .. وما دار بينه وبين أخيه المؤمن من حوار .. وذلك من أول قوله تعالى:

﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**﴾ (١١٣٤).

وفيها: **مَثَلُ الحياة الدنيا** ، من أول قوله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾ (١١٣٥).

وفيها: **قصة سيدنا موسى عليه السلام** مع سيدنا الخضْر عليه السلام .. من أول قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾ (١١٣٦).

وفيها: **قصة ذي القرنين**.. وما كان من أمره مع يأجوج ومأجوج الذين كانوا قد أفسدوا فى الأرض .. فطُلِبَ منه أن يبنى بينهم وبين قوم سَدّاً .. وذلك من أول قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ...**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾ (١١٣٧).

هذا بالإضافة إلى تلك الآيات التى فى أول السورة والتى قبل تلك القصص وبعدها .. والتى تتعلق ببعض الأمور الدنيوية والأخروية التى ينبغى أن لا يغفل المؤمن عنها .. حتى لا يضل أو يزل . (وأما) عن الآيات الأخيرة من سورة الكهف (١١٣٨)، وهى التى من قرأها حين يأخذ مضجعه من فراشه حُفِظَ وبُعث

(١١٣٤) من الآية ٣٢ ـ ٤٤ .
(١١٣٥) من الآية ٤٥ ـ ٤٦ .
(١١٣٦) من الآية ٦٠ ـ ٨٢ .
(١١٣٧) من الآية ٨٣ ـ ٩٨ .
(١١٣٨) من الآية ١٠٧ ـ ١١٠ .

من أىِّ الليل شاء ، فهى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً * قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾.

(إننى) أُحبُّ أن أُطمئن الأخ القارئ بأن هذا المشار إليه فى الحديث بالنسبة لهذا البعث من النوم من أى الليل شاء .. (قد) حدث كثيرًا لكثير من الإخوة الذين جرَّبوه .. (وأنا) شخصيًا كُنتُ أُجَرِّبُ هذا .. فى صباى .. أيام كنت طالبًا للعلم .. لقد كنتُ أقرأ تلك الآيات .. ثم أسأل الله تعالى .. أن يوقظنى فى الوقت الذى أُحَدِّده فى أى وقت من أوقات الليل .. أو عندما يحين وقت صلاة الفجر .. فكنتُ أستيقظ فعلاً فى الوقت الذى أشاء .. بقدرة الله تعالى .. (فليُجرب) الأخ القارئ هذا الذى أكَّدتُه بتلك النِّية .. والله المستعان .. وهو سبحانه على كل شىء قدير .

(هذا) ، وإذا كان لى بعد ذلك أن أُرَكِّزَ على أمر هام يتعلق بقراءة سورة الكهف فى المسجد يوم الجمعة بصوت مرتفع .. (فقد) جاء فى كتاب «الإبداع فى مضار الابتداع»[١١٣٩]، ما نصه [١١٤٠]: (ومن البدع): قراءة سورة الكهف يوم الجمعة بصوت مرتفع وترجيع كترجيع الغناء ، والناس ما بين راكع وساجد وذاكر وقارئ ومتفكِّر .. وناهيك ما يكون من العوام من رفع أصواتهم استحسانًا لألحان القارئ من غير مبالاة بحرمة المكان والقرآن ، وهذا كلُّه مذموم لا يحل لوجوه:

أولاً: أن فيه تشويشًا على المتعبدين وهو حرام بالإجماع.

ثانياً: فيه رفع أصوات فى المسجد لغير حاجة شرعية ـ وقد ورد النهى عنه،

(١١٣٩) لفضيلة الشيخ على محفوظ عليه رحمة الله . . وقد كان من كبار العلماء. . وقد كان كتابه هذا مقررًا فى السنة الأولى والثانية لقسم الوعظ والخطابة بالأزهر الشريف .

(١١٤٠) ص ٧٩ وما بعدها .

قال ﷺ: (**لا يجهر بعضكُم على بعضٍ بالقرآن**) وقال عليه الصلاة والسلام للإمام على رضي الله عنه وكرم الله وجهه: (**يا علي، لا تجهر بقراءتك ولا بدعائك حيث يُصلى الناس، فإن ذلك يفسد عليهم صلاتهم**) . وفى الدر المختار: يحرم رفع الصوت فى المسجد إلا للمتفقهة [١١٤١]. وقال ابن العماد الشافعى رحمه الله: تحرم القراءة جهرًا على وجه يُشوِّش على نحو مُصَلٍّ .

ثالثًا: كونه مخالفًا لما كان فى زمن النبى ﷺ وزمن أصحابه فمن بعدهم، وصَحَّ أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يكرهون رفع الصوت بالذكر والقرآن لاسيما فى المساجد .. فإذا كان معه تشويش لا يُشك فى التحريم.

فعلى الأخ المسلم .. إذا أراد أن يقرأ سورة الكهف [١١٤٢] يوم الجمعة أو غيره .. فى المسجد أن يلاحظ كل هذه الأحكام .. حتى تكون قراءته سرًا .. وبدون تشويش على نحو مُصَلٍّ .. حتى لا يرتكب محرمًا .. وعليه أيضًا أن يقرأ سورة الكهف ويدرس كل ما فيها من القصص الذى أشرت إليه .. حتى ينتفع بكل ما فى تلك السورة من إشارات وبركات .. والله ولى التوفيق،،

(٧٨) ما هو جَزَاءُ مَن يُصلِّى عليه أُمَّةٌ مِنَ المسلمين .. يا رسول الله؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : (**ما مِنْ مَيِّت** [١١٤٣] **يُصَلِّى عليه أُمَّةٌ** [١١٤٤] **من المسلمين يبلغون مائةً** [١١٤٥] **كلهم يشفعون له** [١١٤٦]

(١١٤١) أى: الذين يجلسون فى المساجد لإلقاء دروس وعظية أو فقهية.

(١١٤٢) أو غيرها من سور القرآن الكريم .

(١١٤٣) يعنى: من المسلمين رجلاً كان أو امرأة.

(١١٤٤) أُمة ، أى جماعة ، قال تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ .

(١١٤٥) أى: يكمل عددهم مائة حتى ولو كان بعضهم صبيانًا ونساءً .

(١١٤٦) أى: يدعون لهم بالمغفرة والرحمة .

إلاَّ شُفِّعوا فيه [١١٤٧]).

[رواه مسلم والنسائى والترمذى، وعنده: مائة فما فوقها [١١٤٨]]

وعن كُرَيْب [١١٤٩]: أن ابن عباس ﷺ مات له ابن بقديد أو بعُسفانَ [١١٥٠] فقال: يا كُرَيْب انظر ما اجتمع له من الناس [١١٥١] ؟ قال: فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا، فأخبرته ، فقال: تقول هُم أربعون [١١٥٢]؟ قال: قلت: نعم. قال: أخرجوه، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته** [١١٥٣] **أربعون رجلاً لا يشركون بالله** [١١٥٤] **شيئًا إلاَّ شفَّعَهُم اللهُ فيه**). [رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه]

ففى هذين الحديثين الشريفين يجيب النبى ﷺ على هذا الاستفسار الموجَّه إليه .. فيُبشرنا بأن الميت الذى يصلى على جنازته أُمةٌ من المسلمين يبلغون مائة .. أو أربعين ـ كما فى الحديث الثانى ـ لا يُشركون بالله شيئًا إلا شفَّعهم الله فيه أى: يوم القيامة.

وعن مالك بن هُبَيْرَةَ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(**ما من مسلم يموت فيصلِّى عليه ثلاثةُ صفوف** [١١٥٥] **من المسلمين إلاَّ أوجب**[١١٥٦]) وكان مالك إذا استقل أهل الجنازة [١١٥٧] جَزَّأهم [١١٥٨] ثلاثة صفوف لهذا الحديث . [رواه أبو داود واللفظ له، وابن ماجه ، والترمذى وقال: حديث حسن]

(١١٤٧) بالبناء للمجهول ، أى: إلا قَبِل الله شفاعتهم واستجاب دعاءهم له .

(١١٤٨) أى: فما أزيد منها .

(١١٤٩) هو بضم الكاف وفتح الراء على التصغير مولى لابن عباس .

(١١٥٠) وهما موضعان بين مكَّة والمدينة .

(١١٥١) أى: انظر عدد المجتمعين من الناس لتشييع الجنازة .

(١١٥٢) يعنى: أتظن أنهم بلغوا أربعين .

(١١٥٣) أى: يُصلى عليها .

(١١٥٤) أى: كلهم على التوحيد الكامل البرىء من كل أعمال الشرك .

(١١٥٥) يعنى: أيّاً كان عدد الصف . . فلو كانوا ستة مثلاً جعل كل صف اثنين . . وهكذا .

(١١٥٦) أوجب . . أى: استحق دخول الجنة بصلاتهم عليه .

(١١٥٧) يقال: استقله إذا وجده قليلاً أو اعتبره قليلاً.

(١١٥٨) أى: فرَّقهم .

وعلى هذا .. فإنه من الخير لنا أن نحرص على حضور صلاة الجنازة.. وأن نكون أيضًا فى نفس الوقت من الحريصين على تحقيق السنة فيها .. (وقد) قرأت فى (فقه السنة) أنه من السنة: أن يقوم الإمام حذاء رأس الرجل ، ووسط المرأة.. وأنه إذا اجتمع أكثر من ميت وكانوا ذكورًا أو إناثًا صُفُّوا واحدًا بعد واحد بين الإمام والقبلة ليكونوا جميعًا بين يدى الإمام ، ووضع الأفضل مما يلى الإمام ، وصلى عليهم جميعًا صلاة واحدة .. وإن كانوا رجالاً ونساءً جاز أن يصلى على الرجال وحدهم والنساء وحدهم، وجاز أن يصلى عليهم جميعًا، وصُفَّ الرجال أمام الإمام ، وجُعلت النساء مما يلى القبلة .. وأن الصبى إذا صُلِّى عليه مع امرأة كان الصبى مما يلى الإمام ، والمرأة مما يلى القبلة .. وإن كان فيه رجال ونساء وصبيان .. كان الصبيان مما يلى الرجال .. ومَن سُبِق فى صلاة الجنازة بشىء من التكبير استحب له أن يقضيه متتابعًا .. فإن لم يقض فلا بأس .. مع ملاحظة أن:

كيفية صلاة الجنازة

أن يقف المصلى بعد استكمال شروط الصلاة ناويًا الصلاة على مَن حضر من الموتى رافعًا يديه مع تكبيرة الإحرام، ثم يضع يده اليمنى على اليسرى ويشرع فى قراءة الفاتحة، ثم يُكبِّر ويُصلى على النبى ، ثم يكبر ويدعو للميت ، ثم يكبر ويدعو ، ثم يسلم.

هذا مع ملاحظة:

أن النية ركن .. وأن محلها القلب ، وأن التلفظ بها غير مشروع .

وأن القيام للقادر عليه ـ فى صلاة الجنازة ـ ركن عند جمهور العلماء .. فلا تصح الصلاة على الميت لمن صلى عليه راكبًا أو قاعدًا من غير عذر ..

وكذلك من أركانها: التكبيرات الأربع .. وأنه من السنة عدم رفع اليدين فى صلاة الجنازة ، إلا فى أول تكبيرة فقط، لأنه لم يأت عن النبى ﷺ أنه رفع فى شىء من تكبيرات الجنازة إلا فى أول تكبيرة فقط ـ كما قال الإمام الشوكانى.

ومن أركانها: قراءة الفاتحة ، والصلاة والسلام على الرسول ﷺ سرًا - ومذهب أبى حنيفة ومالك أنهما ليسا ركنين - ورأى الجمهور أن القراءة والصلاة على النبى والدعاء والسلام: يُسن الإسرار بها إلا بالنسبة للإمام فإنه يُسن له الجهر بالتكبير والتسليم: للإعلام .. (ومن) حُجج القائلين بفرضية القراءة: أن الرسول ﷺ سماها صلاة بقوله: (**صلُّوا على صاحبكم**) وقال: (**لا صلاةَ لمن لم يقرأ بأُم القرآن**) . (وتُؤدَّى) الصلاة والسلام على رسول الله بأى صيغة ، ولو قال: اللهم صَلِّ على محمد، لكفى - واتباع المأثور أفضل ، مثل: (اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد) ويُؤْتى بها بعد التكبيرة الثانية كما هو الظاهر ، وإن لم يرد ما يدل على تعيين موضعها.

ومن أركانها المتفق عليها: الدعاء للميت لقوله ﷺ: (**إذا صَلَّيتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**) (١١٥٩) ، ويتحقق بأى دعاء مهما قَلَّ ، والمستحب فيه أن يدعو بأية دعوة من الدعوات المأثورة التى منها: (اللهم اغفر له وارحمه ، واعف عنه وعافه ، وأكرم نُزله، ووسِّع مُدخَله ، واغسله بماء وثلج وبَرد ، ونقِّه من الخطايا كما يُنقَّى الثوب الأبيض من الدَّنَس ، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وقه فتنَة القبر وعذاب النار) (١١٦٠) ، فإذا كان المُصلَّى عليه طفلاً استحب أن يقول المصلى: (**اللهم اجعله لنا سَلَفًا وفَرطاً وذُخْرًا**) (١١٦١).

قال النووى: وإن كان صبيًا أو صبية اقتصر على ما فى حديث: (اللهم اجعله فرطًا لأبويه، وسلفًا وذُخرًا ، وعِظة واعتبارًا وشفيعًا ، وثقِّل به موازينهما، وأفرغ الصبر على قلوبهما ، ولا تفتنهما بعده ، ولا تحرمهما أجره)

(١١٥٩) رواه أبو داود والبيهقى وابن حبان وصححه .

(١١٦٠) رواه مسلم.

(١١٦١) رواه البخارى والبيهقى من كلام الحسن . (فقه السنة) ج٤.

قال الشوكانى: واعلم أنه لم يرد تعيين موضع هذه الأدعية .. فإذا شاء المصلى جاء بما يختار منها دفعة ، إما بعد فراغه من التكبير أو بعد التكبيرة الأولى أو الثانية أو الثالثة ، أو يفرقه بين كل تكبيرتين، أو يدعو بين كل تكبيرتين بواحد من هذه الأدعية ، ليكون مؤديًا لجميع ما روى عنه ﷺ. قال: والظاهر أنه يدعو بهذه الألفاظ الواردة فى هذه الأحاديث، سواء كان الميت ذكرًا أو أنثى ، ولا يُحوِّل الضمائر المُذَكَّرة إلى صيغة التأنيث، إذا كان الميت أنثى ، لأن مرجعها الميت . وهو يُقال عن الذكر والأنثى .

ويُستحب الدعاء بعد التكبيرة الرابعة ، وإن كان المصلى دعا بعد التكبيرة الثالثة. قال الشافعى: يقول بعدها: (اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تَفتنَّا بعده) وقال ابن أبى هريرة: كان المتقدمون يقولون بعد الرابعة: (اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقِنَا عذاب النار) .

والسلام متفق على فرضيته بين الفقهاء ما عدا أبا حنيفة القائل بأن التسليمتين يمينًا وشمالاً واجبتان وليستا ركنين: واستدلوا على الفرضية بأن صلاة الجنازة صلاة ، وتحليل الصلاة التسليم . وقال ابن مسعود: التسليم على الجنازة مثل التسليم فى الصلاة . (وأقلُّه): السلام عليكم ، أو: سلام عليكم (وذهب) أحمد إلى أن التسليمة الواحدة هى السنة، يسلمها عن يمينه، ولا بأس إن سلم تلقاء وجهه، استدلالاً بفعل رسول الله ﷺ ، وبفعل الأصحاب الذين كانوا يُسلِّمون تسليمة واحدة، ولم يُعرف لهم مخالف فى عصرهم. (واستحب) الشافعى تسليمتين، يبدأ الأولى مُلتفتًا إلى يمينه ، ويختم بالأخرى ملتفتًا إلى يساره . قال ابن حزم: والتسليمة الثانية ذكر وفعل خير [١١٦٢] .

فعلى الأخ المسلم .. أن يلاحظ كل هذا .. وينفذه على أساس من هذا الفقه الذى كان لابد أن يقف عليه حتى يكون من الذين أراد الله بهم خيرًا .. وحسبه كذلك أن يكون حريصًا على حضور مثل هذا الخير الذى ينبغى أن يكون موعظة

(١١٦٢) ارجع: إلى تفصيل كل هذا فى (فقه السنة) ج٤ . وكذلك فى (الدين الخالص) ج٧ ص ٢٨٦ وما بعدها .

له .. (بمعنى) أن يتصور نفسه مكان هذا المُصلَّى عليه .. والذى كان قبل موته مثله يغدو ويروح.. وله آمال عِراض .. وربما كان فى غفلة عن هذا الموت الذى طرق بابه دون موعد سابق.. لأن الموت يأتى بغتة.. وهو من الغيبيات التى لابد أن نؤمن بها دون أن نسأل عن موعدها .. وحسبنا أن نفهم المراد من قول الله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ (١١٦٣) مع ملاحظة كذلك أننا جميعًا وبدون استثناء فى الطريق إلى الله تعالى ـ لا أقول من الآن ـ ولكن من يوم أن وُلدنا .. كما يقول لقمان الحكيم لولده: (**يا بنى، إنك مُنذُ نزلتَ إلى الدنيا استَدْبَرْتَها واستقبلتَ الآخرة .. فدارٌ أنت إليها تسيرُ أقربُ من دار أنتَ عنها ترحل**) .

ولله دَرُّ مَن قال:

كل ابنِ أُنثى وإنْ طالتْ سَلامتُه يومًا على آلةٍ (١١٦٤) **حدباءَ مَحْمولُ**

نسأل الله تعالى أن يختم لنا جميعًا بالإيمان .. اللهم آمين،،

(٧٩) مَن هو الذي يريد اللهُ به خيرًا .. يا رسول الله؟

عن معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ فى الدين**) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه ، ورواه أبو يَعلى وزاد فيه: (**ومَن لم يُفقِّهه لم يُبالِ** (١١٦٥) **به**) .

ورواه الطبرانى فى الكبير ، ولفظه:سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (**يا أيها الناسُ، إنما العلمُ بالتَّعَلُّمِ، والفقه بالتفقُّه ، ومَن يُرِد الله به خيرًا يُفَقِّهه فى الدين ، وإنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ**) (١١٦٦) [وفى إسناده رَاوٍ لم يُسم]

(١١٦٣) النحل: من الآية ٦١ .

(١١٦٤) والآلة هى النعش الذى يُحمل الميت عليه . . أو فيه.

(١١٦٥) يعنى: لم يكترث به ، وكان عند ربه حقيرًا صغيراً كالشىء الذى لا يعبأ به .

(١١٦٦) كما قال تعالى فى نص الآية رقم ٢٨ من سورة فاطر .

وعن عبد الله ، يعنى ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إذا أراد اللهُ بعبد خيرًا فقَّهه فى الدين، وألهمه رُشدَهُ**) .

[رواه البزار والطبرانى فى الكبير بإسناد لا بأس به]

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**أفضلُ العبادة الفقهُ، وأفضلُ الدين الورعُ**(١١٦٧)).

[رواه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة ، وفى إسناده محمد بن أبى ليلى]

وعن سعيد بن عفير ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال: قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيبًا يقول: سمعت النبى ﷺ يقول:

(مَن يُرِد اللهُ به خيرًا يُفقِّهه فى الدين ، وإنَّما أنا قاسمٌ واللهُ يُعطى ، ولن تزالَ هذه الأمةُ قائمةً على أمر الله لا يَضُرُّهم من خَالفَهم حتى يأتى أمرُ الله) [أخرجه البخارى فى باب من يرد الله به خيرًا يفقهه]

ففى كل هذه الأحاديث الشريفة ، والصحيحة منها بصفة خاصة .. يشير النبى ﷺ إلى فضيلة الفقه فى الدين وأهميته .. (وذلك) لأنه بدون الفقه فى الدين لن تكون العبادة صحيحة .. لأن الفقه هو نظام العبادة وأساسها .. (وأيضًا) لأن الفقه فى الدين هو البصر النافذ، وحُسْن الفهم لمقاصد الشريعة ، وجودة استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية. فيبيِّن الحلال منها والحرام، والمفروض والمسنون ، والمستحب والمكروه، ويبين الشروط التى يجب توفرها فى صحة العبادات والمعاملات ، والأمور التى تؤدى إلى إفسادها ، وغير ذلك ..

(ويكشف) من وراء ذلك كُلِّه عن حقيقة الإسلام وسماحته ويُسره، ومرونته، ويُقيم الأدلَّة القاطعة، والبراهين الساطعة على أن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان ، وأنه الدين الذى لا تستقر الحياة إلا به ، ولا تستقيم الأمور بدونه مهما حاول المغرضون الملحدون أن يحطوا من شأنه ، ويُشكِّكُوا فى تعاليمه .. كما يقول صاحب كتاب (الفقه الواضح) أكرمه الله فى الجزء الأول.

(١١٦٧) وهو البعد عن الشبهات والاقتصار على الحلال الطيب .

ثم يقول: فدين الله حق وقوله فصل، وحكمه عدل، والحق أحق أن يُتَّبع ، قال تعالى فى سورة المائدة: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ (١١٦٨).

فعلم الفقه يُرينا كيف يَسْمو الإسلام بأتباعه، بل وبغير أتباعه إن هم طبَّقوا تعاليمه ، وأفادوا من نُظمه وسُنَنه فى شتَّى نواحى الحياة .

وبالجملة فإن علم الفقه هو علم الحياة .

وإن حاجة الناس إلى علم الفقه كحاجتهم إلى الحياة نفسها .. ثم يقول: من هنا ، كان طلبه من أوجب الواجبات .. (ولهذا) فقد دعا النبى ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بدعوة كانت أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها ، فقال: (**اللهم فقِّهه فى الدين، وعلِّمْه التأويلَ**)، أى: علِّمه أحكام الدين وحُكمه ، وتفسير القرآن الكريم ، وبيان معانيه وعِبَره.

وقد أشار صاحب (الدين الخالص) عليه رحمة الله ، فى الجزء الأول .. إلى ملاحظات هامة تتعلق بعلم الفقه ، فقال تحت عنوان:

علـم الفقـه

وهو (لغةً): الفهم . و(اصطلاحًا): العلم بالأحكام الشرعية الفرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية (وموضوعه): فعل المكلف من حيث إنه مكلَّف. وخطاب صاحب البهيمة بما أتلفته لتفريطه، وأمر الصبى بالصلاة ليعتادها ، وثوابه على الطاعة لعموم قوله تعالى: ﴿**إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً**﴾ (١١٦٩) وفى حديث ابن عباس: ففزعتْ امرأة فأخذت بعضُد صبى، فقالت:يا رسول الله هل لهذا حج؟ قال: (**نعم ولك أجر**) (١١٧٠).

[أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى]

(١١٦٨) المائدة: ٥٠ .

(١١٦٩) الكهف: ٣٠ .

(١١٧٠) (نعم) أى: للصبى ثواب الحج (ولك أجر) أى: لحملها الصبى وتحملها المشاق من أجله. وهذا كالصلاة والصوم يؤمر بهما إذا أطاقهما ويكتب له الأجر تفضلاً . ويكتب لمن يأمره بالطاعة ويرشده إليها أجر . . انظر: ص ٢٧٧ ج ١٠ المنهل العذب المورود.

وعدم مؤاخذة الصبى بالمعصية لعدم تكليفه .. روى علىٌّ ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**رُفع القلمُ عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم**) .

[أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه]

(وثمرته): الفوز بسعادة الدارين لمن تعلمه وعمل به (وواضعه): الإمام أبو حنيفة النعمان ﷺ، فإنه أول مَن دوَّن الفقه ورتَّب أبوابه، وتبعه الإمام مالك ﷺ فى موطئه.

(ولهذا) كان لابد أن يدرس علم الفقه بصفة خاصة .. ولاسيما بالنسبة لما تدعو الحاجة إليه من المباحث المتعلقة بالعبادات ، التى هى: الصلاة ، والزكاة ، والصيام، والحج .. مع ضرورة دراسة كل ما يتعلق بتلك الأركان من أحكام .. ولاسيما بالنسبة للصلاة التى هى ثانية أركان الإسلام الخمسة ، وأفضل العبادات.. (ولها) شروط صحة لا تُقبل إلا بها ، أوْلاها بالتقديم: الطهارة.. وهى بفتح الطاء لغةً النظافة والتنزه عن الأدناس ولو معنوية كالعيوب والذنوب، وبالكسر: ما يتطهَّر به من الماء ونحوه ، وبالضَّمِّ: اسم لما بقى من الماء بعد التطهر . (وشرعًا): النظافة من النجاسة حقيقية كالخبث، وحكمية وهى الحدث، أو يقال: هى صفة حكمية يستباحُ بها ما منعه الحدث أو حكم الخبث.

(هذا) بالإضافة إلى كل ما يتعلق بالعبادات والمعاملات .. والعادات .. من أحكام لابد أن يكون الأخ المسلم .. بل والأخت المسلمة .. على علم بها .. وذلك لأن الجهل بها ليس عذرًا مقبولاً عند الله تبارك وتعالى.

(ولهذا) فقد رُوى عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلم**[١١٧١]، **وواضعُ العلمِ عند غيرِ أهله كمقلِّد الخنازيرَ الجوهَر واللؤلؤَ والذهبَ**) [رواه ابن ماجه وغيره]

(١١٧١) قال العلماء: ومسلمة . . تبعًا للمسلم الذى هو ولى أمرها المطالب بأن يُعلِّمها أمور دينها، وإلا فإنه سيُسأل عن كل هذا يوم القيامة . . عندما ستتعلق برقبته وهى تقول: يا رب خذ لى حقى منه لأنه لم يعلمنى .

وعن أبى هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**الدنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها**[١١٧٢] **إلا ذِكْرُ الله، وما والاه** [١١٧٣] **، وعالمًا ومتعلمًا**) .

[رواه الترمذى ، وابن ماجه ، والبيهقى ، وقال الترمذى: حديث حسن]

(وعلى هذا) ، فإنه من الخير للأخ المسلم .. أن يكون طالبًا للعلم النافع، (فعن) جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**العلمُ علمان: علمٌ فى القلب**[١١٧٤]: **فذاكَ العلمُ النافعُ، وعلمٌ على اللسانِ**[١١٧٥]: **فذاكَ حجةُ الله على ابن آدم**[١١٧٦]).

[رواه الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه بإسناد حسن ، ورواه ابن عبد البر النمرى فى كتاب العلم عن الحسن مرسلاً بإسناد صحيح]

(وعن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سَهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة ..**) [الحديث رواه مسلم وغيره]

(وعن) زرٍّ بن حُبَيْش قال: أتيتُ صفوانَ بن عَسَّال المُرادىِّ ﷺ قال: ما جاء بك؟ قلتُ: أنْبُط العلمَ [١١٧٧] . قال: فإنى سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: (**ما من خارج خرج من بيته فى طلب العلم إلاَّ وضعتْ له الملائكةُ أجنحتَها رضًا بما يصنع**)

[رواه الترمذى وصححه، وابن ماجه واللفظ له ، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال : صحيح الإسناد]

(وروى) عن أنس بن مالك ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ بمسجد الخَيْف من منىً فقال: (**نَضَّر اللهُ امرأً سمع مقالتى فحفِظها ووعاها، وبلَّغها مَن لم**

(١١٧٢) أى: مما يلهى ويبعد عن ذكر الله عز وجل من متاعها وزينتها .

(١١٧٣) من الموالاة وهى الموافقة والطاعة .

(١١٧٤) بأن يكون العالم مؤمناً بما يقول وعاملاً به ، فيكون قلبه كالأرض الطيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير .

(١١٧٥) وذلك علم المنافق الذى لا ينتفع بعلمه، ولكنه يمسكه لينتفع به الناس .

(١١٧٦) حيث يسأله عن علمه لماذا لم يعمل به ، وقد كان يعلمه للناس، فأسعد الناس وأشقى نفسه .

(١١٧٧) أى: أطلبه وأستخرجه .

يسمعها ، ثم ذهب بها إلى من لم يَسْمعها . ألا فرُبَّ حامل فقه لا فقه له ، ورب حاملِ فقهٍ إلى مَنْ هو أفقهُ منه) [الحديث رواه الطبرانى فى الأوسط]

وفى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ أى: لا ينبغى للمؤمنين أن ينفروا جميعًا ويتركوا رسول الله ﷺ وحده[١١٧٨] ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾ أى: فهلاَّ نفر من كل جماعة كثيرة فئة وطائفة قليلة ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ ﴾ أى: ليتفقَّه الخارجون للجهاد ، بما يعاينون من نصر الله ، لأهل دينه وأصحاب رسوله [١١٧٩] ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [١١٨٠] أى: وليحذِّروا قومهم أن ينزل بهم عذاب الله كما نزل بالمشركين، لعلهم يؤمنون بالله ورسوله.

وعلى هذا ، فإنه على الأخ المسلم ..أن يحرص كل الحرص على أن يكون من المتفقهين فى دينهم .. إذا أراد أن يكون من الذين يريد الله تعالى بهم خيرًا .. وحسبه أن يذكر بالإضافة إلى ما وقف عليه من الأحاديث الشريفة ، قول الرسول ﷺ: (فقيه واحد أشدُّ على الشيطان من ألفِ عابدٍ) [١١٨١] .

(وقد) قرأت توضيحًا لهذا، (عن) مجاهد رضي الله عنه قال: بينا نحن أصحاب ابن عباس حلقًا فى المسجد (طاووس، وسعيد بن جبير ، وعكرمة) وابن عباس قائم يصلى ، إذ وقف علينا رجل ، فقال: هل من مُفت ؟ فقلنا: سل . فقال: إنى كلما بُلْتُ تبعه الماء الدافق. قلنا: الذى يكون منه الولد؟ قال: نعم. فقلنا: عليك الغُسْل. فولَّى الرجل وهو يُرجِّع، أى يقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

وعجَّل ابن عباس فى صلاته ، ثم قال لعكرمة: علىَّ بالرجل.. وأقبل علينا

(١١٧٨) نهى الله المؤمنين أن يخرجوا فى غزو وجهاد ، ويتركوا رسول الله وحيدًا لئلاَّ يطمع فى الاعتداء عليه أحد من الكفار . . فنزلت الآية .

(١١٧٩) هكذا اختار الطبرى فى تفسير الآية ، واختار غيره أن المعنى: ليتفقه القاعدون من النبى ﷺ أمور الدين، ليُعلِّموا المجاهدين إذا رجعوا إليهم ما تفقهوه من رسول الله. وهذا اختيار ابن كثير وجمهور المفسرين وهو الأرجح .

(١١٨٠) التوبة ١٢٢ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى . . بتصرف .

(١١٨١) رواه الترمذى وابن ماجه والبيهقى .

(يعنى ابن عباس) فقال: أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرجل، عن كتاب الله؟ قلنا: لا . فعن رسول الله ﷺ؟ قلنا: لا . قال: فعَمَّهْ (أى فعمِّن) ؟ قلنا: عن رأينا . قال: فلذلك ، قال رسول الله ﷺ: **(فقيهٌ واحدٌ أشدُّ على الشيطانِ من ألفِ عابدٍ)** .. وجاءه الرجل .. فأقبل عليه ابن عباس ، فقال: أرأيتَ إذا كان ذلك منك، أتجد شهوةً فى قُبُلِكَ؟ قال: لا . قال: فهل تجد خدرًا فى جسدك؟ قال: لا . قال: إنمَا هذه أبردة، يجزيك منها الوضوء [١١٨٢].. ا هـ .

فلينتفع الأخ المسلم.. بهذا الخير الذى أرجو أن يكون سببًا فى حرصه على التفقه فى الدين .. والله ولى التوفيق،،

(٨٠) أخبرنى بأحَبِّ الكلامِ إلى اللهِ .. يا رسول الله؟

عن أبى ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ألا أُخْبِرُكَ بأحبِّ الكلام إلى الله[١١٨٣])** قلت: يا رسول الله أخبرنى بأحبِّ الكلام إلى الله [١١٨٤]؟ فقال: **(إن أحبَّ الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده)**

[رواه مسلم والنسائى والترمذى إلا أنه قال: **(سبحان رَبِّى وبحمده)** [١١٨٥] وقال: حديث حسن صحيح]

وفى رواية مسلم: أن رسول الله ﷺ سُئِلَ: أىُّ الكَلامِ أفضَلُ؟[١١٨٦] قال: **(ما اصطفى اللهُ لملائكته[١١٨٧]، أو لعباده[١١٨٨]: سبحان الله**

(١١٨٢) أى: رطوبة، يكفيك منها الوضوء .

(١١٨٣) أى: بأقربه إلى نفسه سبحانه وأشده إرضاء له .

(١١٨٤) إنه قد أعاد كلمات السؤال إظهارًا لشدة رغبته فى ذلك .

(١١٨٥) والإتيان باسم الرب هنا فى هذه الرواية مشعر باستحقاقه سبحانه الحمد على نعمه التى يربى بها عباده بكل أنواع التربية الروحية والجسمية .

(١١٨٦) أى: أعظم درجة عند الله وأكثر ثوابًا لقائله.

(١١٨٧) يعنى: ما اختاره لهم من أنواع الذكر وأمرهم أن يذكروه به .

(١١٨٨) أو شك من الراوى .

وبحمده[١١٨٩])

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرةٍ: غُفِرت له ذنوبه**[١١٩٠] **، وإن كانت مثل زَبَد البحر**[١١٩١]). [رواه مسلم والترمذى والنسائى]

وعنه أيضًا ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لأنْ أقول: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر: أحبُّ إلىَّ مما طلعتْ عليه الشمسُ**[١١٩٢])

[رواه مسلم والترمذى]

وعن سَمُرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**أحبُّ الكلام إلى الله أربعٌ: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يَضُرُّك بأيّهِنَّ بدأتَ**) [١١٩٣] .

[رواه مسلم وابن ماجه والنسائى ، وزاد: (**وَهُنَّ من القرآن**) [١١٩٤]

ورواه النسائى أيضًا ، وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يفهما المراد من هذه الأحاديث .. حتى يكونا من المكثرين من التسبيح .. والتحميد .. والتهليل .. والتكبير .

وحسبهما أن يكونا بهذا كله ـ إن شاء الله ـ قد فازا بمغفرة الله تعالى لهما ذنوبهما (وإن كانت مثل زَبد البحر)، وأنهما أيضًا قد فازا بسبب هذا بثواب الذاكرين والذاكرات المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [١١٩٥] .

(١١٨٩) أخرجه مسلم فى صحيحه (حديث ٢٧٣١) كتاب الذكر والدعاء.

(١١٩٠) وفى رواية (حُطَّت عنه خطاياه).

(١١٩١) وهو ما يعلوه عند هياج أمواجه من الرغوة.

(١١٩٢) أى: أحب إلى الدنيا وما فيها .

(١١٩٣) يعنى: لا ينقص شيئًا من أجرهن أن تأتى بهن على غير الترتيب الموجود فى الحديث، وذلك لأن المقصود هو الإتيان بهن جميعًا على أى وجه فى التقديم والتأخير .

(١١٩٤) يعنى: مذكورات فى القرآن .

(١١٩٥) الأحزاب من الآية ٣٥ .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل هذا الأجر العظيم الذى أعده لهم فى جنته .. اللهم آمين،،

(٨١) هل للموتِ عَلاماتٌ .. يا رسولَ اللهِ؟

عن عثمان بن عفَّان ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**ارقبوا الميتَ عند وفاته ، فإذا ذَرِفت عيناه ورشح جبينه وانتشر منخراه: فهى رحمة من الله قد نزلت. وإذا غَطَّ[١١٩٦] غطيط البَكْر[١١٩٧] المخنوق، وكَمَدَ لونه ، وأزْبَدَ شِدْقَاهُ: فهو عذاب من الله قد نزل به**). [أخرجه الحكيم الترمذى][١١٩٨]

وعن ابن مسعود ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**المؤمنُ يموتُ بعرَقِ الجبينِ**)

[أخرجه الطبرانى فى الأوسط وفى الكبير نحوه فى حديث طويل رجاله ثقات رجال الصحيح] [١١٩٩]

(وهذا) يدل [١٢٠٠] على أن عرق الجبين يكون لما يعالج من شدة الموت (وقيل): إنه يكون من الحياء لأن المؤمن إذا جاءته البشرى مع ما كان قد اقترف من الذنوب: حصل له بذلك خجل واستحياء من الله تعالى ، فيعرق بذلك جبينه . فالعرق إنما يكون لمن حلَّت به الرحمة ، فإنه ليس من ولى ولا صديق ولا بَرٍّ إلاَّ وهو يستحى من ربه مع البشرى والإكرام (وقيل): إن عرق الجبين علامة لموت المؤمن وإن لم يعقل معناه [١٢٠١].

(١١٩٦) (الغط): ترديد الصوت حيث لا يجد مساغًا (وأزبد الشدق) أى: خرج منه ما يشبه الزَّبَد.

(١١٩٧) البكر بالفتح: الفَتِىُّ من الإبل .

(١١٩٨) انظر: ص ٥٩ ج٧ الفتح الربانى (ما جاء فى المحتضر) ، ص ٢٥٩ ج١ مجتبى (علامات موت المؤمن) ، ص ٢٢٩ ج١ ـ ابن ماجه (المؤمن يؤجر فى النزع) ، ص ١٢٨ ج٢ تحفة الأحوذى .

(١١٩٩) انظر: ص ٣٢٥ ج٢ مجمع الزوائد (موت المؤمن وغيره) وزيادة الكبير: يبقى عليه البقية من الذنوب فيجازى بها عند الموت أو يُشدد عليه ليتمحص عنه ذنوبه .

(١٢٠٠) كما جاء فى (الدين الخالص) ج٧ ص ١٦٧ وما بعدها بتصرف .

(١٢٠١) انظر: ص ٢٥٩ ج١ زهر الربى للسيوطى .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يتعظا به .. وحتى يسألا الله تبارك وتعالى .. حُسن الخاتمة .. اللهم آمين ،،

(٨٢) ما هو شركُ السَّرائر .. يا رسول الله ؟

عن محمود بن لبيد ﷺ ، قال: خرج النبى ﷺ فقال: **(يا أيها الناسُ: إياكم وشركَ السرائرِ)** قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر [١٢٠٢]؟ قال: **(يقوم الرجلُ فيُصلِّى فيزيِّنُ صلاته جاهدًا [١٢٠٣] لما يرى من نظر الناسِ إليه، فذلك شركُ السرائر)**. [رواه ابن خزيمة فى صحيحه]

وعن رُبَيْح بن عبد الرحمن بن أبى سَعيد الخُدرىِّ ﷺ، عن أبيه عن جده ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيحَ الدجَّالَ ، فقال:

(ألاَ أخبركُم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال) فقلنا: بلى يا رسول الله ، فقال: **(الشركُ الخَفِىُّ، أن يقوم الرجل فيصلى فيزيِّن صلاته لما يرى من نظر رجل)** [رواه ابن ماجه والبيهقى]

وكذلك رواه الإمام أحمد، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا كثير بن زيد عن رُبيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن جده بنحو هذا الحديث، إلا أنه قال: **(الشركُ الخفىُّ أنْ يقومَ الرجُل يُصلِّى لمكانِ الرجلِ)** .

وعن أبى سعيد بن أبى فضالة ، وكان من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **(إذا جمعَ اللهُ الأولين والآخرين ـ ليوم لا رَيْبَ فيه ـ نادى مُنَاد: مَنْ كان أشرك فى عمله لله أحدًا فليطلب ثوابه منْ عنده ، فإنَّ اللهَ أغنى الشركاءِ عن الشرك)**.

[رواه الترمذى فى التفسير من جامعه ، وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى . وكذلك رواه الإمام أحمد]

(١٢٠٢) السرائر: جمع سريرة وهى السر الذى يُكتم . وما يسره الإنسان من أمره والنية، يقال: (هو طيب السريرة) أى: سليم القلب صافى النية .

(١٢٠٣) أى: مجتهدًا فى ذلك ومهتمًا به .

فمن خلال كل تلك الأحاديث الشريفة بكل ما تحتويه من تحذيرات .. نستطيع أن نتصور جميعًا مدى خطورة هذا الشرك الخفى الذى كان ولا يزال سببًا فى كل ما نعانيه من انحطاطات حسية ومعنوية .. وأعنى بهذا أن أكثر هؤلاء الذين ابتلاهم الله سبحانه وتعالى بهذا الداء الدفين .. أصبحوا لا هَمَّ لهم إلا أن يَرضى الناس عنهم .. أو أن يتحدثوا عنهم بما تطيب به نفوسهم وتتعالى بتلك الصورة التى تؤكد أنهم ليسوا من الطراز الذى تحدَّث الله سبحانه وتعالى عنه فى قوله: ﴿**رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (١٢٠٤) .

وإنما هم من الطراز السُّفلى الآخر الذى تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾(١٢٠٥)، فهم بهذا النفاق الذى كان سببًا فى انحدارهم إلى تلك الهُوَّة السحيقة: أصبحوا لا هَمَّ لهم إلا أن يرضى الناس عنهم .. مع أنه من المفروض أن يكون العكس هو الصحيح .

(فعن) رجل من أهل المدينة قال: كتب معاوية إلى عائشة رضي الله عنها أنِ اكتبى إلىَّ كتابًا توصينى فيه ولا تُكثرى علىَّ .. فكتبت عائشة إلى معاوية .. سلام عليك ، أما بعد: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**مَن التمس رضا الله بسَخَطِ الناس كفاه** (١٢٠٦) **الله مؤنة الناس ، ومن التمسَ رضا الناس بسخطِ الله وكَلَه اللهُ إلى الناسِ**) والسلام عليك . [رواه الترمذى ولم يُسَمِّ الرجل]

(١٢٠٤) النور: ٣٧ ، ٣٨ .

(١٢٠٥) البقرة: ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(١٢٠٦) أى: عصمه الله منهم وحفظه .. (وقوله) ووكله الله إلى الناس ، وكفَّ عنه معونته وكفاه بذلك عقابًا .. والسخط: الغضب وهو ضد الرضا.

(وعن) جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَن أرضى سُلطانًا بما يُسخِط بِه ربَّه خرج من دينِ الله)** [رواه الحاكم]

(وعن) ابن عباس ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَن أسخط الله فى رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه مَن أرضاه فى سَخَطِه، ومَن أرضى الله فى سخط الناسِ رضى الله عنه وأرضى عنه من أسخطه فى رضاه حتى يُزينه ويُزين قوله وعمله فى عينه)** [رواه الطبرانى بإسناد جيد قوى]

وقد قال الله تعالى مشيرًا إلى كل هذا فى قرآنه:

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٢٠٧).

﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ (١٢٠٨).

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ (١٢٠٩).

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ (١٢١٠).

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى يكونا إن شاء الله تعالى من أهل الإخلاص .. بل وحتى لا يكونا من أهل الشرك الأصغر ـ أو الخفى ـ **﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾** (١٢١١). وليكن شعارهما دائمًا وأبدًا هو قول الله تعالى : **﴿.. إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ ..﴾** (١٢١٢). والله ولى التوفيق ،،

(١٢٠٧) التوبة: من الآية ١٣ .

(١٢٠٨) المائدة: من الآية ٤٤ .

(١٢٠٩) الأحزاب: من الآية ٣٧ .

(١٢١٠) النساء: ١٠٨ .

(١٢١١) النساء: من الآية ١٤٢ .

(١٢١٢) الأنعام: من الآية ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٨٣) حدِّثنا يا رسولَ الله .. عن الرُّؤيا التى رأيتَ فيها بعضَ أهلِ النارِ .. وبعض أهلِ الجنةِ

عن أبى أُمَامَةَ ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال: (إنِّى رأيتُ رؤيا هى حَقٌّ فاعقلوها: أتانى رَجُلٌ، فأخذ بيدى ، فاستَتْبعَنى حتى أتى بى جبلاً طويلاً وَعْرًا، فقال لى: ارقَهْ. فَقُلْتُ: لا أستطيع، فقال: إنِّى سَأسَهِّلُه لك، فجعلْتُ كُلَّما رَقيتُ قَدَمى وضعتُها على درجَة حتى استَوَيْنَا على سواء الجبَل، فانطلقنا فإذا نَحنُ برجال ونساء مُشَقَّقَة أشداقُهُم، فقلتُ: مَن هؤلاء؟ فقال: **هؤلاء الذين يقولون ما لا يفعلون**، ثُمَّ انطلقنا. فإذا نحنُ برجال ونساء مُسَمَّرة أعينُهم وآذانُهُم، قلتُ: ما هؤلاء؟ قال: **هؤلاء الذين يُرُون أعينَهُم ما لا يَرَوْنَ، ويُسمعُونَ آذانهم ما لا يَسْمعُونَ**، ثُمَّ انطلقنا، وإذا نَحنُ بنساء مُعلَّقَات بعَرَاقيبهنَّ مُصوَّبَة رُءوسُهُنَّ ، تَنْهَش ثُديَّهُنَّ الحيَّاتُ، قلتُ: ما هؤلاء؟ قال: **هؤلاء الذين يَمْنَعُونَ أولاَدَهُنَّ من ألبانهنَّ**، ثم انطلقنا، فإذا نحنُ برجَال ونسَاء مُعلَّقَات بعَرَاقيبهنَّ، مُصوَّبَة رءوسُهُنَّ، يَلْحَسْنَ منْ ماء قليل وَحَمَأ، قلتُ: ما هؤلاء؟ قال: **هؤلاء الذين يصومون ويُفطرُونَ قَبلَ تَحلَّة صَوْمهم**، ثم انطلقنا وإذا نحنُ برجَال ونسَاء أقبح شىء منْظرًا، وأقبَحه لُبُوسًا ، وأنْتَنه ريحًا، كأنمَّا ريحُهُمْ المراحيضُ، قلتُ: ما هؤلاء ؟ قال: **هؤلاء الزَّانُون والزَّناةُ**، ثم انطلقنا ، فإذا نحنُ بموتَى أشَدِّ شىء انتفَاخًا، وأنتَنه ريحًا، قلت: ما هؤلاء؟ قال: **هؤلاء مَوتى الكُفَّار**، ثم انطلقنا، فإذا نَحنُ نَرَى دُخَانًا ونَسْمَعُ عُوَاءً، قلتُ: ما هذا؟ قال: **هذه جَهَنَّمُ فَدَعْهَا**، ثم انطلقنا، فإذا نَحنُ برجَال نيَام تحتَ ظلال الشَّجَر، قُلْتُ: ما هؤلاء؟ قال: **هؤلاء مَوْتَى المسلمين** ، ثم انطلقنا، فإذا نَحنُ بغلْمَان وجَوَار يَلْعَبُونَ بَيْنَ نَهْرَيْن، قُلْتُ: ما هؤلاء؟ قال: **ذُرِّيَّةُ المؤمنين**، ثم انطلقنا، فإذا نحنُ برجال أحْسَن شىء وَجْهًا، وأحْسَنه لُبُوسًا، وأطْيبه ريحًا كَأنَّ وُجُوهَهُم القَراطيسُ[١٢١٣]، قلتُ:

(١٢١٣) (القرطاس) بكسر القاف وضمها الذى يُكتب فيه .

مَا هؤلاء؟ قال: **هؤلاء الصِّدِّيقُونَ، والشُّهَداءُ، والصالحونَ**، ثم انطلقنا، فإذا نحنُ بثلاثَةِ نَفَرٍ يشربون خمرًا ويُغَنُّونَ، قلتُ: ما هؤلاء ؟ قال: **ذاك زيد بنُ حارثَةَ وجعفر، وابن رواحةَ**، فملْتُ قبلَهُم، فقالوا: قُدْنا لك قُدْنا لك [١٢١٤]، **ثم رَفَعْتُ رَأْسِي ، فإذا ثلاثَةُ نَفرٍ تحت العرشِ ، قُلْتُ**: ما هؤلاء ؟ قال: **ذاك أبوك إبراهيم، وموسى ، وعيسى وهم ينتظرونك**).

[أخرجه الطبرانى فى الكبير ، والحاكم فى المستدرك، والبيهقى فى السنن فى عذاب القبر، والضياء المقدسى فى المختارة . (والحديث) فى مجمع الزوائد جـ١ ص ٧٦ باب الإسراء .. كتاب الإسراء، قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح] [١٢١٥]

(هذا) وإذا كان لنا أن ندور حول هذا الحديث الشريف .. أو تلك الرؤيا .. فإن الذى يعنينا منه ، أو منها .. هُوَ تلك المشاهد التى رآها النبى ﷺ حتى نتعظ بها .. ونحرصَ على أن نكون كأهل المشاهد الحسنة التى رآها النبى ﷺ فى الجنة .. (بعكس) الآخرين الذين يُعذَّبون فى نار جهنم ـ والعياذ بالله ـ بتلك الصورة المخيفة التى شاهدها النبى ﷺ .. ونقلها إلينا .. (حتى) لا تكون من صفات أى فرد من أفراد أمته .. (الذين) ينبغى عليهم أن يكونوا أهلاً للخيرية المشار إليها فى قول الله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾، أى: ـ كنتم يا أتباع محمد ـ خير الأمم وأكرمها على الله .. قال عمر: مَن سرَّه أن يكون من تلك الأمة فليؤدِّ شرط الله منها .. وهو المشار إليه بعد ذلك فى نص الآية: ﴿**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [١٢١٦].

(ولكن) يبدو أن الشيطان قد استطاع بمكره وخداعه.. أن يلعب بهم .. وأن يجعل بعضهم من المتعاونين معه على إفساد الكثيرين من الناس حتى يكونوا معه: ﴿**مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ (فاطر: ٦) كما حدث بالنسبة لهؤلاء المشار إليهم فى نص الحديث .. والذين منهم، بالترتيب الوارد فى النص:

(١٢١٤) أى: قربنا إليك .

(١٢١٥) وهو فى جمع الجوامع (العدد الرابع والعشرون) من الجزء الأول . رقم ٣٧٥٤ ـ ٨٢٤٢.

(١٢١٦) آل عمران: من الآية ١١٠ .

١ـ **(الذين يقولون ما لا يفعلون)**: وهم المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى:

﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ [١٢١٧]، (وحسب) الأخ المسلم .. أن يقف على المعنى المراد من كلمة: (مقتًا) حتى لا يكون من هؤلاء المشار إليهم فى الآية .. وهو : أن (المقت) ، أى : أشد البغض وأفحشه .. (فالمعنى) إجمالاً : عَظُم بُغْضًا وقولاً عند ربكم قولكم ما لا تفعلون .. (ولهذا) فإن المؤمن الصادق لا يقبل أبدًا أن يكون من أهل هذا المقت الإلهى .. الذى معناه ـ كذلك ـ أن المحكوم عليه بهذا المقت .. سيكون مطرودًا من رحمة الله ـ والعياذ بالله.

(وقد) ورد فى الحديث الشريف(عن) الوليد بن عقبة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن نَاسًا من أهل الجنة ينطلقون إلى أُنَاسٍ من أهل النار**[١٢١٨]**، فيقولون: بِمَ دخلتُم النار**[١٢١٩]**؟ فوالله ما دخلنا الجنّة إلا بما تعلَّمنا منكم**[١٢٢٠]**، فيقولون: إنَّا كُنَّا نقولُ ولا نفعل).**

[رواه الطبرانى فى الكبير]

(فعلى) الأخ العالم .. أن يلاحظ هذا .. حتى لا يكون ـ أيضًا ـ كهؤلاء المشار إليهم فى نص الحديث الأخير .. (وأعنى) حتى لا يكون ـ كذلك ـ كمثل (**الفتيلة تُضيءُ على الناس وتحرق نفسها**) [الحديث أخرجه البزار]

(بل) وحسبه أن يعلم أنه إذا لم يكن عاملاً بما علم، فإن هذا العلم سيكون حُجَّةً عليه لا له .. (فعليه) إذَنْ أن يكون عاملاً .. مع ملاحظته لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا** ﴾ [١٢٢١] .

٢ ـ (ومنهم) : **(الذين يُرُون أعينهم ما لا يروْن ، ويُسْمِعون آذانهم ما**

(١٢١٧) الصف: ٣ .

(١٢١٨) أى: ينادى بعضهم بعضاً من وراء حجاب .

(١٢١٩) أى: ما السبب الذى أوجب دخولكم النار؟

(١٢٢٠) لأننا عملنا به حين سمعناه ، فكان سببًا فى دخول الجنة.

(١٢٢١) سورة التحريم: من الآية ٦ .

لا يَسْمعون)، أى: أنَّهُم يتلَصَّصُونَ على الناس حَتَّى يَرَوْا منهم ما يحرصون على ستره من حُرمَات وعورات .. (وأيضًا) على تَسَمُّع أخبارهم التى يحرصون كذلك على التَّكَتُّمَ عليها .. لأنها تتعلق بأسرارهم الخاصة التى لا يُحبون استماع الغير إلى تفاصيلها .. (وهذا) أمر مشروع يجب علينا كمؤمنين صادقين أن نُعينَهم على تحقيقه .

(فعن) رجاء بن حَيْوةَ قال: سمعتُ مسلمةَ بنَ مَخْلد ﷺ يقول: بينا أنا على مصْرَ (١٢٢٢) فأتى البواب فقال: إن أعرابيًا على الباب يستأذن فقلتُ: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا جابر بن عبد الله . قال : فأشرفتُ عليه (١٢٢٣)، فقلت : أنْزل إليكَ أو تَصْعَدُ؟ قال: لا تنزل ولا أصعد، حديث بلغنى أنك ترويه عن رسول الله ﷺ فى ستر المؤمن، جئتُ أسمعُهُ. قلتُ: سَمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: **(مَن سَتَر على مؤمنٍ عورةً(١٢٢٤) فكأنَّما أحْيَا موءودةً)** فضرب بعيرَهُ راجعًا.

[رواه الطبرانى فى الأوسط]

(وعن) ابن عباس ﷺ عن النبى ﷺ قال: **(مَن سَتَر عورةَ أخيه ستر اللهُ عورته يوم القيامة ، ومَنْ كشف عورة أخيه المسلمَ كشف اللهُ عورته حتى يَفْضَحه بها فى بيته)**. [رواه ابن ماجه بإسناد حسن]

(وعن) ابن عمر ﷺ قال: صَعِدَ رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع، فقال: **(يا معشر مَن أسلمَ بلسانه ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبه، لا تُؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه مَن تَتَبَّع عَوْرَة أخيه المسلم تَتَبَّع الله عورتَه، ومَنْ تتبع اللهُ عورتَهُ يَفْضَحهُ، ولو فى جوف رَحْلِه(١٢٢٥))** ونظر ابنُ عُمر يومًا إلى الكَعْبة، فقال: ما أعظَمَكِ وما أعظم حُرْمَتَكِ! والمؤمنُ أعظمُ حُرمَةً عند الله منكِ. رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه إلا أنه قال فيه:

(١٢٢٢) أى: أميرًا عليها .

(١٢٢٣) يعنى: اطلعت عليه من فوق.

(١٢٢٤) أى: عيبًا أو ذنبًا ، وإنما سماه عورة لأن ظهوره يسوء فاعله .

(١٢٢٥) يعنى: فى عقر داره .

(**يا معشر مَن أسلَمَ بلسانه، ولم يدخُلِ الإيمانُ قلبه**[١٢٢٦]، **لا تؤذُوا المسلمين**[١٢٢٧] ، **ولا تُعَيِّرُوهُم** [١٢٢٨]، **ولا تطلبوا عثراتِهمْ** [١٢٢٩]) الحديث .

(وعن) معاويةَ ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (**إنك إن اتَّبَعْتَ عوراتِ المسلمينَ أفسدتَهُم أو كِدتَ تُفسِدُهم**).

[رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه]

(فعلى) الأخ المسلم .. أن يلاحظ كل هذا.. حتى لا يكون من هؤلاء المنافقين الذين يتبعون عورات المسلمين .. ويتسمَّعون أخبارهم.. لا لشىء إلا لكى يصلوا عن طريقهم .. أو على حسابهم إلى تَحْقيق مآربهم الدنْيوية .. التى لا تمتُّ إلى الفضيلة بصلة.

٣- (ومنهم): (**هؤلاء الذين يمنعون أولادهُنَّ من ألبانهن**) [١٢٣٠]، (فقد) يكون المعنى أنهُنَّ لم يُنَفِّذنَ أمر الله تعالى فى قوله: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**﴾، أى: النساء اللواتى طُلِّقْنَ من أزواجهنَّ ولهُنَّ أولاد، يُرضعْنَ أولادهن سنتين كاملتين، ومعنى: (يُرضعْنَ) أنهُنَّ أحقُّ برضاعهم من غيرهنَّ ﴿**لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ أى: لمن أراد من الآباء والأمهات، أن يُتِمَّ رضاع ولده .. وليس ذلك بإيجاب رضاعهم عليهنَّ إذا كان الوالد موسرًا، لقوله تعالى: ﴿**وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ**﴾(●)، وإنما هو لبيان المدة التى تستحق عليها المطلَّقة أجرة الرضاع، فلا تستحق أجرة على الرضاع أكثر من سنتين - ﴿**وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾، أى: وعلى آباء الصبيان، رزق المرضعات

(١٢٢٦) يعنى: يا جماعة المنافقين الذين أظهروا الإسلام على أطراف ألسنتهم وقلوبهم خالية من الإيمان.

(١٢٢٧) بأى نوع من أنواع الأذى حسِّياً كان أو معنويًا .

(١٢٢٨) يقال: عيَّر فلان فلانًا نسبة إلى العَار وقبح عليه فعله.

(١٢٢٩) أى: لا تتبعوا زلاتهم وهفواتهم بقصد التشهير بهم.

(١٢٣٠) وفى رواية ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما: (ثم انطُلِق بى فإذا أنا بنساء تنهش ثُدِيُّهُنَّ الحيات. قلت: ما بال هؤلاء ؟ قيل: يمنعن أولادهُنَّ ألبانهن) ، أى: يمتنعن من إرضاع أولادهنَّ حتى لا تتهدَّل أثداؤهُنَّ .. خوفًا على جمالِهنَّ .. وحُسْن منظرهنَّ .

(●) الطلاق: ٦.

وكسوتهن، على قدر الميسرة ﴿لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا﴾، أى: لا تُحَمَّلُ نفس شيئًا يُضَيِّق عليها ويُجهدها ﴿لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ أى: ليس للوالد أن يُضارها، فينتزع الولد منها إذا رضيت بإرضاعه ﴿وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾، أى: وليس لها أن تُضارَّ الأب، فتقذف الولد إلى أبيه ضرارًا.. نهى تعالى كُل واحد من أبَوى المولود بمضارة صاحبه، فإن ذلك حرام عليهما .. ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ أى: وعلى وارث الصبى إذا كان أبوه ميتًا، مثل الذى كان على أبيه فى حياته من أجر رضاعه ونفقته، إذا لم يكن للمولود مال ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ أى: فإن أراد والد المولود ووالدته ، فطام ولدهما من اللبن فى الحولين، عن تشاوُر وتراض فيما فيه مصلحة المولود ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أى: فلا حرج عليهما ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ﴾ أى: أردتم أيها الآباء أن تطلُبُوا مُرضعَةً لولدكُم غير أمهاتهم ، إذا أبين من رضاعهم ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أى: فلا حرج عليكم فى ذلك ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ أى: إذا أعطيتم إلى أُمهاتهم وإلى المرضعة ، حقوقهن التى أوجبها الله لهُنَّ عليكم فى ذلك ، دون بخس ولا ظلم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أى: خافوا الله ، واحذروا أن تُخالفُوا حدوده، فتستوجبوا عقوبته ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١٢٣١).

فعلى الأب والأُمِّ.. أن يُلاحظا كل هذا .. حتى لا يضيع المولود بينهما .. وذلك بحرمانه من حقه المشروع فى الرضاعة .. تحت رعايتهما معًا .. وفى ظلال الأمن والأمَان والاستقرار .. (مع) ملاحظة أن الأُمَّ أحقُّ برضاع ولدها فى الحولين ، وليس للأب أن يسترضع له غيرها إذا رضيت أن ترضعَه بأُجرة المثل، لأن لبن الأم أصلح، وشفقتها على ولدها أكمل، ولا ينبغى للأُمِّ أن تمتَنِعَ عن إرضاعه إضْرارًا للأب، فإن ذلك حرام، لأن الطفل البرىء سيكون هو الضَّحِيَّة (١٢٣٢).

(١٢٣١) البقرة: ٢٣٣ والتفسير من مختصر تفسير الطبرى ـ بتصرف .

(١٢٣٢) هامش (مُختصر تفسير الطبرى) ص ٧٤ .

(هذا) وإذا كُنَّا ـ فى هذا العنصر ـ قد تعرضنا لموضوع الرضاعة.. (فإننى) أُحب كذلك من خلاله .. أن أُذَكِّر الوالدَين بموضوع من أخطر المواضيع .. حتى يلاحظاه .. ويتحاشيا الوقوع فيه .. (ألا) وهو:

الرضاع المحرِّم للزواج

فقد قرأت تحت هذا العنوان فى (كتاب الفتاوى) للشيخ (محمود شلتوت) عليه رحمة الله .. كلامًا هَامًا.. قال فيه [١٢٣٣]:

يسأل كثير من الناس عن حكم الشريعة فى حالات تتصل بالرضاع، فمنهم من يسأل عن زواج فتى بفتاة رضع على أختها التى تكبر عنها ولم يرضع عليها نفسها، ويظنون أن الرضاع المحرم هو رضاع الفتى على الفتاة التى يريد التزوج بها خاصة. ومنهم من يسأل عن حكم ما إذا رضع الفتى على فتاة وأمها تحت زوج ثم طُلِّقت الأم وتزوجت برجل آخر، وأتت منه بفتاة أخرى وهى تحت الزوج الثانى . فهل يجوز لهذا الفتى الذى رضع من تلك السيدة، وهى تحت زوجها الأول، أن يتزوج بالفتاة التى هى من الزوج الثانى؟

وهنا يقول السائل: قد سألت بعض العلماء فقال: إن لبن المرأة يعتبر ملكًا لزوجها، وبما أن السيدة أرضعت الفتى وهى تحت الزوج الأول، ولم ترضعه وهى تحت زوجها الثانى، فإنه يجوز لهذا الفتى أن يتزوج بالبنت الثانية التى هى من الزوج الثانى، فهذا لبن وذاك لبن آخر !!

ثم بعد ذلك يبدأ فى الإجابة على هذين السؤالين، فيقول، تحت عنوان:

المحرمات بالرضاع

ويجدر بنا قبل الإجابة على هذين السؤالين أن نُبَيِّنَ أن القرآن الكريم ذكر التحريم بالرضاع بعد أن ذكر التحريم بالنسب، فقال أولاً: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ**﴾ ثم قال:

(١٢٣٣) ص ٢٨٢.

﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾[١٢٣٤]. فَصَّل ـ سبحانه ـ مُحَرَّمات النَّسَب وحَصَرها فى سبعة أصناف، ثُمَّ أجمل فى المحرمات بالرضاع، وذكر منها صنفين هما: «الأُمَّهاتُ والأخوات»، وجاء الحديث الصحيح المشهور، وهو قوله ﷺ: «**ما يحرم من الرضَاع ما يحرُم مِن النَّسب**»، مُبينًا أن الصِّنفين اللَّذَين ذُكِرَا فى التحريم بالرضاع يتناولان الأصناف السبعة التى ذُكرت فى التحريم بالنسب، فالأمهات يلحق بهنَّ العماتُ والخالاتُ وبناتُ الأخ وبناتُ الأخت . ومعنى هذا أن كُلَّ من تَحقَّقَ بينهما بالرضاع عنوان صنف من هذه الأصناف كان الرضاع مُحرِّمًا بينهما، وعليه يحرم بالرضاع الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات، وبنات الأخ وبنات الأخت.

ثم يقول تحت عنوان:

القَدر المحرم من الرضاع

وكذلك يجدر بنا أن نُجمل مذاهب العلماء فى قدر الرضاع الذى يُحرم الزواج بين الرضيعين. وقد كثرت المذاهب فى هذه المسألة تبعًا لاختلاف النظر فى الآية مع الأحاديث التى وردت فى قدر الرضاع، **فمن الأئمَّة من رأى**: أن قليل الرضاع ـ ولو قطرة واحدة تصل إلى الجوف ـ وكثيره سواء فى التحريم، **ومنهم**: **مَن رأى** أن المحرم ثلاث رضعات فأكثر، ومنهم: **من رأى** أن المحرم خمس رضعات فأكثر، **ومنهم من رأى** أن المحرم سبع رضعات، **وهكذا**: إلى خمس عشرة رضعة، وكان منشأ هذا **الخلاف** كثرة الأحاديث المتعارضة فى هذا الشأن، وحكم كل ذى رأى فى الرضاع ما صَحَّ عنده من الأحاديث.

إلى أن يقول بعد ذلك، تحت عنوان:

اتحاد زمن الرضاعة

وإذا تجاوزنا المقدار المحرَّم فى الرضاع، أو اخترنا مذهب **الشافعى فيه**، وقلنا: إن المحرم هو خمس رضعات فأكثر، فإن التحريم يثبت بين الرضيعين

(١٢٣٤) النساء: من الآية ٢٣.

من المرضعة الواحدة، سواء اتحد زَمَنُ رضاعتهما منها أو اختلف، وسواء أكان زوج المرضعة واحدًا بأن أرضعتهما وهى تحت زوج واحد أم تعدَّد، بأن أرضعت الولد وهى تحت زوج، ثم مات عنها أو طلَّقها، وأرضعت البنت وهى تحت الزوج الثانى، فهى فى الحالتين أمهما معًا، وهما أخوانِ لأُمٍّ من الرضاعة، والأخوات بجميع نواحيها رضاعًا كالأخواتِ نسبًا فى تحريم الزواج. وإذن فلا قيمة لاختلاف الزوج فى التحريم وعدمه. ومن المعروف أن كل اثنين اجتمعا على ثدىِ واحد لم يَجُز لهما أن يتزاوجا.

ثم يقول تحت عنوان:

الإخبار بالرضاع

وكثيرًا ما يتفق أن يحصل الزواج والدخول بين اثنين، وهما لا يعلمان رضاعًا بينهما، ثم تخبر به امرأة، وتقول لهما: **قد أرضعتكُما**، والحكم فى هذه الحالة على تصديقهما إياه أو عدمه، **فإن صَدَّقاها ولم يُنْكِرَا عليها**: فسد الزواج ووجب عليهما أن يفترقا، أو التفريق بينهما إن لم يفترقا بأنفُسِهما، **أمَّا إن كَذَّباها وأنكرا قولها**، أو تَشَكَّكَا فى صحته: فإن الرضاع لا يثبت إلا إذا قامت عليه حُجّةٌ شرعية، وهى: «**شهادة رجلين أو رجل وامرأتين**» وبدون هذه الشهادة لا يثبت الرضاع شرعًا، ولا يفسد الزواج ولا يجب التفريق .

ثم فى الختام يقول: تحت عنوان:

المبادئ العامة:

١ ـ لا يحرم من الرضاع إلا خمس رضعات فأكثر .

٢ ـ إذا اجتمع اثنان على ثدى واحد بخمس رضعات فأكثر فى مُدَّةِ الرضاع، وهي: **حولان كاملان**: حرم التزاوج بينهما .

٣ ـ لا تتوقف حرمة الزواج بالرضاع **على اختلاف زوج المرضعة**.

٤ ـ الإخبار بالرضاع إن صدق : **وجب التفريق ، وفسد الزواج** ، وإن كذب : **لا يحرم إلا بالشهادة الكاملة**، وهى: « شهادة رجلين أو رجل وامرأتين» .

وبعد: فهذه هى المباديءُ التى أُحبُّ وأرجو أن يعرفها السائلون عن الرضاع، وأن يُعلِّموها الناس، حتى تخف البلبلة التى تحدث فى الأُسَر من جراء هذه المشكلة، والله يتولَّى هدايتنا أجمعين . ا هـ [١٢٣٥].

٤ ـ (ومنهم): (الذين يصومون، ويُفطرون قبل تَحلَّة صومهم) [١٢٣٦]: وهم، كما هو واضح من النص ـ إذا تعمقنا فيه ـ الذين **يصومون صياماً صُورِيّاً فقط**: عن شهوتى البطن والفرج **من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس** .. (ولكنهم) لم يصوموا بالإضافة إلى هذا الأساس ـ الذى لابد منه ـ عن الغيبة والنميمة .. أو عن كل ما يُغضب الله تبارك وتعالى .. لا ليلاً ولا نهارًا .. (وهؤلاء) لا صيام ولا قيام لهم ـ بالمعنى الصحيح ـ كما أخبر النبى ﷺ فى كثير من الأحاديث التى منها، ما ورد:

(عن) أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: (**مَن لم يَدَع** [١٢٣٧] **قول الزُّور** [١٢٣٨]، **والعملَ به: فليس لله حَاجَةٌ فى أن يدع طعامه وشرابه**) رواه البخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه، وعنده: (**من لم يَدَعْ قول الزُّورِ، والجَهْلَ** [١٢٣٩]، **والعَمَل به** [١٢٤٠]) وهو رواية النسائى.

ورواه الطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث أنس بن مالك، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: (**من لم يدعِ الخنا**[١٢٤١] **والكذِبَ: فلا حاجةَ لله فى أن يدعَ طعامه وشرابه**).

(ومعنى): (فليس لله حَاجَةٌ فى أن يَدَعَ طعامَهُ وشرابَهُ)، أى: فى صيامه ..

(١٢٣٥) الفتاوى (للشيخ محمود شلتوت) عليه رحمة الله ص ٢٨٢ ـ ٢٨٦ باختصار .

(١٢٣٦) أى: قبل أن يتم صومهم بغروب الشمس .. (وإن) كنت أرى أن المعنى لابد أن يكون أكبر من هذا .. وهو الذى سأشرحه إن شاء الله .

(١٢٣٧) أى: يترك.

(١٢٣٨) الزور: كل قول مائل عن الحق من الكذب والباطل والشرك والمدح بغير حق والتمويه والخداع وغير ذلك .

(١٢٣٩) المراد به السفاهة والحمق والجفاء والغلظة، ويقابله الحلم .

(١٢٤٠) أى: بالجهل والمعاصى كلها عمل بالجهل فتدخل الغيبة ونحوها .

(١٢٤١) أى: الفُحش فى الكلام والبذاءة والتصريح بما يُستهجن ذكره .

وهو مجاز ـ كما قال بعضهم ـ عن عدم الالتفات والقبول .. فنفى السبب، وأراد المسبب لأن الله لا يحتاج إلى شىء .. (وقيل) الحاجة بمعنى الإرادة، أى: ليس لله إرادة فى صيامه (وعدم) الإرادة كناية عن الرد وعدم القبول، فيرجع لما قبله. (قالوا): وليس المراد بذلك أنه يترك صيامه إذا لم يترك قول الزور وإنما معناه التحذير من ذلك القول .. حتى لا يفسد الصيام .. كما يشير إلى هذا أحدهم فى قوله:

اغْضُضْ الطَّرف[١٢٤٢] واللسانَ اكفُفْنَه

وكــذا السمعَ صُـنْه حـين تَصُـومُ

ليـس مَـن ضَيَّـع الثـلاثـةَ عنـدى

بحقُـوقِ الصِّـيامِ حقًـا يَـقُـومُ

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ليس الصيامُ من الأكْل والشُّرْب[١٢٤٣]، إنما الصيامُ من اللَّغْوِ والرَّفَث[١٢٤٤]، فإن سَابَّك أحد[١٢٤٥]، أو جَهِل عليك، فقل: إنى صائم، إنى صائم[١٢٤٦]**) .

[رواه ابن خزيمة، وابن حبان فى صحيحيهما، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم]

(وفى) رواية لابنِ خُزيمة عنه، عن النبى ﷺ قال: (**لا تُسَابَّ[١٢٤٧] وأنت صائم[١٢٤٨]، فإن سابَّكَ أحدٌ، فقل: إنى صائمٌ، وإن كنتَ قائمًا فاجلس[١٢٤٩]**).

(١٢٤٢) أى: النظر.. فلا تنظر به وأنت صائم ـ بصفة خاصة ـ إلا إلى ما أحل الله لك . . (وكذلك) لا تنطق إلا بالكلمة الطيبة، ولا تستمع إلا إلى الخير . . الخ .

(١٢٤٣) يعنى: أن الإمساك عن الشراب والطعام ليس هو حقيقة الصيام، وإنما هو صُورته.

(١٢٤٤) اللغو: هو كل كلام باطل لا خير فيه، والرفث هو كل ما يتعلق بالنساء .

(١٢٤٥) أى: شاتمك وهاجاك .

(١٢٤٦) وكررها لزيادة التنبيه والتأكيد لكفِّ نفسك عن الرد وزجرًا لمن جهل عليك .

(١٢٤٧) أى: لا تُشاتم أحدًا.

(١٢٤٨) أى: فى حال صيامك .

(١٢٤٩) فإن ذلك يُطفىء ثورة الغضب.

(وعنه) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**رُبَّ**[١٢٥٠] **صائم ليس له من صيامه إلا الجوعُ، ورُبَّ قائمٍ ليسَ لَهُ من قيامه إلا السَّهر**[١٢٥١]) [رواه ابن ماجه واللفظ له، والنسائي وابن خزيمة في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح على شرط البخاري، ولفظهما: **(رُبَّ صائمٍ حَظُّه من صيامِهِ الجوع والعطش، ورُبَّ قائمٍ حَظُّه من قيامه السهر)**]

ورواه البيهقي، ولفظه: (رُبَّ قائمٍ حَظُّه من القيام السَّهر، ورب صائمٍ حظُّه من الصيام الجوعُ والعطش).

(وعن) عُبَيْد مَوْلَى رسول الله ﷺ: أن امرأتين صامتَا[١٢٥٢]، وأن رجُلاً قال: يا رسول الله، إن ها هنا امرأتين قد صامتَا، وإنهما قد كادتا أن تَموتَا من العطش، فأعرض عنه، أو سكت، ثم عاد، وأُراه قال: بالهاجرة[١٢٥٣]. قال: يا نبيَّ الله إنهما، والله قد ماتتا، أو كادتا أن تموتَا[١٢٥٤]؟ قال: (ادْعُهُما)[١٢٥٥] قال: فجاءتا، فجيء بقَدح أو عُسٍّ[١٢٥٦]، فقال لإحداهما: قيئي[١٢٥٧]. فقَاءَتْ قَيحًا ودَمًا وصَديدًا ولحمًا حتى مَلأَتْ نصف القدح، ثم قال للأخرى: فقيئي فقاءت من قيح ودَم وصَديد ولحم عبيط[١٢٥٨] وغيره حتى ملأت القدحَ، ثم قال: (**إن هاتين صامتَا عما أحَلَّ اللهُ لهُمَا**[١٢٥٩]، **وأفطرتَا على ما حَرَّم الله عليهما**[١٢٦٠]: **جلست إحداهُما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان من لُحوم**

(١٢٥٠) حرف جر يستعمل للتقليل والتكثير بحسب السياق.

(١٢٥١) أي: ليس لصومه أو قيامه قبول عند الله.

(١٢٥٢) أي: في حياة الرسول ﷺ وفي حياته وكان صوم تطوع.

(١٢٥٣) وهي اشتداد الحر.

(١٢٥٤) يعني: أن الرجل أشفق عليهما من الهلاك فراجع النبي ﷺ مرارًا في شأنهما كي يأذن لهما بالفطر.

(١٢٥٥) يعني: اذهب فأت بهما إليَّ.

(١٢٥٦) العُس: هو القدح أو الإناء الكبير.

(١٢٥٧) أي: أخرجي ما في جوفك.

(١٢٥٨) أي: خالص طري.

(١٢٥٩) أي: من الطعام والشراب.

(١٢٦٠) أي: من الغيبة والنميمة والوقوع في أعراض الناس.

الناس) (١٢٦١).

[رواه أحمد واللفظ له، وابن أبى الدنيا، وأبو يعلى، كلهم عن رجل لم يُسم عن عُبيد .. ورواه أبو داود الطيالسى، وابن أبى الدنيا فى ذَمِّ الغيبة، والبيهقى من حديث أنس]

(فعلى) الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يتفقا معى على هذا المعنى الكبير ـ الذى استطعت بتوفيق من الله تبارك وتعالى أن أفهمه من خلال هذا النص الذى ندور حوله ـ حتى لا يُفسِدَا صيامَهُما .. (وحتى) يفوزا إن شاء الله بثواب الصيام.

٥ ـ (ومنهم): (الزانون والزُّنَاة): من الذكور والإناث .. الذين أخبر النبى ﷺ بأنهم عندما يرتكبونها .. فإنهم يخلعون رِبْقة الإسلام من أعناقهم .. إلاَّ أن يتوبوا .

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(لا يزنى الزانى** (١٢٦٢) **حين يزنى** (١٢٦٣) **وهو مؤمنٌ** (١٢٦٤)**، ولا يسرقُ السارقُ حين يسرقُ وهو مؤمن، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربُهَا وهو مؤمنٌ).**

[رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى]

(وزاد) النسائى فى رواية: **(فإذا فعل ذلك خلع رِبْقة**(١٢٦٥) **الإسلام من عنقه، فإن تاب تاب الله عليه)** .

(ورواه) البزار مختصرًا: **(لا يسرق السارق وهو مؤمن، ولا يزنى الزانى وهو مؤمن، الإيمان أكرم على الله من ذلك)** .

(١٢٦١) سَمَّى الغيبة أكلاً للحوم الناس .. للتنفير منها وتصويرها بأبشع صورة كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات: ١٢).

(١٢٦٢) أى: ولا تزنى الزانية، فلا اختصاص للذكر بذلك ولكنه اقتصر عليه تغليبًا .

(١٢٦٣) أى: وقت زناه ووطئه الفرج الحرام .

(١٢٦٤) يعنى: أنه لا يزاول ذلك فى حال إيمانه بل يفارق الإيمان قلبه .. قالوا: إنه يصير على رأسه مثل الظلة فإن تاب عاد إليه، والمراد أن ظلمة الزنا لا تجامع نور الإيمان فى القلب، فمن وقع فى الزنا فارق الإيمان قلبه .

(١٢٦٥) الربقة بكسر الراء وسكون الموحدة: عروة الحبل .

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا زنى الرجلُ خرجَ منه الإيمانُ**[١٢٦٦]**، فكان عليه كالظلَّة، فإذا أقلعَ رجع إليه الإيمانُ)**.

[رواه أبو داود والترمذى والبيهقى والحاكم، وفى شرح الجامع حديث صحيح)]

ولفظ الحاكم: **(مَن زنى أو شرب الخمرَ نزعَ اللهُ منه الإيمان كما يخلع الإنسانُ القميصَ من رأسه)** .

وفى رواية للبيهقى: قال رسول الله ﷺ: **(إن الإيمانَ سِربالٌ**[١٢٦٧] **يُسربِلُه الله مَن يشاءُ** [١٢٦٨]**، فإذا زنى العبدُ نزعَ منه سربالَ الإيمان، فإن تاب رُدَّ عليه)** .

(ومعنى): **(فإذا أقلع رجع إليه الإيمان)**، أى: دخله واستقر فى قلبه .. قال الطيبى: (يمكن أن يقال المراد بالإيمان هنا، وفى حديث: **(لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن)**: الحياء، كما ورد أن الحياء شعبة من الإيمان، أى: لا يزنى الزانى حين يزنى وهو يستحى من الله تعالى، لأنه لو استحى من الله واعتقد أنه حاضر شاهد لحاله لم يرتكب هذا الفعل الشنيع) . وقال التوربشتى: (هذا من باب الزجر والتشديد فى الوعيد زَجْرًا للسامعين ولطفًا بهم ، وتنبيهًا على أن الزنا من شيم أهل الكفر وأعمالهم .. فالجمع بينه وبين الإيمان كالجمع بين المتناقضين وفى قوله ﷺ: **(كان عليه مثل الظُّلَّة)** وهى السحابة التى تُظلُّ .. إلاَّ أنه وإن خالف حكم الإيمان فإنه تحت ظله لا يزول عنه حكمه ولا يرتفع عنه اسمه) .

(وعلى هذا)، فإننا ننصح الزُّناة [١٢٦٩] بضرورة أن يُقلِعُوا عن هذا الجرم الكبير .. وأن يتوبوا إلى الله تبارك وتعالى توبة صادقة .. عسى أن يتوب الله تعالى عليهم .. (وإلاَّ)، فإنهم قد أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله[١٢٧٠].

(١٢٦٦) يعنى: فارق قلبه الإيمان .

(١٢٦٧) هو القميص أو كل ما يلبس وجمعه سرابيل .

(١٢٦٨) يعنى: يُلبسه إياه .

(١٢٦٩) من الذكور والإناث .

(١٢٧٠) أى: أوجبوه على أنفسهم بما ارتكبوا من معاصى الله .

(فعن) ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: (**إذا ظهرَ الزنا والربا فى قريةٍ**[١٢٧١] **فقد أحَلُّوا بأنفسهم عذابَ الله**).

[رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد . وكذلك رواه الطبرانى وقال شارح الجامع:وهو حديث صحيح]

(وعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أىُّ الذنب أعظم عند **الله**[١٢٧٢] ؟ قال: (**أن تجعل لله نِدّاً**[١٢٧٣] **وهُو خَلَقَك**) قلتُ: إن ذلك لعظيم، ثم أىٌّ؟ قال: (**أن تقتلَ ولدَك مخافةَ أن يَطعَم معك**[١٢٧٤]) قلت: ثم أى؟ قال: (**أن تُزانِىَ حليلة جارك**[١٢٧٥]) .

[رواه البخارى ومسلم، ورواه الترمذى والنسائى]

وفى رواية لهما: وتلا هذه الآية: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا**﴾[١٢٧٦] . ثم بعد ذلك يقول سبحانه: ﴿**إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾[١٢٧٧] أى: فهؤلاء يبدل الله أعمالهم السيئة[١٢٧٨]، حسنات فى الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيمانًا، وبالزنى عفَّةً وإحصانًا ﴿**وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ أى: يعفو عن الذنوب، ويرحم العباد بعد توبتهم .

٦ ـ (ومنهم): (موتى الكفار)، أى: الذين قُتِلوا فى المعارك مع المسلمين .. فهم

(١٢٧١) أى: كثرَا وانتشرا فيها من غير حياء ولا نكير .

(١٢٧٢) أى: أشد إثمًا وعقوبة .

(١٢٧٣) أى: مساويًا فى استحقاق العبادة .

(١٢٧٤) أى: خوفًا من أن يشاركك فى طعامك.

(١٢٧٥) أى: زوجة الجار.

(١٢٧٦) أى: يلق عقوبة ونكالاً .

(١٢٧٧) وإلى هنا تنتهى رواية الترمذى والنسائى. والآية مع التى بعدها رقم ٦٩، ٧٠ من سورة الفرقان.

(١٢٧٨) هذا التبديل: إنما يكون فى الدنيا، يبدل الله أعمالهم السيئة إلى أعمال حسنة . . (وهذا) ما رجحه الطبرى، وهو قول ابن عباس، والحسن ومجاهد، وقيل: التبديل فى الآخرة يمحو الله ذنوبهم فيجعلها حسنات (هامش مختصر تفسير الطبرى) ص١١٦، من سورة الفرقان .

فى نار جهنم خالدين فيها أبدًا .. ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾..

(وكان) هذا المشهد السادس هو آخر ما رآه النبى ﷺ من المعذَّبين فى نار جهنم والعياذ بالله تعالى منها ومن عذابها .. وأهوالها ..

(ثم) بعد ذلك انطلق (١٢٧٩) الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. (فإذا) هو برجال نيامٍ تحت ظلال الشجر، فسأل: ما هؤلاء ؟ فقال له الرجل الذى كان معه:

١ـ (هؤلاء موتى المسلمين)، أى الذين مَنَّ الله عليهم بالإسلام .. وثبَّتهم عليه إلى أن ماتوا .. (إنهم) هناك فى الجنة يستظلون بظلال رحمة الله تبارك وتعالى: لأنهم مسلمون .. و ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (١٢٨٠): الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا معهم .

ثم انطلق بعد ذلك ـ مع الرجل ـ فمرًّا على غلمانٍ وجَوارٍ (١٢٨١) يلعبون بين نهرين، فسأل صلوات الله وسلامه عليه: ما هؤلاء ؟ فقال له الرجل:

٢ـ هؤلاء: (ذرية المؤمنين)، فهم فى الجنة إن شاء الله مع آبائهم الصالحين ـ من الآباء والأمهات ـ كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (١٢٨٢) .

وكما يشير إلى هذا أيضًا قول الله تبارك وتعالى:

(١٢٧٩) كما جاء فى نص الحديث الذى ندور حوله .. بتصرف يسير فى شرح المفردات .. حتى نفهم المراد .. من اللفظ .

(١٢٨٠) سورة البينة من الآية ٧ .

(١٢٨١) الغلمان أى الذكور، والجوارى أى الإناث .

(١٢٨٢) سورة الرعد: ٢٠ ـ ٢٤ .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، أى: ألحقنا بالذين آمنوا ذُرِّيتَهُم فجعلناهم معهم فى درجاتهم، وإن قصرت أعمالهم عن أعمالهم، تكرمةً منَّا لآبائهم (١٢٨٣). ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أى: وما نقصنا الآباء من أجور أعمالهم شيئًا ، ولكنَّا وَفَّيْنَاهُمْ أجُور أعمالهم ، وألحقنا أبناءهم بدرجاتهم، تَفَضُّلاً منَّا عليهم ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (١٢٨٤) أى: كُل نَفس مرتَهنَةٌ بما عملت من خير وشر، ولا يُؤاخَذ أحَدٌ منهم بذنب غيره، وإنما يعاقب بذنب نفسه .

(ولهذا)، فإننا نسأل الله تعالى أن يجعلنا مع آبائنا وأُمهاتنا وأزواجنا .. وذُرِّيَّاتنا أهلاً لدخول الجنة .. مع الصالحين .. اللهم آمين.

ثم انطلق فمرَّ صلوات الله وسلامه عليه ـ مع الرجل الذى معه ـ على رجال أحسَن شىء وجهًا، وأحسنه لُبوسًا، وأطيبه ريحًا.. فسأل: ما هؤلاء ؟ فقال له الرجل:

٣ـ (هؤلاء الصِّديقُون، والشُّهداءُ، والصَّالِحُونَ)، وهم الذين أنعم الله عليهم بنص الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها:

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾أى:بالتسليم لأمرهما، والرضى بحكمهما، والانزجار عن معصية الله ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ أى: فهو مع الذين وفَّقَهُم الله لطاعته من الأنبياء، والمصدِّقينَ للأنبياء الذين اتبعوا منهاجهم، والشهداء الذين قُتِلُوا فى سبيل الله، والصالحين من عباد الله . ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ أى: نِعْم هؤلاء رُفَقاء فى الجنة .. ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (١٢٨٥) .

(وقد) رُوِى أن رُجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك لأحَبُّ إلىَّ

(١٢٨٣) قال ابن عباس: إن الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن معه فى درجته فى الجنة، وإن كان لم يبلغها بعمله، لتقرَّ بهم عينه . . وتلا الآية .

(١٢٨٤) الطور: ٢١، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى . . بتصرف .

(١٢٨٥) النساء: ٦٩، ٧٠، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى . . بتصرف .

من نفسى، وأحب إلىَّ من أهْلى وولدى، وإنى لأكون فى البيت فأذكرك، فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرتُ موتى وموتك، عرفتُ أنك إذا دخلتَ الجنة رُفعْتَ مع النبيين، وإن دخلتُ الجنَّة خَشيتُ أن لا أراك .. فنزلت: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ..﴾ الآية .

(ولهذا)فإننا نسأل الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يجعلنا من المطيعين لله ورسوله.. حتى نكون أهلاً لأن نكون من المشار إليهم فى هذه الآية الكريمة.. اللهم آمين .

ثم انطلق فمرَّ مع الرجل الذى معه على ثلاثة نَفَرٍ يشربون خمرًا (١٢٨٦) ويُغَنُّون، فسأل: من هؤلاء ؟ فقال له الرجل:

٤ـ (ذاك زيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة)، وهم شهداء غزوة مؤتة ﷺ .. (نسأل) الله تعالى أن يجمعنا بهم فى مستقر رحمته .. اللهم آمين .

ثم انطلق صلوات الله وسلامه عليه مع الرجل الذى كان معه .. فإذا ثلاثةُ نَفَرٍ تحت العرش .. فسأل: من هؤلاء ؟ فقال الرجل:

٥ـ (هذا إبراهيم، وموسى، وعيسى، وهم ينتظرونك)، أى: لكى يُرَحِّبُوا به صلوات الله وسلامه عليه وعليهم وعلى جميع المرسلين إلى يوم الدين .. فهو حبيبهم .. وخاتمهم، ومُتَمِّمُ رسالاتهم .. الذى أرسلَهُ الله رحمةً للعالمين، والذى أرسله ليتَمِّمَ مكارم الأخلاق التى هى الأساس فى هذا الدين الحنيف الذى نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً للانتساب إليه: قولاً وعملاً .. وأن ينفعنا بكل تلك الإشارات التى جاءت فى نص هذه الرؤيا ـ التى هى كذلك وحى من الله تبارك وتعالى ـ اللهم آمين، اللهم آمين، اللهم آمين،،

(١٢٨٦) أى غير مُسكر .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى فى سورة محمد ﷺ .. ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ من الآية ١٥ . فخمر الجنة ليس مسكرًا وإنما هو بنص الآية لذة للشاربين .. بعكس خمر الدنيا والعياذ بالله منه ... ومن شاربيه .. وصانعيه .. الخ .

(٨٤) ما هو أول ما يُحَاسبُ العبد به يوم القيامة من عمله .. يا رسول الله؟

عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال:

(إن أول ما يُحاسَبُ الناسُ به يوم القيامة من أعمالهم الصلاةُ، يقول رَبُّنَا لملائكته، وهو أعلم: انظروا فى صلاة عبدى أَتَمهَا أم نقصها؟ فإن كانت تامَّة كُتبت له تامَّةً، وإن كان انتقص منها شيئًا، قال: انظروا هل لعبدى من تطوُّع؟ فإن كان له تَطَوُّعٌ، قال: أتمُّوا لعبدى فريضتَه مِن تَطَوُّعِه، ثم تُؤخذ الأعمال على ذلك). [رواه أبو داود]

(وعن) أبى هريرة ﷺ ـ أيضًا ـ أن النبى ﷺ قال: **(إن أول ما يُحاسبُ به العبدُ يومَ القيامة من عمله صلاتُه، فإن صَلُحت فقد أَفْلَحَ وأنْجحَ، وإن فسدَتْ فقد خابَ وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء، قال الرب تبارك وتعالى: انْظروا هل لعبدى من تَطَوُّع ؟ فيكمل بها ما انتقصَ من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك).**

[أخرجه النسائى وابن ماجه والترمذى وقال: حسن غريب]

ففى هذين الحديثين الشريفين بروايتيهما .. يُشير النبى ﷺ إلى موضوع هام، لابد أن نَذكره ونُذَكِّر به غيرنا على الدوام.. وهو أن الصلاة هى أهَمُّ أركان الإسلام بعد الشهادتين . (وأنها) عماد الدين وركنه الركين.. كما جاء فى حديث شريف أخرجه الترمذى يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه: **(رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعَموده الصَّلاةُ، وذِرْوة سَنَامه الجهادُ ..).**

(والصلاة) فى نظر الإسلام: الحد الفاصل بين المسلم والكافر، والبارّ والفاجر، وإنها منه بمنزلة الرأس من الجسد، فمن أدَّاها كما ينبغى فهو مسلم بارٌّ، ومن تركها فهو كافرٌ فاجِر (فقد) روى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **(لا إيمانَ لمن لا أمانةَ**

له، ولا صلاةَ لمن لاَ طُهور له، ولا دينَ لمن لا صلاةَ له، إنما موضعُ الصَّلاةِ من الدين، كموضعِ الرأسِ من الجسَدِ).

والصلاة هى أفضل العبادات، وأعظم القُربات .. بعد الشهادتين .. (وهى) خير الأعمال .. كما جاء فى نص حديث صحيح يقول فيه النبى ﷺ: (**واعلموا أنَّ خيرَ أعمالِكُم الصَّلاةُ**)، (وهى) كذلك خير موضوع كما جاء فى نص حديث أخرجه ابن حبان والحاكم يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه: (**الصلاةُ خَيْر مَوضُوعٍ**[١٢٨٧] **فمَنْ شاءَ استكثر، ومَنْ شاء استقلَّ**) .

والصلاة نور .. (ففى) الحديث الذى رواه مسلم، يقول صلوات الله وسلامه عليه: (**الطُّهور شَطْر الإيمان، والحمدُ لله تملأُ الميزانَ، وسبحان الله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السموات والأرضِ، والصَّلاةُ نورٌ، والصَّدقةَ بُرهان، والصَّبر ضياء ، والقرآنُ حُجة لك أو عليك ، كُلُّ الناس يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها، أو مُوبِقها**) .

والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .. قال تعالى: ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ...**﴾ [١٢٨٨].. (وذلك): إذا أداها المصلِّى بخشوع وخضوع، وإخلاص وحافظ عليها فى أوقاتها، وأتم ركوعها، وسجودها، ولم ينقرها كنقر الغراب، ووجد فيها رُوحها ورَيْحانه، ولم يدخلها وهو كاره لها، أو متثاقل فى أدائها .

وهى المكَفِّرة للذنوب.. قال تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ**﴾[١٢٨٩]. وفى حديث صحيح رواه البخارى ومسلم، يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لأصحابه: (أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكُم، يغتسل فيه كُلَّ يوم خمسَ مَرَّاتٍ، هل يبقى من دَرَنِه

(١٢٨٧) أى: خير شىء وضعه الشارع .

(١٢٨٨) العنكبوت: من الآية ٤٥ .

(١٢٨٩) هود: ١١٤ .

شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء[١٢٩٠] !! قال: فكذلكَ مثلُ الصلواتِ الخمس، يمحو اللهُ بهنَّ الخَطَايَا).

(وقد) روى مسلم فى صحيحه عن عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ما من امرئ تَحْضُره صلاةٌ مكتوبة، فيُحسنُ وضوءَها، وخشوعَها، وركوعَها، إلا كانتْ كفارةً لما قبلها من الذنوبِ، ما لم تُؤتَ كبيرةٌ، وذلك الدَّهْرَ كله**).

(ولهذا) كان لابد أن تُؤَدَّى الصلاةُ أداء خاشعًا، وعلى أكمل وجه حتى تكون الصلاة إن شاء الله سَبَبًا فى قبول جميع الأعمال .. وإلا رُفِضَت .. (هذا) بالإضافة إلى ما جاء فى نص الحديثين اللذين ندور حولهما، وهو أن أول ما يُحاسب الناس به يومَ القيامة من أعمالهم الصلاة .. إلى آخر المشار إليه فيهما، وهو أنه إذا كانت الصلاة تامَّة .. فإن ثوابها سَيُسَجَّل لحساب هذا المصلِّى تامًا .. وإذا كان العكس هو الصحيح .. فإن الملائكة سيستكملون له من تطوعه ما نقص من فريضته .. وهذا المشار إليه بالنسبة لفريضة الصلاة سيسرى على جميع العبادات[١٢٩١] التى ينبغى علينا أن نُكثر من تطوعها .. ولاسيَّما بالنسبة للصَّلوات الخمس:

(فقد ورد) عن ابن عمر ﷺ أنه قال: (حَفِظْتُ من النبى ﷺ عشرَ ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب فى بيته، وركعتين بعد العشاء فى بيته، وركعتين قبل صلاةِ الصُّبحِ). [رواه البخارى]

(وعن) المغيرة بن سليمان قال: سمعت ابن عمر يقول: (كانت صلاة رسولِ الله ﷺ أن لا يَدع ركعتين قبل الظُّهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشَاء، وركعتين قبل الصُّبح). [رواه أحمد بسند جيد]

وهذا، بالنسبة للسنن المؤكدة[١٢٩٢]، أما بالنسبة للسنن غير

(١٢٩٠) والدرن: أى الوسخ المتراكم على الجسم بسبب العرق .. الخ .

(١٢٩١) من صلاة وزكاة وصيام وحج .. فلكل تلك العبادات .. أعمال تطوعية .. أى غير مفروضة .. يستطيع الأخ المسلم أن يقف عليها . حتى يؤديها إن شاء الله تعالى .. وبتوفيق منه سبحانه .

(١٢٩٢) وهى ما فعلها النبى ﷺ وواظب على فعلها .. ورغَّب فيها .. (وحكمها) أنه يثاب الإنسان على فعلها ويُعاتب على تركها .

المؤكـدة[١٢٩٣]، فهى:

ركعتان أو أربع قبل العصر، وركعتان قبل المغرب، وركعتان قبل العشاء .

(والوتر) سُنَّة مؤكَّدة حثَّ عليه الرسول ﷺ ورغَّب فيه .. (وأما) عن عدد ركعاته .. فقد قال الترمذى: رُوِىَ عن النبى ﷺ: الوتر بثلاث عشرة ركعة، وإحدى عشرة ركعة، وتسع، وسبع، وخمس، وثلاث، وواحدة ..

(ويجوز) أداء الوتر ركعتين ركعتين[١٢٩٤] ثم صلاة ركعة بتشهد وسلام،كما يجوز صلاة الكل بتشهدين وسلام، فيصل الركعات بعضها ببعض من غير أن يتشهَّد إلا فى الركعة التى هى قبل الأخيرة، فيتشهَّد فيها، ثم يقوم إلى الركعة الأخيرة فيُصلِّيها ويتَشَهَّد فيها ويسلم، (ويجوز) أداء الكل بتشهد واحد وسلام فى الركعة الأخيرة .. كل ذلك جائز وارد عن النبى ﷺ .

(مع ملاحظة)، أنه قد أجمع العلماء على أنه وقت الوتر لا يدخل إلا بعد صلاة العشاء، وأنه يمتد إلى الفجر .

(وأنه) يُستحب تعجيله لمن ظن أنه لا يستيقظ آخر الليل، وتأخيره لمن ظن أنه يستيقظ آخره.

(وأنه) يُستحب الفصل بين الفريضة والنافلة بمقدار ختم الصلاة.

(وبالنسبة) لقضاء سنتى الظهر (فقد ورد) عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا لم يُصَلِّ أربعًا قبل الظهر صلاَّهُنَّ بعدها [١٢٩٥]. (وورد) كذلك عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الأربع قبل الظهر صلاَّهُنَّ بعد الركعتين بعد الظهر [١٢٩٦].

(١٢٩٣) وهى ما فعلها النبى ﷺ ولم يواظب على فعلها .. وتُسمى المندوبة .. أو المستحبة .. (وحكمها) أنه يثاب الإنسان على فعلها .. ولا يعاتب على تركها .. (وينبغى) على المسلم ـ ذكرًا كان أو أنثى ـ أن يحرص على جميع السنن حتى ولو كانت غير مؤكدة (وذلك) حتى لا يُحرم من الثواب .

(١٢٩٤) أى: يسلم على رأس كل ركعتين .

(١٢٩٥) رواه الترمذى وقال: حديث حسن غريب .

(١٢٩٦) رواه ابن ماجه . مع ملاحظة: أن السنن القبلية يمتد وقتها إلى آخر وقت الفريضة .

(أما) بالنسبة لقضاء الراتبة البعدية، فقد جاء فيه ما رواه أحمد عن أم سلمة قالت: صلى رسول الله ﷺ الظهر، وقد أُتى بمالٍ، فقعد يُقَسِّمه حتى أتاه المؤذن بالعصرِ، فصلى العصر ثم انصرف إليَّ، وكانَ يومي، فركع ركعتين خفيفتين، فقلنا: ما هاتان الركعتان يا رسول الله، أُمرتَ بهما ؟ قال: **(لا ... ولكنهما ركعتان كنتُ أركعهما بعد الظُّهر، فشغلنى قَسْم هذا المالِ حتَّى جاء المؤذِّنُ بالعصْر، فكرهتُ أن أدعَهُما)**. [رواه البخارى ومسلم وأبو داود بلفظ آخر]

(وسُنَّة الفجر) تُقضى قبل طلوع الشمس وبعد طلوعها، سواء كان فواتها لعذر أو لغير عذر، وسواء فاتت وحدها أو مع الصبح [١٢٩٧].

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا وينفذاه .. لصالح كل منهما فى الدنيا والآخرة .. والله ولى التوفيق،،

(٨٥) مَن هُم الثلاثة الذين وُكِّلَتْ النارُ بهم ؟ ومن هُو أهونُ أهل النَّار عذابًا .. يا رسول الله؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **(تخرجُ عنق [١٢٩٨] من النار يَوْمَ القيامة لها عينانِ تُبصرانِ، وأذنانِ تَسْمعَانِ، ولسان ينطق يقول: إنِّى وُكِّلْتُ بثلاثة: بكل جبار عنيد[١٢٩٩]، وبكل مَن دَعَا مع الله إلهًا آخر، وبالمصوِّرين)**. [أخرجه الترمذى وقال: حسن صحيح غريب]

وعن النعمان بن بشير أن النبى ﷺ قال: **(أهوَنُ أهل النار عذابًا مَنْ له نعلان وشراكان من نارٍ، يَغْلى منهما دماغه كما يغلى المِرجل، ما يَرى أن أحدًا أشَدُّ منه عذابًا، وإنه لأهونُهم عذابًا)**. [أخرجه الشيخان والترمذى]

(١٢٩٧) ارجع إلى فقه السنة ج٢ ص ١٦ حتى تقرأ الموضوع بالتفصيل. مع ملاحظة: أن (الصبح) هو الذى يُصلى جماعة. . بعكس ركعتى الفجر اللتين تصليان قبلها . . فهما سنة الفجر . . (والله أعلم) .

(١٢٩٨) (عُنق) بضمتين: أى قطعة .

(١٢٩٩) و(الجبار): أى القهار المتكبر (والعنيد) أى الحائد عن الحق كالمعاند له .

ففى الحديث الأول يُصور النبى ﷺ - بوحى من الله - جزءًا من النار بمخلوق له عُنق يخرج من النار الكبرى يوم القيامة .. له عينان تُبصِران، وأذنَانِ تسمعان، ولسان ينطق يقول:

(إنِّى وُكِّلْتُ) . أى: من الله تبارك وتعالى .. (بثلاثة) أى: من الناس:

(بكل جبَّار عنيد)، والمراد به المتكبر الذى لا يلين ولا يرحم الضعفاء الذين يحرص دائمًا وأبدًا بما لَهُ من قوة وسلطان أن يبطش بهم دون أن يعمل حسابًا لأى أحد من الناس .. أو دون أن يرحم توسُّلات هؤلاء الضعفاء الذين لا يملكون القوة التى بها يستطيعون بها مواجهته .. فهذا المتكبر الجبار العنيد .. سيتولى هذا العنق من النار تصفية الحساب معه.. وذلك بتعذيبه بِشَتَّى أصناف العذاب.

(وبكُلِّ من دَعَا مع الله إلهًا آخر) .. والمراد به المشرك الذى يعبد مع الله غيره .. (وهذا) ذنب كبير لا يُغفر .. كما أشار إلى هذا رب العزة سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (١٣٠٠)، وفى الحديث القدسى يقول سبحانه وتعالى: (..يا بن آدم، لو أتيتنى بقُراب(١٣٠١) الأرضِ خطايَا ثم لَقِيتَنى لا تُشرك بى شيئًا لأتيتُك بقرابها مغفرةً..)(١٣٠٢).

فهذا المشرك بالله سيتولى العنق كذلك تصفية الحساب معه فى نار جهنم التى فيها ما فيها من الأهوال والشدائد التى لا تخطر على بال إنسان . والعياذ بالله منها .

(وبالمصورين): أى الذين يصنعون الصور ..يعنى يُشَكِّلُونَها من الجبس - أو غيره - على هيئة شىء من الحيوانات أو الطيور .. فقد ورد بالإضافة إلى أن العُنق سيقوم بتصفية الحساب معهم.

(١٣٠٠) النساء: ٤٨ .

(١٣٠١) أى: بما يقارب ملء الأرض خطايا.

(١٣٠٢) والحديث رواه أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ عن رب العزة سبحانه وتعالى .. وهو حديث رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح .(وهو الحديث الثانى والأربعون) فى الأربعين النووية.

(عن) عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**إنَّ الذين يَصنَعون هذه الصُّور يُعَذَّبون يوم القيامة، يُقَالُ لهم: أَحْيُوا ما خلقتُمْ**). [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) ابن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن أَشدَّ النَّاسِ عذابًا يومَ القيامةِ المصوِّرون**). [رواه البخارى ومسلم]

(قال) النووى: (قال العلماء: تصوير الحيوان حرام شديد التحريم، وهو من الكبائر، وسواء صنعه لما يُمتَهَنُ أم لغيره، سواء كان فى ثوب أو بساط أو درهم أو فلس[١٣٠٣] أو إناء أو حائط أو غيرها .. وأما تصوير ما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام) . وقال فى الفتح: (وخصَّ بعضهم الوعيد الشديد بمن صوَّر قاصدًا أن يُضاهى فإنه يصير بذلك القصد كافرًا) .

وفى الحديث الثانى يشير النبى ﷺ إلى خطورة تلك النار التى لابد أن يعمل لها المؤمن ألف حساب حتى لا يكون من المعذَّبين فيها - أو بها - ولو بأهون عذاب .. (فعن) أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**ناركم هذه التى تُوقِدون، جزء واحد من سبعين جزءًا من حَرِّ جَهَنَّم**) قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: (**فإنها فُضِّلَت بتسعة وستين جزءًا كُلُّهُنَّ مثلُ حَرِّها**).

[أخرجه أحمد والشيخان والترمذى وقال: حسن صحيح]

(وعن) ابن عباس ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**لو أن قطرةً من الزقوم**[١٣٠٤] **قُطرت فى دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمَنْ يكون طعامه ؟**).

[أخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه والحاكم والترمذى وقال: حسن صحيح]

هذا، وإذا كان لى بعد هذا أن أُبشِّر الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. فإنه حسبى أن أُذَكِّرهما بهذين الحديثين الشريفين (فعن) أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: (**يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ**). ثم يقول الله تعالى:

(١٣٠٣) وهو نوع من المال .

(١٣٠٤) (الزقوم) شجرة من أخبث الشجر المُر فى تهامة تنبت فى أصل الجحيم طلعها كرءوس الحيات إذا أكل أهل النار منه يغلى فى بطونهم كغَلْى الحميم.

أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيُخرجُون منها قد اسودّوا، فيُلقَون فى نهر الحياة (١٣٠٥)، فَينبُتون كما تنبت الحبَّةُ فى جانب السَّيل. ألم تر أنها صفراء مُلتوية). [أخرجه الشيخان والنسائى]

(وعن) أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة (١٣٠٦) من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا اللـه وفى قلبه وزن بُـرَّة (١٣٠٧) من خير، ويخرج (١٣٠٨) من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذَرَّةٍ من خير**).

[أخرجه أحمد والشيخان والنسائى وابن ماجه والترمذى وقال: حسن صحيح]

اللهم إنَّا نسألك الجنة، اللهم إنَّا نعوذ بك من النار .. اللهم آمين،،

(٨٦) من هو الرجل .. الذى يقاتل فى سبيل الله .. يا رسول الله؟

عن أبى موسى ﷺ أن أعرابيًا أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله الرجلُ يُقاتلُ للمغنم (١٣٠٩)، والرجل يُقاتلُ ليُذكَر (١٣١٠)، والرجل يُقاتلُ ليُرى مكانه (١٣١١). فَمَنْ فى سبيل الله (١٣١٢) ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**مَن قاتَلَ لتكونَ كلمةُ اللهِ هى العُليا فهو فى سبيل الله**).

[رواه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه]

(١٣٠٥) (نهر الحياة) نهر يحيا به من انغمس فيه.

(١٣٠٦) أى: وزن حبة الشعير .

(١٣٠٧) أى: وزن حبة القمح .

(١٣٠٨) (يخرج) بفتح أوله وضم الراء، ويُروى بالعكس، ويؤيده قوله فى رواية: (أخرجوا) ص ٣٤٦ . ج٣ تحفة.

(١٣٠٩) أى: لأجل الحصول على الغنيمة والأسلاب .

(١٣١٠) أى: ليذكره الناس ويحمدوه ويثنوا عليه بالشجاعة ونحو ذلك .

(١٣١١) يعنى: ليراه الناس فى صفوف المقاتلين .

(١٣١٢) يعنى: فمن الذى يكون قتاله فى سبيل الله .

فهذا الجواب الذى جاء فى ختام هذا الحديث: من جوامع كلمه ﷺ، فقد حدَّد به دائرة القتال فى سبيل الله، ليُعلم أن كل ما خرج عن هذه الدائرة فليس فى سبيل الله، وهذه الدائرة تنحصر فى أن يكون القصد من القتال هو أن يعز دين الله ويغلب، وتكون كلمته هى العُليا.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد، وهو يُريدُ عَرضًا من الدنيا [١٣١٣] ؟ فقال رسول الله ﷺ: **(لاَ أجْرَ لَهُ)**؛ فأعظمَ ذلك الناس[١٣١٤]، وقالوا للرجل: عُدْ لرسول الله ﷺ فلَعلَّك لم تُفْهِمْهُ [١٣١٥]، فقال الرجل: يا رسول الله رجل يُريدُ الجهاد فى سبيل الله، وهو يَبْتَغِى عَرضَ الدنيا ؟ قال: **(لا أجرَ له)**، فأعظمَ ذلك الناس، وقالوا: عُدْ لرسول الله ﷺ، فقال له الثالثة: رجل يُريدُ الجهادَ وهو يبتغى عرضًا من الدنيا ؟ فقال: **(لا أجر له)** .

[رواه أبو داود، وابن حبان فى صحيحه والحاكم باختصار وصححه]

وهذا الحديث يشير إلى أن الرجل ـ هذا ـ لم يخلص فى نيته، بل أشرك فيها مع الجهاد رغبة فى الحصول على حُطام العاجلة، والله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه سبحانه وتعالى .. فهو القائل فى قرآنه: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[١٣١٦].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إنما الأعمال بالنية .. وفى رواية: بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دُنيا يُصيبها، أو امرأة ينكِحُها فهجرته إلى ما هاجر إليه)**.

[رواه البخارى ومسلم، وأبو داود والترمذى والنسائى] [١٣١٧]

(١٣١٣) يعنى: أنه يريد الأمرين معًا أن يظفر بأجر الجهاد، وأن ينال من الغنيمة .

(١٣١٤) أى: عدوه أمرًا عظيمًا أن يضيع أجر المجاهد إذا قصد معه الحصول على الغنيمة.

(١٣١٥) أى: لعلك لم تُحسنْ التغيير فلم يفهم مرادك من السؤال .

(١٣١٦) الكهف: من الآية ١١٠ .

(١٣١٧) انظر ص ٤٩٣، وما بعدها و٤٩٥ وما بعدها (من الترغيب والترهيب) ج٢ مع الهامش بتصرف.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى يحرصا على الصدق فى النية .. ولاسيما فى ميدان الجهاد فى سبيل الله .. وحسبهما ما وقفا عليه .. والله ولى التوفيق،،

(٨٧) أىُّ النساءِ خيرٌ .. يا رسولَ الله؟

عن أبى هريرة ﷺ قال: (**سُئل رسول الله ﷺ: أىُّ النساء خيرٌ؟ قال: التى تَسرُّهُ إذا نظر**[١٣١٨]، **وتُطيعُه إذا أمَر، ولا تخالفُه فيما يكره فى نفسها وماله**) . [أخرجه النسائى فى سُنَنه]

وفى الصحيحين عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ، قال: (**تُنكَحُ المرأة لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها. فاظفر بذات الدين، تَرِبَتْ يداك** [١٣١٩]).

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**الدنيا متاع، وخَيْر متاع الدنيا: المرأة الصالحة**) .

وهذا معناه [١٣٢٠].. أن النبى ﷺ كان يُحرِّض أُمته على نكاح الأبكار الحسَان، وذوات الدين.. فقد ورد أنه لما تزوج جابر ﷺ ثيِّبًا، قال له: (**هَلاَّ بكرًا تُلاعِبُها وتُلاعِبُك**) .

كما كان ﷺ يَحثُّ على نكاح الوَلود، ويكرهُ المرأة التى لا تَلدُ ـ كما فى سُنَن أبى داود ـ عن مَعقل بن يسار ـ: أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ، فقال: (**إنى أصَبْتُ امرأةً ذاتَ حَسَبٍ وجمال، وإنَّها لا تَلد، أفاتزوَّجُها؟ قال: لا . ثم أتاه الثانية، فنهاه. ثم أتاه الثالثة، فقال: تزوَّجوا الودودَ الولودَ، فإنى مُكاثر بكم الأمم**).

(١٣١٨) كذا بالزاد، والفتح الكبير ٢/٩٦ . وهو الملائم . وفى الأصل زيادة: (إليها) ولعلها من الناسخ أو الطابع (كذا قال فى الطب النبوى ص ١٩٦ هامش).

(١٣١٩) كلمة معناها: الحث والتحريض، وقيل: هى دعاء عليه بالفقر .. وقيل: لكثرة المال، واللفظ مشترك بينهما، بل لكل منهما، والآخر هنا أظهر .

(١٣٢٠) كما جاء فى (الطب النبوى) لابن قيم الجوزية .. طبعة دار إحياء التراث العربى ـ بيروت لبنان ـ ص ١٩٦، وما بعدها .

وقد أشار (فى الطب النبوى)، إلى بعض الملاحظات الهامة المتعلقة بالجماع، فقال:

(ومما) ينبغى تقديمه على الجماع: ملاعبتُه المرأة وتقبيلها، ومصُّ لسانها. (وكان) رسول الله ﷺ، يلاعب أهله ويُقبِّلها. وروى أبو داود فى سننه: (أنه ﷺ كان يقبل عائشة ويمصُّ لسانها). ويُذكر عن جابر بن عبدالله، قال: (نهى رسول الله ﷺ عن المواقعة قبل الملاعبة).

وكان رسول الله ﷺ: ربما جامع نساءه كلَّهن بغُسْل واحد، وربَّما اغتسل عند كل واحدة منهن . فروى مسلم فى صحيحه، عن أنس: (أن النبى ﷺ كان يطوف على نسائه بغُسْل واحد) . روى أبو داود فى سننه ـ عن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ : **(أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه فى ليلة، فاغتسل عند كل امرأة منهن غُسْلاً . فقلت: يا رسول الله لو اغتسلتَ غُسلاً واحدًا ؟ فقال: هذا أطهرُ وأطيبُ)** .

ثم يقول فى (الطب النبوى): (وشُرِعَ) للمُجامع ـ إذا أراد العود قبل الغُسل ـ الوضوء بين الجماعَين، كما روى مسلم فى صحيحه ـ من حديث أبى سعيد الخدرى ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا أتى أحدُكم أهلَه، ثم أراد أنْ يعودَ: فليتوضأ** [١٣٢١]) . وفى الغُسل والوضوء بعد الوطء من النشاط وطِيب النفس، وإخلاف بعض ما تحلَّلَ بالجماع، وكمال الطُّهر والنظافة، واجتماع الحار الغريزىِّ إلى داخل البدن بعد انتشاره بالجماع، وحصول النظافة التى يُحبها الله ويُبْغِضُ خِلافَها: ما هو من أحسن التدبير فى الجماع، وحفظ الصحة والقُوى فيه .

ثم بعد ذلك يشير إلى (فصل) هامٍّ، فيقول فيه: (وأنفع) الجماع: ما حصل بعد الهضم، وعند اعتدال البدن: فى حره وبرده، ويُبوسَته ورُطُوبته، وخلائه وامتلائه، وضرره عند امتلاء البدن: أسهلُ وأقَلُّ من ضرره عند خُلُوِّه. وكذلك

(١٣٢١) وهذا ما ذهب إليه الجمهور. مع ملاحظة أن وضوء الجماع لا ينتقض إلا بجماع آخر . (وأن) هذا الوضوء لا يُصلَّى به . . ولكنه لتجديد النشاط .

ضرره عند كثرة الرطوبة: أقل منه عند اليبوسة، وعند حرارته: أقل منه عند برودته. وإنما ينبغى أنْ يُجامع: إذا اشتدت الشهوة وحصل الانتشار التام الذى ليس عن تَكَلُّف، ولا فكر فى صورة، ولا نظر متتابع . (ولا ينبغى) أن يستدعى شهوة الجماع ويتكلَّفها، ويحمل نفسه عليها . (وليُبادِرْ) إليه: إذا هاجت به كثرة المنى، واشتد شبقُه.(١٣٢٢) . (وليحذر) جماع العجوز، والصغيرة ـ التى لا يُوطأُ مثلُها، والتى لا شهوةَ لها ـ والمريضة، والقبيحة المنظر، والبغيضة.. فوطء هؤلاء يُوهن القُوى ويُضعفُ الجماع بالخاصيِّة .. إلى أن يقول:

وفى جماع البِكْر: من الخاصية، وكمال التعلُّق بينها وبين مُجامعها، وامتلاء قلبها من محبته، وعدم تقسيم هواها بينه وبين غيره ـ ما ليس للثَّيِّب، وقد قال النبى ﷺ لجابر: (هلاَّ تزوَّجتَ بكرًا !) .

وجماع المرأة المحبوبة فى النفس يَقِلُّ إضعافه للبدن مع كثرة استفراغه للمنى.

وجماع البغيضة يُحِلُّ البدن، ويُوهن القُوى مع قلة استفراغه.

وجماع الحائض حرام طبعًا وشرعًا: فإنهُ مضرٌّ جدًا، والأطباء قاطبة تُحذِّر منه .

ثم بعد ذلك يقول: (وأحسن) أشكال الجماع: أن يَعْلُو الرجل المرأة مُستفرشًا لها، بعد الملاعبة والقُبلة، وبهذا سُمِّيت المرأة فراشًا، كما قال ﷺ: (الولد للفراش) . وهذا من تمام قَوامة الرجل على المرأة، كما قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ (١٣٢٣).

وأردأ أشكال الجماع: أن تعلوه المرأة، ويُجامعها على ظهره. وهو خلاف الشكل الطبيعى الذى طبع الله عليه الرجل والمرأة، بل نوع الذكر والأنثى وفيه من المفاسد: أن المنىَّ يتعسَّر خروجُه كلُّه، فربما بَقِى فى العضو منه بقية: فيتعفَّن ويفسد، ويضر .. (وأيضًا): فربَّما سال إلى الذَّكَر رُطُوباتٌ من الفرج.

(١٣٢٢) قد يكون المراد هو اشتياقه الزائد بالإضافة إلى استعداده التام.

(١٣٢٣) النساء: من الآية ٣٤ .

(وأيضًا): فإنَّ الرَّحِمَ لا يتمكَّنُ من الاشتمال على الماء [١٣٢٤]، واجتماعه فيه، وانضمامه عليه .. لتخليق الولد (وأيضًا): فإن المرأة مفعول بها طبعًا وشرعًا، وإذا كانت فاعلة: خالفت مقتضى الطبع والشرع.

وأما عن نكاح المرأة فى دبرها: فهو حرام بالإجماع، ولم يُبَح قَطُّ على لسان نبى من الأنبياء.

وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**ملعون مَنْ أتى المرأةَ فى دُبُرها**)، وفى لفظ لأحمد وابن ماجـــه: (**لا ينظـر الله إلى رجل جامع امرأته فى دبرها**) وفى لفظ الترمذى وأحمد: (**مَن أتى حائضًا، أو امرأته فى دبرها، أو كاهنًا فصدَّقه فقـد كفر بما أُنزل على محمد** ﷺ). وفى لفظ للبيهقى: (مَن أتى شيئًا ـ من الرجال والنساء ـ فى الأدبار: فقد كفر) .

وفى المسند عن ابن عبـاس ﷺ قال: (جاء عمر بن الخطاب ﷺ إلى رســول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكتُ. فقال: **وما الذى أهلكك** ؟ قال: حَوَّلتُ رَحْلى البارحة [١٣٢٥] قال: فلم يَرُدَّ عليه شيئًا، فأوحى الله إلى رسوله: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ...**﴾ [١٣٢٦] ـ ثم قال النبى ﷺ لعمر ﷺ ـ **أقبل وأدْبر، واتق الحيضة والدُّبُر**) .

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه.. والله ولى التوفيق،،

(٨٨) أىُّ الناسِ خيرٌ .. يا رسولَ الله؟

عن عبد الرحمن بن أبى بَكْرة عن أبيه أن رجلاً قال: يا رسول الله ، أىُّ الناس خير؟ قال: (**مَن طال عُمُرهُ وحَسُن عمله**) قال: فأىُّ الناسِ شرٌّ؟ قال: (**مَن طال**

(١٣٢٤) أى: المَنِى.

(١٣٢٥) يعنى: أنه كان قد جامع زوجته فى القُبُل ولكن من ناحية الدبر .

(١٣٢٦) والحرث أى الفرج .. ومعنى (أنَّى شئتم) أى: من حيث شئتم.. من أمام أو من خلف .. فى الفرج .. والآية فى سورة البقرة ٢٢٣ .

عُمره وساء عمله).

[أخرجه أحمد والترمذى وقال: حسن صحيح، والطبرانى والحاكم والبيهقى بسند صحيح]

وعن أبى هريرة ﷺ قال: **ألا أُنَبِّئُكم بخيركم؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: (خياركم أطولُكم أعمارًا وأحسنكم أعمالاً).**

[أخرجه أحمد وابن حبان والبيهقى بسند رجاله رجال الصحيح]

وهذا معناه (١٣٢٧)، أن طول العمر مع حُسن العمل .. له أثر عظيم فى السعادة وضدها .. لأنه كُلَّمَا طال عمر الإنسان كَثُر عمله، واطلع على أحوال الدنيا وتقلباتها (فإن) اتعظ بكثرة من مات وما يقع من الشدائد، فزهد فى الدنيا وأكثر من عمل الخير والبرِّ: كثُرت حسناته، وكُفِّرت سيئاته، ورفعتْ درجاته، وقَبله مولاه إذْ لم يره حيث نهاه، ولم يفقده حيث أمره، فكان سعيدًا فى الدنيا والآخرة .. قال الله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (١٣٢٨).

(وإن لم يتعظ) ويعتبر بتقلبات الدهر وشغلته دنياه عن طاعة مولاه كان طول عُمُره وبالاً عليه، وليس له عُذر عند الله عز وجل بعد أن مَدَّ فى عمره ومكَّنه من الطاعة فأبى أن يُطيع مولاه، قال الله تعالى: ﴿ **أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ** ﴾ (١٣٢٩).

فمعنى: (أو لم نُعمركم): استفهام توبيخى، أى: أوَ ما عشتم فى الدنيا أعمارًا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لعملتم به فى مدة عمركم، أو المعنى: أو لم نعمركم تعميرًا يتذكر فيه مَن تَذَكَّر . وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه، فقصَّر، إلاَّ أن التوبيخ فى المتطاول أعظم . واختُلف فى مقدار العمر هنا، والصحيح أنه ستون أو سبعون سنة (لحديث) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال:

(١٣٢٧) كما جاء فى (الدين الخالص) ج٧ ص١٦، وما بعدها بتصرف .

(١٣٢٨) النحل: ٩٧ .

(١٣٢٩) فاطر: ٣٧ .

(أعذر الله إلى امرئ أخَّر أجله حتى بلَّغه ستين سنة).

[أخرجه البخارى] (١٣٣٠)

وفى رواية لأحمد والطبرانى عن أبى هريرة أن النبى ﷺقال: **(لقد أعذر الله تعالى إلى عبدٍ أحْياهُ حتَّى ستين أو سبعين سنة، لقد أعذرَ اللهُ إليه، لقد أعذرَ اللهُ إليه)** .

(فالإنسان) لا يزال فى ازدياد إلى كمال الستين، ثم يشرع فى النقص والهرم . ولما كان هذا هو العمر الذى يعذر الله إلى عباده به، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة (فعن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **(أعمار أُمَّتِى ما بين السِّتِّين إلى السَّبعين، وأقلهم من يجُوز ذلك)**.

[أخرجه ابن ماجه والترمذى وقال: حسن] (١٣٣١)

(ومعنى) قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ يعنى: الشيب . والصحيح أن النذير هو النبى ﷺ كما رواه أبو الحسن رزين بن معاوية عن ابن عباس .(ومعنى)، (فقد أعذر الله إليه) .. أى: لم يبق له اعتذارًا حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر. فالإعذار إزالة العُذر، ومنه قولهم: (أعذر من أنذر) أى: أتى بالعذر وأظهره .. (وإنما) كانت الستون أو السبعون حَدًّا لهذا .. لأنها قريبة من مُعترك المنايا، وهى سِنُّ الإنابة والخشوع وترقب المنية .. فهذا إعذار بعد إعذار لُطفًا من الله بعباده حيث نقلهم من الجهل إلى العلم، ثم أعذر إليهم فلم يُعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة، وإن كانوا فُطروا على حُبِّ الدنيا، وطول الأمل، لكنهم أُمِرُوا بالمجاهدة للنفس .. ليمتثلوا ما أُمِروا به وينزجروا عما نُهوا عنه.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يكونا إن شاء الله تعالى من أهل المجاهدة إلى آخر لحظة فى حياتهما.. عسى أن يُختم لهما بالخير إن شاء الله . والله ولى التوفيق،،

(١٣٣٠) انظر: ص ١٨٨ ج١١ فتح البارى .

(١٣٣١) انظر :ص ٢٦٤ ج٣ تحفة الأحوذى.

(٨٩) أرأيتَ إن قُتلتُ فى سبيل الله .. تكَفَّرُ عَنِّى خطاياىَ .. يا رسول الله؟

عن أبى قتادة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر أن الجهادَ فى سبيل الله، والإيمانَ بالله أفضلُ الأعمال، فقام رجل، فقال: يا رسول الله أرأيتَ (١٣٣٢) إن قُتِلْتُ فى سبيل الله تُكَفَّر عَنِّى خَطايَاىَ (١٣٣٣)؟ فقال رسول الله ﷺ: (**نعم، إن قُتِلتَ فى سبيل الله، وأنت صابر مُحتَسِبٌ مُقْبِلٌ غير مُدْبر** (١٣٣٤)) ثم قال رسول الله ﷺ: (**كيف قُلتَ** (١٣٣٥)؟) قال: أرأيت إن قُتلتُ فى سبيل الله أتُكَفَّرُ عنِّى خطاياى؟ فقال رسول الله ﷺ: (**نعم. إن قُتلتَ وأنت صابر مُحتَسِبٌ مُقبلٌ غير مُدبرٍ إلاَّ الدينَ ، فإن جبريل قال لى ذلك** (١٣٣٦)).

[رواه مسلم وغيره]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**يُغْفَر للشهيد كُلُّ ذَنْبٍ إلاَّ الدَّيْن**). [رواه مسلم]

أى: أن الله تبارك وتعالى يغفر له جميع الذنوب التى تتعلق بحق الله عز وجل من الصغائر والكبائر .. وأما ما يتعلَّق بحقوق الآدميين من دَيْن ونحوه فلا يسقط إلا بتجاوزهم عنها .

ولهذا، فقد قال الإمام النووى فى كتابه (رياض الصالحين) تحت عنوان: (باب التوبة): قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين

(١٣٣٢) معناه: أعلمنى أو أخبرنى .

(١٣٣٣) أى: جميعها بحيث لا يبقى علىَّ منها شىء .

(١٣٣٤) يعنى: إن قتلت وأنت على تلك الحال من الصبر على مُرِّ الجهاد وهوله ومن احتساب ذلك عند الله وادخار ثوابه عنده، ومن الإقبال والهجوم على العدو وعدم الفرار والهزيمة كنت بذلك مستحقًا لأن يغفر لك كل ذنب.

(١٣٣٥) طلب منه عليه السلام أن يُعيد عليه السؤال مرة أخرى .

(١٣٣٦) يعنى: أن جبريل أمرنى أن أستثنى الدَّين من الذنوب التى تُكفِّرها الشهادة.

العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط: أحدها: أن يُقلعَ عن المعصية، والثانى: أن يندم على فعلها، والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبدًا .. فإن فقد أحدَ الثلاثة لم تَصِحَّ توبته ـ ثم يقول ـ: وإن كانت المعصية تتعلَّق بآدمىٍّ فشروطها أربعة هذه الثلاثة ـ أى الماضية ـ وأن يَبْرأ من حَقِّ صاحبها، فإن كان مالاً أو نحوه رَدَّه إليه ، وإن كان حَدَّ قذف ونحوه مَكَّنَه منه (١٣٣٧) أو طلب عفوه، وإن كان غيبة ـ أو نميمة ـ استحلهُ منها (١٣٣٨) ـ ثم يقول: ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها: صَحَّت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقى.

وعلى هذا .. فإنه ينبغى على الأخ المسلم وعلى الأخت المسلمة.. أن يلاحظا هذا بصفة خاصة .. حتى يسارِعَا بسداد ديونهما .. (وقد) قرأتُ لأحد الصالحين قوله: (العجلة من الشيطان إلا فى خمسة أشياء فإنها من السنة: إطعام الضيف إذا دخل، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدَّين، والتوبة من الذنب).

(وعليهما) أيضًا أن يحرصا على الشهادة فى سبيل الله (فعن) أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**ما أحَدٌ يدخلُ الجنة يُحب أنْ يرجعَ إلى الدنيا، وإن له ما على الأرض من شىء** (١٣٣٩) **إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجعَ إلى الدنيا فيُقتَلَ عشرَ مرات** (١٣٤٠) **لما يرى من الكرامة** (١٣٤١)) وفى رواية (**لما يرى من فضل الشهادة**). [رواه البخارى ومسلم والترمذى]

نسأل الله تعالى أن يكرمنا بها .. اللهم آمين،،

(١٣٣٧) أى: مكَّنه من نفسه كما فعل أبو ذر رضى الله عنه وكان قد قال لسيدنا بلال: يا بن السوداء .. فلما علم النبى ﷺ بهذا، حزن وتألم .. ثم قال لأبى ذر: أعَيَّرتَهُ بأُمه إنك امرؤ فيك جاهلية ـ أى: لا زالت فيك رواسب الجاهلية ـ فما كان من أبى ذر إلا أن وضع خَدَّه على الأرض ثم طلب من بلال أن يطأ وجهه بقدمه عقابًا له.. وتأديبًا له .. ولكن بلالاً أبَى وعفَا عن صاحبه .

(١٣٣٨) أى: طلبَ منه المسامحة .. بدون سرد للتفاصيل حتى لا يُحيى الخلافات التى من الأفضل عدم التذكير بها حتى تُنسى .

(١٣٣٩) أى: وإن له الدنيا وما فيها.

(١٣٤٠) ولا مفهوم للعدد بل المراد التكثير فلعله يتمنى أكثر من ذلك .

(١٣٤١) أى: كرامة الشهيد على الله وعظيم منزلته عنده .

(٩٠) لماذا قلتَ: وجبَتْ عندما مرَّتْ جنازةُ الصالح ولماذا قلتَ: وجبَتْ عندما مرَّتْ جنازةُ الطالح .. يا رسول الله؟

عن أبى هريرة ﷺ قال:مَرُّوا على النبى ﷺ بجنازة، فأثنَوْا عليها خيرًا، فقال: (**وجَبت**)، ثم مَرُّوا بأُخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: (**وجبت**) ثم قال: (**إن بعضكم على بعضٍ شهيدٌ**). [رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه]

وعن أنس ﷺ قال: مُرَّ بجنازة فأُثْنىَ عليها خيرٌ، فقال نبى الله ﷺ: (**وجَبتْ وجَبتْ وجَبتْ**)، وَمُرَّ بجنازة فأثْنىَ عليها شَرٌّ، فقال نبى الله ﷺ: (**وجَبَتْ وَجَبتْ وَجَبَتْ**)، فقال عمر: فداك أبى وأُمِّى، مُرَّ بجنازة فأُثنى عليها خيرٌ، فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومُرَّ بجنازة فأُثْنىَ عليها شَرٌّ فقلتَ: وَجبَتْ وجَبَتْ وجَبَتْ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**من أثنيتُم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومَنْ أثنيتُم عليه شَرّاً وجبت له النارُ، أنتم شهداء الله فى الأرض**).

[رواه البخارى ومسلم واللفظ له والترمذى والنسائى وابن ماجه]

(وقد) قرأتُ تعليقًا على هذا الحديث [١٣٤٢] جاء فيه: أن هذا مخصوص بالصحابة رضى الله عنهم لأنهم جميعًا عُدول لا ينطقون إلا بالحكمة، (وقيل): بل هم ومَن كان على صفتهم فى الإيمان . (وقال) النووى: قيل هذا مخصوص بمن أثنى عليه أهل الفضل ، وكان ثناؤهم مُطابقًا لأفعاله ، فهو من أهل الجنة، والصحيح أنه على عمومه وإطلاقه، وأن أىَّ مسلم مات فألهم الله الناس أو مُعظمهم الثناء عليه. كان ذلك دليلاً على أنه من أهل الجنة سواء كانت أفعاله تقتضى ذلك أم لا، فإلهام الله تعالى الثناء عليه دليل على أنه شاء المغفرة له، وبهذا تظهر فائدة الثناء، وإلا فإذا كانت أفعاله مقتضية للجنة لم يكن للثناء فائدة .

(١٣٤٢) فى الجزء الرابع من (الترغيب والترهيب) للمنذرى ص٦٥٣ وما بعدها (هامش)، باب الترغيب فى الدعاء للميت وإحسان الثناء عليه.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يَحرصَا على أن يكونا من أهل الخير .. وحتى يفوزا بثناء الصالحين فى حياتهم وبعد مماتهم .. فيكونا بسبب هذا إن شاء الله أهلاً لدخول الجنة .. ـ كما جاء فى نص الحديث الأخير ـ بالإضافة إلى ما ورد (عن) أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الأدنين** [١٣٤٣] **إنهم لا يعلمون إلا خيرًا، إلا قال الله : قد قبلتُ علمكم فيه**[١٣٤٤] **، وغَفَرتُ له ما لا تعلمون** [١٣٤٥]). [رواه أبو يعلى وابن حبان فى صحيحه]

والله الموفِّق للخير الذى نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً له، اللهم آمين،،

(٩١) هل فى المال حَقٌّ سِوَى الزكاة .. يا رسول الله؟

عن فاطمة بنت قيس ﷺ قالت: سألتُ أو سُئل النبى ﷺ عن الزكاة، فقال: **إن فى المال لَحقًّا سوى الزكاة، ثم تلا: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾** الآية [١٣٤٦] . [رواه الترمذى]

(ففى) هذا الحديث الشريف ـ موضوع الفتوى ـ يُجيبُ النبى ﷺ بأن المال فيه حق آخر غير هذا الحق المعلوم الذى يُعطى للفقراء والمساكين ـ وغيرهم من المذكورين فى الآية رقم ٦٠ من سورة التوبة [١٣٤٧] ـ وذلك بعد بلوغ النصاب وتمام الحَوْل .. الخ.

وإذا كان النبى ﷺ بعد تلك الإجابة قد تلا آية البر التى جمعت على إيجازها جميع مكارم الأخلاق..(فقد) جمعت بين الإيمان والعمل، وبين حقوق الله وحقوق العباد، وبين جهاد النفوس وجهاد الأعداء، وبين صلاح الأفراد والجماعات.

(١٣٤٣) أى: الأقربين منه المجاورين له .

(١٣٤٤) يعنى: قبلت عمله الذى شهدتم به بناء على علمكم به .

(١٣٤٥) أى: وغفرت له ما خفى عليكم من ذنوبه وقبائحه.

(١٣٤٦) رقم ١٧٧ من سورة البقرة .

(١٣٤٧) وهى التى أولها: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين . .) .

(ولهذا) فقد رأيتُ حتى ننتفع بهذه الآية الكريمة أن أقف مع الأخ المسلم على أهم ما يتعلق بهذه الآية من تفسيرات (١٣٤٨) ، (فقد) قرأتُ: أن (البرَّ) بالنصب والرفع قراءتان سبعيتان.. فمن نصب: جعله خبرًا لليس مقدمًا، (وأن تُوَلُّوا): فى تأويل مصدر اسمها مؤخر .. (ومَن) رفع: جعله اسمها، وأن تُولُّوا خبرها.

وأن البرَّ: اسم جامع لكل خير، كما أن الإثم جامع لكل شر.

وقد نزلت هذه الآية رَدًا على اليهود والنصارى ، فقد زعم النصارى أن البرَّ فى استقبال جهة طلوع الشمس .. وزعم اليهود: أن البرَّ فى استقبال بيت المقدس .. فالمراد بالمغرب ما عدا المشرق، فيشمل جهة الشمال .. وقِبَل بكسر القاف وفتح الباء: ظرف مكان معناه جهة، وقيل: نزلت رَدًا على المسلمين .. وكانوا فى صدر الإسلام قد أُمروا بالإيمان بالله والصلاة فقط لأى جهة كانت .. فالمعنى: ليس كما تعتقدون أنه مقصور على الإيمان والصلاة فقط، بل هو من جميع هذه الخصال، والأظهر الأول.

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾: أى ذَا البرِّ. وقُرِئ بفتح الباء، أى البار.

﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾: أى صدَّق بقلبه ونطق بلسانه أن الله يجب له كُل كمالٍ ويستحيل كل نقص .

﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾(١٣٤٩): أى ما يتعلق به من الحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار وما فيهما من الثواب والعقاب .

﴿وَالْمَلائِكَةِ﴾: أى أنهم عباد مُكرمون، وأنهم أجسام نورانية لا يُوصفون بذكورة ولا أنوثة، ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم]

﴿وَالْكِتَابِ﴾: أى الكتب المنزَّلة من عند الله على أنبيائه. (وهى) القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى .. (والمطلوب) من الأخ المؤمن والأخت المؤمنة: أن يؤمنا بجميع الكتب المنزلة، وأن يعملا بالقرآن وحده

(١٣٤٨) كما جاء فى (التفسير الوسيط) بتصرف .

(١٣٤٩) البقرة: ١٧٧ . وقد سُمِّى يوم القيامة باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده .. فهو آخر يوم .

.. لأن القرآن هو الكتاب الوحيد الذى تكفل الله تعالى بحفظه .. فهو القائل سبحانه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١٣٥٠] أى: لحافظون له من التحريف الذى حدث بالنسبة للكتب المنزلة الأخرى.

﴿وَالنَّبِيِّينَ﴾: أى إجمالاً فى الإجمالى، وتفصيلاً فى التفصيلى .. (فيجب) الإيمان بخمسة وعشرين منهم[١٣٥١] ـ مع حفظ أسمائهم ـ وهم المذكورون فى القرآن الكريم ـ وإلى هذا يشير أحدهم فى قوله:

حتمًا على كل ذى التكليف معرفة
بأنبياء على التفصيل قد عُلِمُوا
فى تلك حُجتنا[١٣٥٢] منهم ثمانيةٌ
من بعد عشرٍ ويبقى سبعة وهُموا
إدريسُ، هودُ، شُعيبٌ، صالح، وكذا
ذو الكفل[١٣٥٣] آدمُ بالمختار[١٣٥٤] قد خُتِمُوا

﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾: أى: على حبه للمال، بأن يُعطيه مع كونه يحبه لنفسه، ويُحتمل أن المعنى مع حبه لله بأن يعطيه مع كونه يحب الله، وكُلٌّ صحيح .

﴿ذَوِي الْقُرْبَىٰ﴾: أى القرابة، فإعطاء الأقارب مُقدَّم لأن فيه قُربَتين: الصدقة وصلة الرحم، روى النسائى وغيره عن النبى ﷺ قوله: (**إنَّ الصدقةَ على المسكين صدقةٌ، وعلى الرَّحِم اثنتان: صدقة وصِلَة**). وروى الطبرانى عن النبى ﷺ قوله: (**إنَّ الصدقةَ على ذى قرابةٍ يُضَعَّف أجرُها مرتين**) .

﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: أى الفقراء منهم ـ واليتيم هو من مات أبوه وهو دون البلوغ

(١٣٥٠) الحجر: ٩ .
(١٣٥١) بالإضافة إلى جميعهم.
(١٣٥٢) أى: فى الآية رقم ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦ من سورة الأنعام.
(١٣٥٣) وهو نبى من الأنبياء عليهم السلام كما جاء فى الآية ٨٥ من سورة الأنبياء .
(١٣٥٤) وهو الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

ذكرًا كان أم أنثى ـ فالبرُّ بهم عطف عليهم ورعاية لهم، وهم أَوْلَى بالعطف والرعاية عِوَضًا عما فقدوا من الآباء، وقد أعظم النبى ﷺ فضل كافل اليتيم، فقال: (**أنا وكافلُ اليتيم فى الجنة هكذا، وأشارَ بسبَّابته والوسطى**).

[رواه البخارى وغيره]

(وقد) عُنِى الإسلام بالحض على رعاية الأيتام ليكونوا ـ فى مستقبلهم ـ نافعين لأنفسهم وأمتهم، بدل أن يُهملوا، فينشأوا وفى أنفسهم عُقد نفسية فيكون منهم اللصوص وقطاع الطريق والفاسدون والمفسدون، ولذلك يقول تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ** ﴾(●).

﴿**وَالْمَسَاكِينَ**﴾: وهم الذين لا يجدون ما يحفظ حياتهم إلا بشقِّ الأنْفس، ومن كان عمله لا يفى بحاجته فهو مسكين، قال تعالى: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ** ﴾ (●●). (وفى) الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**ليس المسكينُ بهذا الطوَّاف الذى تردُّه التمرةُ والتمرتان، واللقمةُ واللقمتان، ولكن المسكينَ الذى لا يَجِد غِنىً يُغنيه، ولا يُفطَنُ له فيتصدَّقُ عليه**) .

﴿**وَابْنَ السَّبِيلِ**﴾: أى المسافر الغريب ولو (غَنِيًا) ببلده. (ويُشترط) فى استحقاقه: أن يكون سفره مباحًا ـ أى: سفر طاعة لا سفر معصية ـ.

﴿**وَالسَّائِلِينَ**﴾: وهم الذين يسألون الناسَ، والسائل ينبغى أن تُعطيه إلا إذا تحقَّقْتَ أنه غير محتاج . (وقد) ورد فى الحديث: (**أَعْطُوا السائلَ ولو جاء على فَرس**). [رواه أبو داود بسند حسن](١٣٥٥)

﴿**وَفِي الرِّقَابِ**﴾: أى المكاتَبين ليستعينوا على فَكِّ رقابهم من الرِّقِّ (١٣٥٦)، والأسْرى ليستعينوا على خلاص أنفسهم من الكفرة.

(●) سورة البقرة: آية ٢٢٠.

(●●) سورة الكهف: آية ٧٩.

(١٣٥٥) بلفظ: (للسائل حق وإن جاء على فرس) .

(١٣٥٦) أى: العبودية.

﴿وَأَقَامَ الصَّلاَةَ﴾: بأركانها وشروطها .

﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾: أى المفروضة لمستحقيها .

﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾: أى إذا عاهدوا الله أو الناس ـ والموفون: معطوف على مَن آمَن، والتقدير: ولكن البر المؤمنون والموفون .. قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾(١٣٥٧) وروى البخارى أنه ﷺ قال: (آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حَدَّثَ كذبَ، وإذا وعد أخلَفَ، وإذا اؤتمنَ خانَ) . (وقد) ضرب النبى ﷺ أروع مَثَل على هذا ـ فى صلح الحديبية ـ فى الوفاء بالعهد، على الرغم مما كان فيه من إجحاف المسلمين ، فعوَّضه الله بسبب هذا الوفاء وأثابه فتحًا مبينًا .

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾: نصب على المدح، أى: بفعل محذوف تقديره وأمدح الصابرين وخصهم بالذكر لأن الصبر يزين العبادة، وتركه يشينها.

﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾: أى: فى الفقر والشدة، فلا يشكون لأحد غير الله لأنه سبحانه وتعالى يحب الملحِّين فى الدعاء .

﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: أى: حين الجهاد فى سبيل الله، وأطلق عليه ذلك لما فيه من البأس أى الشدة: فلا يفر من الأعداء.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾: أى: فى إيمانهم وادعاء البر .

والصدق هنا: هو الإخلاص، ويُطلب فى العبادات والمعاملات .

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾: أى: الكاملون فى التقوى .

والتقوى: المراد بها الخوف من الله تعالى، فإذا امتلأ بها قلب العبد أخلص لربه فى السر والعلن، والغضب والرضا، والحب والبغض، واليسر والعسر.

(هذا) وإذا كانت آية البر قد خُتمت بقوله تعالى فى وصف أهل البر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ .

فقد رأيت حتى نحرص على أن نكون منهم إن شاء الله أن أقف مع الأخ

(١٣٥٧) الإسراء من الآية ٣٤ .

المسلم على وصف المتقين كما وصفهم الإمام على كرم الله وجهه .. يوم أن قال أحدهم: يا أمير المؤمنين صف لى المتقين حتى كأنى أنظر إليهم.

فقال عليه رضوانُ الله تعالى: (**إن الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيّاً عن طاعتهم، آمنًا من معصيتهم لأنه لا تضره معصية مَن عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، فقسم بينهم معيشتهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم**).

ثم يقول:(**فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، لا يرضون من أعمالهم بالقليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون**).

(ومن) علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى دين، وحزمًا فى لين، وإيمانًا فى يقين، وحرصًا فى علم، وعلمًا فى حلم، وقصدًا فى غنىً، وخشوعًا فى عبادة، وتجملاً فى فاقة، وصبرًا فى شدة، وطلبًا فى حلال، ونشاطًا فى هُدًى، وتحرُّجًا عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وَجَل ، يمسى وهمُّه الشكر، ويُصبح وهمُّه الذكر، يمزج الحلم والعلم، والقول بالعمل، تراه قريبًا أمله، قليلاً زَلَلُه، خاشعًا قلبه، قانعة نفسه، مكظومًا غيظه، ميتة شهواته، الخير فيه مأمول، والشر فيه مأمون، يعفو عمن ظلمه، ويعطى من حرمه، ويصل مَن قطعه، بعيدًا فُحشُه، بيِّنًا قوله، غائبًا مُنكره، حاضرًا معروفه، مقبلاً خيره، مُدبرًا شره، فى الزلازل وقور، وفى المكاره صبور، وفى الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يُحب، يعترف بالحق قبل أن يُشهَدَ عليه، لا يدخل فى الباطل، ولا يخرج من الحق، نفسه منه فى عناء، والناس منه فى راحة، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناسَ من نفسه، بُعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخدعة

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام، ونفذ المراد من هذه الفتوى من خلال تنفيذ ما جاء فى آية البر من أبواب الخير المفتوحة على الدوام .. واحرص كل الحرص على أن تكون من أهل الصدق ومن أهل التقوى .. حتى تكون من أهل المغفرة إن شاء الله تعالى . والله ولى التوفيق،،

(٩٢) أخْبِرنا يا رسولَ الله عن الحلالِ والحرامِ وما بينهما من أمورٍ؟

عن النعمان بن بشير ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إنَّ الحلالَ بيِّن، وإنَّ الحرامَ بيِّن، وبينهما أمور مُشتَبَهاتٌ، لا يعلمهُنَّ كثير من الناس، فمن اتَّقَى الشُّبُهَات فقد استبرأ لدينه** (١٣٥٨) **وعرضه، ومَن وقع فى الشّبُهات وقع فى الحرام، كالراعى يَرعَى حولَ الحمىَ** (١٣٥٩) **يوشكُ** (١٣٦٠) **أن يرتعَ فيه، ألاَ وإن لكُلِّ مَلك حمًى، ألا وإن حمىَ الله محارمُهُ، ألا وإن فى الجسد مُضْغَةً، إذا صلُحتَ صَلُح الجسدُ كُلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كُلُّه، ألاَ وهِىَ القلبُ**). [رواه البخارى ومسلم]

فهذا الحديث الشريف المتفق عليه .. من الأحاديث الهامة التى تُبنَى عليه أحكام الإسلام كُلّها.. (وذلك) (١٣٦١): لأن الرسول ﷺ فيه قسَّم الأحكام إلى حلال بيِّن .. أى: بيَّنته الشريعة فى نصوصها، وإلى حرام بيِّن بيَّنته الشريعة كذلك .. وإلى أُمور أُخرى اشتبه على كثير من الناس حكم الله تعالى فيها، وهى من المتشابهات التى ينبغى على المسلم الورع اتقاؤها، صيانةً لدينه وعِرْضه .. كما بيَّن ﷺ كذلك فى ختام هذا الحديث أن مدار صحة الأديان والأبدان على صلاح القلب، وسلامته من الآفات .. (وقد) قرأت أنه كالملك بالنسبة للرعية إذا صلح صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت الرعية .

ولهذا،فقد قال عنه الإمام النووى فى شرح مسلم: أجمع العلماء على عِظم وقع هذا الحديث، وكثرة فوائده، وأنه أحد الأحاديث التى عليها مدار

(١٣٥٨) أى: طلب البراءة من الخطأ والعار .

(١٣٥٩) الحمى: ما حماه الملك لنفسه من أرض، لا يسمح لأحد أن يدخلها إلا بإذنه .

(١٣٦٠) يوشك: أى يقرب أن يدخله ويرعى فيه إبله، أو ماشيته .. وهذا بالطبع سيُعَرِّضه لما لا يُحمد عقباه إن حدث هذا .

(١٣٦١) كما قال صاحب كتاب (الفقه الواضح) في الجزء الأول ص ٢١ وما بعدها.

الإسلام [١٣٦٢] . ا هـ.

(وقد) قرأت كذلك حول شرح هذا الحديث [١٣٦٣] العظيم كلامًا هامًا فى (الأربعين النووية)، جاء فيه:

(قوله ﷺ: **إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات .. الخ**): اختلف العلماء فى حَدِّ الحلال والحرام .. فقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: الحلال ما دَلَّ الدليل على حِلِّه . وقال الشافعى رضى الله عنه: الحرام ما دل الدليل على تحريمه .

(وقوله ﷺ: **وبينهما أمور مُشتبهات**): أى بين الحلال والحرام أمور مشتبهة بالحلال والحرام .. فحيث انتفت الشبهة انتفت الكراهة.. وكان السؤال عنه بدعة .. وذلك إذا قدم غريب بمتاع يبيعه فلا يجب البحث عن ذلك، بل ولا يستحب، ويكره السؤال عنه .

(وقوله ﷺ: **فمن اتقى الشُّبُهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه**): أى طلب براءة دينه وسلَمَ من الشّبهة .. وأما براءة العرض، فإنه إذا لم يتركها تطاول إليه السُّفهاء بالغيبة، ونسبوه إلى أكل الحرام .. فيكون مَدعاة لوقوعهم فى الإثم .. وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفَنَّ مواقف التُّهَم**).

وعن علىٍّ رضي الله عنه قال: (**إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فَرُبَّ سامع نُكْرًا لا تستطيع أن تُسمعَهُ عذرًا**) .. وفى صحيح الترمذى أنه عليه الصلاة والسلام قال: (**إذا أحدث أحدكُم فى الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف**)، وذلك لئلا يقال عنه أحدث [١٣٦٤] .

وقوله عليه الصلاة والسلام: (**فمن وقع فى الشّبهاتِ وقع فى الحرام**): يحتمل أمرين، أحدهما:أن يقع فى الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام . والثانى:

(١٣٦٢) جـ ١١ ص ٤٧ .

(١٣٦٣) رقم ٦ فى شرح الأربعين النووية الطبعة السادسة شركة الشمرلى ـ القاهرة .

(١٣٦٤) أى: أخرج ريحًا ـ مثلاً .

أن يكون المعنى قد قارب أن يقع فى الحرام .. كما يُقال: المعاصى بريد الكفر .. لأن النفس إذا وقعت فى المخالفة تدرَّجت من مفسدة إلى أُخرى أكبر منها .. قيل: وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿**وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ (١٣٦٥)، يُريد أنَّهم تدرَّجوا بالمعاصى إلى قتل الأنبياء، وفى الحديث: (لعن الله السارقَ يسرق البيضةَ فتُقطع يده، ويسرق الحبل فتُقطع يده) أى: يتدرج من البيضة والحبل إلى نصاب السرقة .. (والحمى): ما يحميه الغير من الحشيش (١٣٦٦) فى الأرض المباحة .. فمن رَعى حول الحمى يقرب أن تقع فيه ماشيته فيرعى فيما حماه الغير بخلاف ما إذا رعى إبله بعيدًا من الحمى .

ثم بعد ذلك يقول الإمام النووى: (واعلم): أن كل مُحَرَّم له حِمىً يُحيط به،فالفرج محرم، وحماه الفخذان لأنهما جُعلا حريمًا للمحرَّم .. وكذلك الخلوة بالأجنبية حِمىً للمحرم.. فيجب على الشخص أن يجتنب الحريم والمحرم.. فالمحرم حرام لعينه، والحريم محرَّم لأنه يندرج به إلى المحرَّم .

وقوله ﷺ: **(أَلاَ وإنَّ فى الجسد مُضْغَةً .. الخ)** (١٣٦٧): أى فى الجسد مضغة إذا خشَعت خشعت الجوارح، وإذا صلحت صلحت الجوارح، وإذا فسدت فسدت الجوارح .. ثم يقول:

قال العلماء: البدن مملكة النفس ومدينتها، والقلب وسط المملكة، والأعضاء كالخدم، والقُوى الباطنة كضياع المدينة، والعقل كالوزير المشفق الناصح به، والشهوة كطالب أرزاق الخُدَّام، والغضب صاحب الشرطة، وهو عبد مكَّار خبيث يتمثل بصورة الناصح، ونُصحه سُمٌّ قاتل، ودأبه أبدًا منازعة الوزير الناصح .. والقوة المخيلة فى مقدم الدماغ كالخازن .. والقوة المفكرة فى وسط الدماغ، والقوة الحافظة فى آخر الدماغ، واللسان كالترجمان، والحواس الخمسة جواسيس وقد وُكِّل كُلُّ واحدٍ منهم بصنيع من الصناعات .. فوكل العين: بعالم

(١٣٦٥) آل عمران: من الآية ١١٢ .

(١٣٦٦) أى: الذى ترعاه الأنعام .

(١٣٦٧) من حديث رواه البخارى ومسلم .

الألوان، والسمع: بعالم الأصوات .. وكذلك سائرها.. فإنها أصحابُ الإخبار .

ثم قيل: هى كالحجبة توصل إلى النفس ما تدركه .. وقيل: إن السمع والبصر والشَّمَّ: كالطاقات تنظر منها النفس .. فالقلب هو الملك .. فإذا صلح الراعى صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت الرعية .. وإنما يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنة كالغلِّ والحقْد، والحسَد، والشُّحِّ، والبُخل، والكِبْر، والسُّخرية، والرياء، والسمعة والمكر، والحرص، والطمع، وعدم الرضى بالمقدور .. ثم يقول: وأمراض القلب كثيرة تبلغ نحو الأربعين .. عافانا الله منها وجعلنا ممن يأتيه بقلب سليم .. اللهم آمين .

هذا ، وأحبُّ بعد أن وقفنا على هذا الكلام الطيب الذى قاله الإمام النووى عليه رحمة الله .. أن أقف مع الأخ القارئ .. على أهم الحقائق المتعلقة بهذا الحديث العظيم .. كما جاء فى (الفقه الواضح) الجزء الأول: حيث يقول:

(أ) الحلال ـ عند جمهور الفقهاء ـ هو المباح الذى لم يرد دليل من الشرع يُحرِّمه .

(ب) والحرام: هو المحظور، الذى ورد دليل من الشرع يُحرمه .. ثم يقول:

وتحت هذين التعريفين أربع حقائق:

الحقيقة الأولى: أن الأصل فى الأشياء الإباحة [١٣٦٨]. فكل شىء لم ينص الشارع على تحريمه، فهو حلال، لا نسأل عنه:

قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ الله فرضَ فرائضَ فلا تُضيِّعوها، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرَّمَ أشياءَ فلا تنتهِكُوها [١٣٦٩]، وسكتَ عن أشياءَ رحمةً لكم غَيْرَ نسيانٍ ، فلا تبحثُوا عنها)**.

[رواه الدارقطنى وغيره بسند حسن، وصححه ابن الصلاح]

(١٣٦٨) هذا مذهب أكثر العلماء، ويرى بعضهم العكس.

(١٣٦٩) أى: فلا تدخلوا فيها: (الحديث الثلاثون) من الأربعين النووية. وهو من جوامع كلمه ﷺ .. وليس فى الأحاديث الشريفة حديث أجمع لأصول الدين وفروعه منه .. لأنه ﷺ قسم فيه أحكام الله تعالى إلى أربعة أقسام: فرائض، ومحارم، وحدود، ومسكوت عنه، وذلك يجمع أحكام الدين كلها .. كما قال النبراوى فى شرح هذا الحديث .

الحقيقة الثانية: أن الحلال: ما أحلَّه الله ورسوله، لا ما أحلَّه الإنسان بعقله وهواه .. (وأن) الحرام: ما حرمه الله ورسوله، لا ما حَرَّمه الإنسان بعقله وهواه .. (وعلى) هذا، فإنه لا يجوز لأحد كائنًا مَن كان، أن يقول فى دين الله ما لم يَقُلْه الله ورسوله، وأن يُفتِىَ فى دينه بغير علم، ولا هُدًى، ولا كتاب منير .. فإن القول على الله ـ بغير علم ـ افتراء عظيم، وجرم كبير.

ثم يقول (١٣٧٠): ولقد شدد الله النكير على كل مَن تُسوِّل له نفسه الأمَّارة بالسوء أن يتجرَّأ على الفُتيا بغير علم، طمعًا فى دنيا يُصيبها، أو جاه يحصل عليه، أو منصب يعتليه، أو ليُقال: إنه عالم، أو خوفًا من أن يُقال: إنه جاهل.

فقال جَلَّ وعلا فى سورة الأعراف: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾. [الآية: ٣٣]

وقال تعالى فى سورة يونس: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ * وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ** ﴾ [الآية: ٥٩ ـ ٦٠]

وقال تعالى فى سورة النحل: ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾. [الآية ١١٦ ـ ١١٧]

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ كَذب علىَّ مُتعمدًا، فليتبوأ مقْعده من النار**). [رواه البخارى ومسلم وغيرهما، وهذا الحديث قد رُوِى عن غير واحد من الصحابة فى الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ التواتر (١٣٧١)، والله أعلم]

(١٣٧٠) فى الفقه الواضح .

(١٣٧١) الحديث المتواتر هو ما رواه جماعة يستحيل فى العادة تواطؤهم على الكذب عن مثلهم حتى يبلغوا به النبى ﷺ (هامش الترغيب والترهيب) ج١ ص ١٢٠ .

ثم يقول: فاربأ بنفسك أيها المسلم، أن تقول فى دين الله بغير علم، مهما كان مشربك، ومهما كان شأنك ومنصبك، حتى ولو كنتَ مُتخرجًا فى جامعة الأزهر، إمامًا فى مسجد، أو شيخًا فى معهد، حتى لا تقع تحت هذا الوعيد، ويحق عليك غضب الله ورسوله، أعاذنا الله وإياك منه.

(ولقد كان) أصحاب رسول الله ﷺ يتحرجون من الإفتاء فى دين الله أشد التحرج، إلى الحد الذى كان أحدهم إذا سأله سائل عن مسألة فى دين الله اهتز واضطرب وأحاله إلى غيره، فقال: اذهب إلى فلان فإنه أعلم منى .. وهكذا كان يصنع التابعون .

فقد رُوى: أن كُلَّ فقيه من الفقهاء المشهورين، كان يقول بعد تقرير حكم الله فى المسألة: هذا ما وصل إليه علمى، فإن وجدتم فى كتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ ما يخالف قولى، فخذوا به، واضربوا بقولى عُرضَ الحائط .

وقيل: إن الإمام مالكًا رضي الله عنه سُئل عن مائة مسألة، فأجاب عن أربعة منها، وقال فى الباقيات: الله أعلم . فعُوتبَ فى ذلك، فقال: من قال: الله أعلم، فقد أفتَى .. (وهو) بهذا يريد أن ينجو بنفسه من غضب الله وعذابه.

وقال علىٌّ كرم الله وجهه: احفظوا عنِّى خمسًا، لو شددتُم إليها المطايا، لم تظفروا بمثلها: ألا لا يَرجُونَّ أحدكُم إلاَّ ربَّه، ولا يخافنَّ إلا ذَنبه، ولا يَسْتَحى أحدُكُم إذا لم يعلَمْ أنْ يتعلَّم، وإذا سُئلَ عما لاَ يَعْلَمْ أن يقُولَ: لاَ أعْلَمُ. ألا وإنَّ الخامسةَ الصبر، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأسِ من الجسد، فمن لا صبر له، لا إيمانَ له .

الحقيقة الثالثة: أن الله تبارك وتعالى ما أحلَّ لعباده إلا الطيبات، وما حرم عليهم إلاَّ الخبائث:

قال تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)﴾. [البقرة]

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ .. (٤)﴾ [المائدة]

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ[١٣٧٢] الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ (١٥٧)﴾. [الأعراف]

الحقيقة الرابعة: أنه لا يجوز للعبد أن يُحرِّمَ على نفسه شيئًا أباحه الله له من غير ضرورة، فإن ذلك يُعَدُّ اعتداءً على دينه، وتَعدِّيًا لحدوده.

قال جَلَّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨)﴾. [المائدة]

ثم بعد ذلك يقول[١٣٧٣] تحت عنوان:

المتشابه ودرجاته

بقى علينا ـ أيها المسلم الكريم ـ أن نتكلم عن المتشابه، فنذكر ما هو، وما موقف الورعين منه، فنقول:

المتشابه: ما اختلف الناسُ فى حلِّه لسبب من الأسباب المنصوص عليها فى كتب الفقه المطولة، كتعارض الأدلة، وذلك كأن يكون فى المسألة دليل يُفيد الحلَّ، ودليل يُفيد الحرمةَ، والدليلان متساويان فى الصحة .. أعنى ليس دليل أرجح من دليل، فتظل المسألة وسطًا بين الحلِّ والتحريم . فحينئذ يكون ترْك هذا المتشابه مطلوبًا شرعًا، وقاية للدين، وحمايةً للعِرْض، كما قال الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه فى الحديث المتقدم ـ الذى ندور حوله ـ: **(فمَنِ اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعِرْضه)** .

غير أن المتشابه على درجات .. فقد يكون قريبًا من الحلال، إذا دعت الضرورة إليه، واطمأن القلب لعمله . ويكون قريبًا من الحرام ـ إذا كان العكس

(١٣٧٢) الأمّى: قيل نسبة إلى إبراهيم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] وقيل: لُقِّب بذلك لأنه لم يقرأ ولم يكتب ـ وهذا هو الإعجاز ـ وقيل غير ذلك .

(١٣٧٣) أى: فى الفقه الواضح.

هو الصحيح ـ أى: إذا لم تكن هناك ضرورة إليه، وحدث فى الصدر شك فيه، وليست الضرورة هنا من قبيل الضرورات، التى تبيح المحظورات. وإلاَّ لما كان فى فعل المتشابه إثم، ولا كراهة. فقد قال الله عز وجل فى سورة البقرة: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾. [الآية ١٧٣]

وإنما هى الضرورة غير الملجئة، فلا يَغِبْ عن ذهنك ذلك، فإن لم يكن المتشابه قريبًا من الحلال، أو قريبًا من الحرام، كان وسطًا بينهما، وهو ما كثر فيه الخلاف، وعجز المرء عن الميل إلى أىٍّ من الآراء المتضاربة، ولم يجد فى قلبه اطمئنانًا لقول قائل، أو فتوى مُفْتٍ، ولم تقم ضرورة تُرجِّح فعله، أو تركه .

ثم يقول: وعلى كل حال، فإتيان المتشابه مكروه شرعًا . (والمكروه): ما طُلِب تركه طلبًا غير جازم، أى: غير مؤكد . (والناس فريقان): بَر، وفاجر .فالفاجر: هو المتجرئ على حرمات الله المتعدِّى لحدوده، المتهاون بوعد الله ووعيده (والبارُّ): هو المحافظ على حدود الله، المعتصم بدينه، الطامع فى رحمته، الخائف من عذابه.

ثم بعد ذلك يختم بكلام طيب لابد أن ننتفع به، فيقول تحت عنوان:

درجات الورعين

ذكر الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ فى الجزء الثانى من كتاب: (إحياء علوم الدين) أن درجات الورعين أربعة، سأذكرها لك بالمعنى، وبالأسلوب الذى يفهمه العامة، فأقول:

الدرجة الأولى: درجة العُدول، وهم الذين يتركون المحرمات كلها، ويقتصرون على المباحات.

الدرجة الثانية: درجة الصالحين، وهم الذين يتركون المتشابهات، خوفًا من الوقوع فى المحرمات.

الدرجة الثالثة: درجة المتقين، وهم الذين يتركون الجائزات خوفًا من أن تؤدِّى بهم إلى ارتكاب شىء من المحرمات.

قال رسول الله ﷺ: (**لا يبلغ العبدُ درجةَ المتقين، حتى يدع ما لا بأسَ به، مخافةَ ما به بأسٌ**) . [رواه ابن ماجه]

ورُوِى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: (كنا نترك سبعين بابًا من الحلال، مخافةَ أن نقع فى باب واحد من الحرام) . (والمعنى): كنا ولا زلنا، مثل قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ (١٣٧٤) .

الدرجة الرابعة: درجة الصِّديقين المقربين، وهم الذين يكتفون من دنياهم بما يسد الرمق ويستر العورة، ويجعلون الآخرة مبلغ همِّهم، ومنتهى بُغيتهم.

ثم بعد ذلك يقول أيضًا تحت عنوان:

المكروه فى عُرف الفقهاء

(أ) المكروه فى اللغة: ضد المحبوب .

(ب) والمكروه فى تعبير القرآن الكريم يُطلق على الشىء المحرم. قال تعالى: ﴿**كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا**﴾(١٣٧٥)(وقد) جرى على ألسنة الفقهاء المتقدمين هذا الاستعمال، فكان يقول الفقيه منهم : هذا الشىء مكروه . أو أنا أكرهه، أى: أقول بحرمته.

لكن الفقهاء اصطلحوا أخيرًا على تسمية الشىء الذى لم يُطلب تركه طلبًا جازمًا، مكروهاً . أى: الذى طُلب من المسلم تركه دون أن ينذر على فعله بعقاب، وإلاَّ لو أُنذر على فعله بعقاب، لكان مُحرمًا .

(فالمكروه): ما يستحب للمسلم تركه حمايةً للدين، وصيانة للعِرْض، وطلبًا لمزيد الأجر والثواب، ولو فعله ما تعرض للعقاب .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يذكرا كل تلك الحقائق والدرجات .. حتى يكونا إن شاء الله تعالى من أهل الحلال .. لا من أهل الحرام، والعياذ

(١٣٧٤) النساء: من الآية ١٠٠.

(١٣٧٥) الإسراء: ٣٨ .

بالله .. (بل) وعليهما أن يذكرا دائمًا وأبدًا الحديث الصحيح [١٣٧٦] الآتى:

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمَر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا**﴾[١٣٧٧]. وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾ [١٣٧٨]، ثم ذكر الرجُلَ يُطيل السفر أشعث أغبر يَمدُّ يديه إلى السماء يا ربُّ يا ربُّ ومطعمه حرام، ومشربه حَرام، وملبسه حرام،وغُذِّىَ بالحرام، فأنَّى يُستجابُ له [١٣٧٩]) .

وهما يسألان الله تبارك وتعالى أن يجعلهما من أهل الحلال المستجاب لهم . والله ولى التوفيق،،

(٩٣) ما هو مَثَلُكَ ومَثَلُ أُمتكَ .. يا رسول الله؟

(عن) أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: (**إنما مَثَلى وَمثَلُ أُمتى كمثَل رجُل استوقد نارًا** [١٣٨٠] **فجعلت الدوابُّ** [١٣٨١] **والفَراشُ يَقَعْنَ فيها** [١٣٨٢]، **فأنا آخِذٌ بحُجزكم، وأنتم تَقْحمونَ فيها** [١٣٨٣]). [رواه البخارى ومسلم]

وفى رواية لمسلم: (**إنما** [١٣٨٤] **مثلى كمثل رجُل استَوْقَدَ نارًا فلمَّا أضَاءَتْ ما حولَهُ** [١٣٨٥] **جعل الفَراشُ وهذه الدوابُّ يقَعْن فيها** [١٣٨٦]، **وجعل**

(١٣٧٦) الذى رواه مسلم .

(١٣٧٧) المؤمنون: من الآية ٥١ .

(١٣٧٨) البقرة من الآية ١٧٢ .

(١٣٧٩) أى: كيف يستجيب الله تعالى له؟

(١٣٨٠) أى: أشعلها ليستضىء بها، أو ليضع عليها شيئًا.

(١٣٨١) كالبرغش والجندب.

(١٣٨٢) لأن هذه الأشياء تنجذب نحو الضوء.

(١٣٨٣) أى: يرمى نفسه فيها من غير روية وتثبت .. (وهذا بالنسبة للإنسان) .

(١٣٨٤) يعنى: إنما صفتى وشأنى العجيب فى إتيانى بالهدى ودعوتى إليه ومخالفة الناس لى ووقوعهم فى النار بسبب ذلك .

(١٣٨٥) من الأماكن والأشياء.

(١٣٨٦) يعنى: يتهافتن حولها ويسقطن فيها .

يَحْجُزُهُنَّ [١٣٨٧] **وَيَغْلِبْنَهُ فَيتَقَحَّمْنَ فيها . قال: فذلكُم مثلى ومثلُكُم** [١٣٨٨]، **وأنا آخذ بحُجُزِكُم عن النار، هَلُمَّ عن النار، هَلُمَّ عن النار** [١٣٨٩]، **فيغلبونى ويقتحمون فيها).**

(وعن) جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**مثلى ومثلكُم كمثل رجُل أوقد نارًا، فجعَل الجنادب والفَرَاش يقعْنَ فيها وهو يَذُبُّهُنَّ** [١٣٩٠] **عنها، وأنا آخِذٌ بحجُزِكُم عن النار، وأنتم تُفْلِتُونَ مِن يَدَىَّ** [١٣٩١]). [رواه مسلم]

فمن خلال مضمون هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة التى تدور حول مُرَاد واحد .. (يُشير) النبى صلوات الله وسلامه عليه إلى ملاحظة هامَّة ينبغى علينا نحن المؤمنين العقلاء .. أن نطيل النظر فيها .. وهى أن النبى ﷺ من يوم أن بُعِثَ ـ سواء كان هذا فى حياته الدنيوية، أم بعد مماته عن طريق هَديه المُتَوارَث عنه بالإضافة إلى الأساس القرآنى ـ وهو يدعونا إلى الله، الذى مَا خُلقنا أسَاسًا إلا من أجل طاعته .. بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه. (وذلك) بالترغيب فى الجنة .. والترهيب من النار .. (ولكننا) للأسف الشديد ـ إلا مَن رَحِم الله ـ لا ننجذب إلى الخير .. بل إلى النار التى يحرص صلوات الله وسلامه عليه على إبعادنا عنها، وعن الأسباب الموصِّلة إليها .. كما تشير الأحاديث الآتية:

(فعن) عَدِىٍّ بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(**اتقوا النار**) قال: وأشاح[١٣٩٢]، ثم قال: (**اتقوا النارَ**) ثم أعرضَ وأشاح ثلاثًا حتى ظَنَنَّا أنه ينظر إليها، ثم قال: (**اتقوا النار ولو بشِقِّ تمرة** [١٣٩٣]، **فمن لم يجد فبكلمة طيبة**) [رواه البخارى ومسلم]

(١٣٨٧) أى: يمنعهن من السقوط.

(١٣٨٨) أى: فذلك شأنى وشأنكم.

(١٣٨٩) أى: ابعدوا عنها ولا تقعوا فيها .

(١٣٩٠) أى: يدفعهن.

(١٣٩١) أى: تغلبونى وتجرون وراء الشهوات فتقعون فى النار .

(١٣٩٢) أشاح وجهه وبوجهه أعرض عنها .

(١٣٩٣) يعنى: ولو بنصف تمرة تتصدقون به .

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ (١٣٩٤) دعا رسول الله ﷺ قُريشًا فاجتمعوا (١٣٩٥) فَعمَّ وخَصَّ (١٣٩٦) فقال: (**يا بنى كعب بن لُؤَى أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى مُرَّة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذى نفسك من النار، فإنى لا أملك لكم من الله شيئًا**) (١٣٩٧).

[رواه مسلم واللفظ له، والبخارى والترمذى والنسائى بنحوه]

(وعن) النعمان بن بشير ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول: (**أنذرتكم النار، أنذرتكم النار**) حتى لو أن رجلاً كان بالسوق (١٣٩٨) لَسَمِعَه من مقامى هذا حتى وقعت خميصة (١٣٩٩) كانت على عاتقه (١٤٠٠) عند رِجْلَيه (١٤٠١). [رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم]

(وكان) النبى ﷺ يرجو من وراء هذا التذكير إنقاذهم من نار جهنم .. ولكن بعضهم .. أو أكثرهم .. تفلَّت منه فكان مصيره بسبب عناده وإصراره على الكفر أن سقط فى النار - ومَثَله فى هذا كمثل الدواب والفراش التى كانت تتساقط فى النار - مع أن النبى ﷺ كان يحرص على إنقاذهم منها .. (ولكن) كما يقول الله تعالى فى قرآنه: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ**﴾ (١٤٠٢).

(١٣٩٤) أى: الأدنين لك إليك مبينًا لهم أنه لا يخلص أحدًا منهم إلا إيمانه بربه عز وجل، وهذه النذارة لا تنافى العامة بل هى فرد من أجزائها .. والآية فى سورة الشعراء رقم ٢١٤ .

(١٣٩٥) ليس هذا اللفظ موجودًا فى البخارى .

(١٣٩٦) أى: وجه دعوته إلى القبيلة العامة ثم أخذ يخص منها شيئًا بعد شىء .

(١٣٩٧) وتمام الحديث: (إلاَّ إن لكم رَحِمًا سأبلها ببلالها) .

(١٣٩٨) وهو المكان المعد للبيع والشراء .

(١٣٩٩) ثوب خز أو صوف معلَّم.

(١٤٠٠) أى: على منكبه أو عنقه .

(١٤٠١) والمراد أنه كان مجتهدًا فى الإنذار ورافعًا صوته به.

(١٤٠٢) القصص: من الآية ٥٦ .

(وكانت) مهمة الرسول ﷺ الأساسية هى التذكير المشار إليه فى قول الله تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ**﴾ أى: فذكِّر يا محمد عبادى، وبلِّغهم رسالتى، فإنما أرسلناك إليهم لتذكِّرهم وتعظهم ﴿**لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ**﴾ أى: لستَ عليهم بمسلَّط، ولا أنت بجبار تحملهم على ما تريد، فكلُّهُم إلىَّ، ودعهم وحُكمى فيهم ﴿**إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ**﴾ أى: إلا مَنْ تَوَلَّى منهم عنك، وأعرض عن آيات الله فكَفَر بها ﴿**فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ**﴾ أى: فيُعَذِّبه الله عذابَ جهنم فى الآخرة، على كفره بربه فى الدنيا ﴿**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ**﴾ أى: إن إلينا رجوعَهُم ومعادهم ﴿**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم**﴾ (١٤٠٣) أى: ثم إن على الله حسابهم، فيُجازيهم بما سلَف من معصية ربهم .

(ونحن) كذلك .. نحن الوعاظ الذين ورثوا الدعوة إلى الله عن رسول الله ﷺ لا نملك سوى هذا التذكير الذى لابد أن نستمر فيه وبإخلاص ـ إن شاء الله ـ إلى آخر لحظة فى حياتنا على أمل أن يُحقِّقَ الله تعالى الهداية على أيدينا .. ويوم أن يتحقق هذا .. فإنه حسبنا ..(فقد) ورد فى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ قال لعلى رضي الله عنه: (**فوالله لأَنْ يَهْدِىَ اللهُ بك رجُلاً واحدًا خيرٌ لك من حُمر النَّعَم**) (١٤٠٤) . وقال: (**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كان له من الأجر مثلُ أجور مَن تبعَهُ لا ينقُصُ ذلك من أجورهم شيئًا**) (١٤٠٥) .

(هذا) وإذا كان الله تعالى قد قال لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾(١٤٠٦)، فإننى أقول للإخوة الوعاظ بصفة خاصَّة: فما بالُكُم بالغافلين اللاهين الذين لا هَمَّ لهم إلا متاع الدنيا الزائل .. الذى ربما شُغلوا به عن طاعة الله .. وعن الصلاة بصفة خاصة . (إنهم) لا شك أوْلَى بالتذكير من غيرهم .

أسأل الله تعالى أن ينفعنا بهذا التذكير .. وأن يجعلنا من أهله ـ وعلى أساس من الإخلاص لله ـ لأنه ما كان لله دام واتصل .. وما كان لغير الله انقطع وانفصل .. اللهم آمين،،

(١٤٠٣) سورة الغاشية الآية ٢١ ـ ٢٦ والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف .

(١٤٠٤) ، (١٤٠٥) فى مقدمة (رياض الصالحين) للإمام النووى .

(١٤٠٦) الذاريات: ٥٥ .

(٩٤) يا رسولَ الله .. علِّمنا صلاةَ الاستخارة

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يُعلِّمنَا الاستخارةَ فى الأمور كُلِّهَا كما يُعلِّمنَا السورةَ من القرآن ، يقول:

(إذا هَمَّ أحدُكُم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقُلْ: اللهم إنى أستَخيرُكَ بعلمك وأستَقْدِرُكَ بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم، وأنت عَلاَّمُ الغيوب. اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمر خَيْرٌ لى فى دينى ومعاشى وعاقبةِ أمرى ، أو قال: عَاجِلِ أمرى وآجِلِه(١٤٠٧) ، فاقدره لى ويسِّره لى ، ثم بارك لى فيه، وإنْ كنتَ تعلم أن هذا الأمر شَرٌّ لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، أو قال: فى عاجل أمرى وآجله ، فاصْرِفْه عنِّى واصْرِفْنى عنه. واقدر لى الخير حيث كان، ثم أَرْضِنى به) قال: ويُسَمِّى حاجَتَه ، أى: يُسمى حاجته عند قوله: **(اللهم إنْ كانَ هذَا الأمر)**. [رواه البخارى]

(هذا) ، وإذا كان لى أن أدور حول هذا الحديث الصحيح الذى نحن جميعًا فى أشد الحاجة إلى معرفة المراد منه.. (والذى) تصورتُ نفسى أسأل رسول الله ﷺ نيابة عن جميع القراء من المسلمين والمسلمات أن يجيبنا عليه - مع الصلاة والسلام عليه - (فإننى) أرى أن نقف أولاً على المعنى المراد، من كلمة: (استخارة) ، فإن معناها: طلب الخير من الله تعالى فيما يُقصد من الأمور.. ولهذا فإنه يُقال: خار الله لك ، أى: أعطاك الله ما هو خير لك .

(وهى) لا تكون إلا فى الأمور المُباحة.. التى لا يُعرف وجه الصواب فيها كالسفر ، والتجارة ، والزواج ، والشَّرِكَة .. أما الواجب والمندوب .. فإن فعلهما لا يحتاج إلى استخارة .. بل ينبغى أن يفعلهما .. (وكذلك) المحرم والمكروه..

(١٤٠٧) أى: إن كان فى علمك أن هذا الأمر الذى أريده خير لى .. الخ. فالشك فى متعلق العلم لا فى أصله . والشك من الراوى . وفى رواية أحمد: فإن كنتَ تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى . بلا شك: فيُستحسن الجمع بينهما .

فإن تركهما لا يحتاج إلى استخارة .. وإنما ينبغى عدم فعلهما، ولقد كان النبى ﷺ يقول: (**اللهم إنى أسألك فِعْل الخيرات، وتَرْك المنكرات** ..)

وإذا كان لنا الآن أن ندور حول المعنى المراد ، متن:

صلاة الاستخارة المشروعة

فإن الكلام عنها ينحصر فى عدة مباحث ، وهى:

أولها:حكمها ،والخلاصة كما قال العلماء: أنها مستحبة .. (قال) العراقى: لم أجد من قال بوجوب الاستخارة. ومما يدل على عدم وجوبها الأحاديث الصحيحة الدالة على انحصار فرض الصلاة فى الخمس من قوله: (.. هل عَلَىَّ غيرها؟ قال: لا ، إلاَّ أن تَطَّوع) ، وغير ذلك [١٤٠٨]: من الأحاديث الشريفة التى منها (حديث): (**خمس صلوات افترضهُنَّ الله عز وجل ، مَنْ أحسن وضوءهُنَّ وصَلاَّهُنَّ لوقتِهِنَّ ، وأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وخُشُوعَهُنَّ، كان على الله عهد أن يغفر له ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذَّبه**).

[أخرجه أبو داود والبيهقى عن عبادة بن الصامت]

(**وقال**) **النووى فى الأذكار**: تُستحب الاستخارة بالصلاة والدعاء ، وتكون الصلاة ركعتين من النافلة . (والظاهر) أنها تُحصَّل بركعتين من السنن الرواتب وبتحية المسجد وغيرها من النوافل ا هـ . (يعنى) إذا نوى بها الاستخارة .

(وقال) العراقى: إن كان همه بالأمر قبل الشروع فى الراتبة ونحوها، ثم صلى من غير نية الاستخارة وبدا له بعد الصلاة الإتيان بدعاء الاستخارة، فالظاهر حصول ذلك ا هـ .

ثانيها: القراءة فى صلاة الاستخارة:(قال) النووى: يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة:﴿قل يا أيها الكافرون﴾ وفى الثانيةبعد الفاتحة:﴿قل هو الله أحد﴾ ا هـ.

(وقيل): يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ**

(١٤٠٨) انتهى إلى هنا كلام العراقى.

الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾(١٤٠٩) ، وفى الثانية بعد الفاتحة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾(١٤١٠).

(وظاهر) الأحاديث عدم التقييد بشىء مما ذُكِرَ ، فله أن يقرأ فيهما ـ بعد الفاتحة ـ ما شاء . (وإذا) كان النبى ﷺ قد قال فى حديث أبى أيوب الأنصارى(●) (.. وصَلِّ ما كتب الله لك ..): فإن ظاهره، جواز صلاة الاستخارة بأكثر من ركعتين ، فله أن يُصلِّىَ أربعًا أو أكثر بتسليمة . (ومفهوم) العدد فى قوله ﷺ فى حديث جابر: (فليركع ركعتين): ليس بحجة عند الجمهور غير أنهم اتفقوا على أنه لا تجزئ الركعة الواحدة .

(وقد) أشار (فى الدين الخالص) إلى ملاحظة هامة، وهى: أن حكمة تقديم الصلاة على الدعاء: أن المراد من الاستخارة الجمع بين خيرى الدنيا والآخرة، فيحتاج إلى قرع باب الملك سبحانه وتعالى ، ولا شىء لهذا أنجع من الصلاة، لما فيها من تعظيم الله تعالى والثناء عليه، وإظهار الافتقار إليه حَالاً ومآلاً.

ثالثها: وقت صلاة الاستخارة: فإنه لم يَرِدْ تعيين وقت لها فى الأحاديث الواردة فى شأنها:

ولذا ، قالت الشافعية: يجوز تأديتها فى كل وقت، حتى وقت النهى عن الصلاة ، لأنها صلاة لها سبب .

(وقال الجمهور): تُؤدَّى فى غير أوقات النهى، تقديمًا للحاظر على المبيح.

رابعها: الاستخارة بالدعاء: إذا تعذَّرت صلاة الاستخارة، استخار بالدعاء ـ أى: بدعاء الاستخارة فقط ـ ويستحب افتتاحه بالحمد لله والصلاة على النبى ﷺ ، وإذا استخار فعل ما ينشرح له صدره ، ولا يعتمد على انشراح كان له

(١٤٠٩) القصص: ٦٨ ، ٦٩ .

(١٤١٠) الأحزاب: ٣٦ .

(●) وهو حديث أخرجه أحمد والطبرانى وابن حبان . . (انظر الدين الخالص ج٥ ص ٣٥١ وما بعدها).

قبل الاستخارة، بل ينبغى له ترك اختياره رأسًا ، وإلا فلا يكون مستخيرًا لله ، بل يكون مستخيرًا لهواه، فإن لم ينشرح صدره لشىء: (فقيل) يكرر الاستخارة ثلاثًا ، لأنه ﷺ كان إذا دعا كرر الدعاء ثلاثًا (وقيل) يكررها سبعًا (لحديث) أنس أن النبى ﷺ قال: (**إذا هممتَ بأمر فاسْتَخِرْ ربك فيه سبعَ مراتٍ، ثم انظر إلى الذى يسبقُ إلى قلبِك، فإن الخيرَ فيه**).

[أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس، وابن السنى وهو حديث ضعيف جداً ولا يحتج به]

(والآن) وبعد أن وقفنا على كل تلك الأساسيات المتعلقة بصلاة الاستخارة، أرى أن نعود إلى دعاء الاستخارة لكى نقف على شرحه .. وذلك بعد أن نقرأ تلك السطور الآتية التى قال فيها صاحب (الدين الخالص) عليه رحمة الله وجزاه الله عنا وعن القرآن والسنة خير الجزاء:

(يُستحب) لمن عزم على أمر لا يدرى وجه الصواب فيه كسفر ، وتجارة، وزواج، وشركة ..: أن يشاور فيه من يعلم منه حُسْن النصيحة وكمال الشفقة والخبرة ، ويثق بدينه ومعرفته (لقوله) تعالى: ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ** ﴾[(١٤١١)] وقوله سبحانه: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾[(١٤١٢)] ، وقال قتادة: ما شاور قوم يبتغون وجه الله إلا هُدوا إلى أرشد أمرهم .

(وإذا) شاور وظهر أنه مصلحة، استخار الله فيه ، فصلَّى ركعتين تطوعًا ، ودعا بالدعاء الصحيح الذى ندور حوله ، وهو:

(**اللهم**) أى: أسألك بجميع ما سئلت به ، ويؤيده ما نقل أنه اسم الله الأعظم ، الذى ترجع إليه جميع الأسماء (**إنى أستخيرك**) ، أى : بعلمك القديم الكامل لا بعلمى أنا المخلوق القاصر، فمن فوَّض الأمر إلى ربه اختار له ما يصلح . (**وأستقدرك بقدرتك**) ، أى: بقدرتك القديمة الأزلية ، لا بقدرتى أنا المخلوق المُحدث القاصر. فمن تعرى عن قدرة نفسه وكانت قدرته مَنُوطة بقدرة ربه عز

(١٤١١) آل عمران: من الآية ١٥٩.

(١٤١٢) الشورى: من الآية ٣٨.

وجل مع السكون والضراعة إليه ، فلا شك فى وجود الراحة له ، إما عاجلاً أو آجلا أو هُما معًا ، وأىُّ راحة أعظم من الانسلاخ من عناء التدبير والاختيار ، والخوض بفكرة عقله فيما لا يعلم عاقبته.

(**وأسألك من فضلك العظيم**): فمن توجه بالسؤال إلى مولاه دون مخلوق واستحضر سعة فضل ربه عز وجل وتوكل عليه ، ونزل بساحة كرمه، فلا شك فى نُجْح سَعْيِ من هذا حاله ، إذ فضل المولى سبحانه وتعالى أجَلُّ وأعظم من أن يرجع إلى قانون معلوم وتقدير.

(**فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علاَّم الغُيوب**): فمن تبرأ وانخلع من تدبير نفسه، وحوله وقوته ، ورجع بالافتقار إلى مولاه الكريم الذى لا يُعجزه شىء، فلا شك فى قضاء حاجته وبلوغ ما يؤمله ، ووقوع الراحة (أو قال فى عاجل أمرى وآجله): الشك هنا من الراوى فى أيهما قال عليه الصلاة والسلام. وإذا كان كذلك فينبغى للمكَلَّف أن يحتاط لنفسه فى تحصيل بركة لفظه ـ عليه الصلاة والسلام ـ على القطع، فيأتى بهما معًا (**فاقْدرهُ لى ويَسِّرهُ لى ثم بارك لى فيه**): فمن رضى بما اختاره له سيده العالم بعواقب الأمور كلها، وبمصالح الأشياء جميعها بعلمه القديم الذى لا يتبدل ولا يتحول، فقد سعد السعادة العُظمى (**فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ثم رضِّنى به**): فمن سكن إلى ربه عز وجل ، وتضرَّع إليه ، ولجأ فى دفع جميع الشر عنه، فلا شك فى سلامته من كل ما يُتوقَّع من المخاوف.

ثم بعد ذلك يقول ، (فى الدين الخالص):(فأىُّ دعاء) يجمع هذه الفوائد، ويحصلها مما اختاره المرء لنفسه ، مما يخطر بباله من غير هذه الألفاظ الجليلة التى احتوت على ما وقعت الإشارة إليه وأكثر منه؟

ولو لم يكن فيها من الخير والبركة إلا أن مَن فعلها كان ممتثلاً للسُّنة المطهَّرة مُحصِّلاً لبركتها لكفى، ثم تحصل له بركة النطق بتلك الألفاظ التى تربو على كل خير يطلبه الإنسان لنفسه ويختاره لها ، فيا سعادة مَن رُزِق هذا الحال، أسأل الله أن لا يحرمنا ذلك بمنِّه.

(وينبغى) أن لا يفعلها المُكلَّف إلا بعد أن يمتثل ما مضى من السُّنة فى أمر الدعاء، وهو أن يبدأ أولاً بالثناء على الله سبحانه وتعالى، ثم يصلى على النبى ﷺ، ثم يأخذ فى دعاء الاستخارة المتقدم ذكره ، ثم يختمه بالصلاة على النبى ﷺ .

(والجمع) بين الاستخارة والاستشارة من كمال الامتثال للسُّنة، (فينبغى) للمكلَّف أن لا يقتصر على إحداهما، فإن كان ولابد من الاقتصار، فعلى الاستخارة ، لما تقدم من قول الراوى: كان رسول الله ﷺ يُعلِّمنا الاستخارة فى الأمور كلِّها كما يُعلِّمنا السورة من القرآن ا هـ .

(وقد) قال الشوكانى ، مشيرًا إلى المعنى المراد من قول الراوى: (.. يُعلِّمنا الاستخارة فى الأمور كلها): (هذا) دليل على العموم ، وأن المرء لا يحتقرُ أمرًا لصِغَره وعدم الاهتمام به ، فيترك الاستخارة فيه، فرُبَّ أمر يُستخفُّ بأمره، فيكون فى الإقدام عليه ضرر عظيم أو فى تركه ، ولذلك قال النبى ﷺ: (**ليسأل أحدكُم ربه حتى فى شِسْع نَعْلِه**) . ا هـ

وإذا كنا قد وقفنا على الاستخارة المشروعة، وما يتعلق بها من مباحث .. فإنه ينبغى علينا كذلك أن نقف على ما جاء بعد ذلك فى (الدين الخالص) تحت عنوان:

الاستخارة غير الشرعية

حيث يقول ما خلاصته: (قد) جهل كثير من الناس الاستخارة الشرعية المرغَّب فيها بالأحاديث السابقة وهجروها ، أو قَلَّ من يعمل بها ، وابتدعوا لها أنواعًا كثيرة لم يرد شىء منها فى الكتاب ولا فى السنة، ولم ينقل عن أحد من السلف والخلف . (وجهلوا) قول النبى ﷺ: (**ما أحدثَ قومٌ بدعةً إلا رُفِع مثلُها من السُّنة**).

[أخرجه أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير قال فى الفتح: إسناده جيد، ولذا حسَّنه السيوطى]

إلى أن يقول: (هذا) والاستخارات المبتدعة كثيرة (منها) ما يسميه العامة

وبعضُ الخاصة استخارة (ومنها) ما يُسمَّى بأسماء أُخرى هى أقرب إلى الطِّيرة منها إلى الاستخارة، بل هى نوع من التعريف المنهى عنه ... ثم يقول: وهاك مجمل القول فى الاستخارة غير الشرعية (باختصار):

١ ـ **استخارة النوم**: ويعملها صاحب الحاجة أو يعملها له غيره، بأن يقرأ الشخص شيئًا من القرآن، ويدعو الله أن يُرِيَه فى منامه ما نواه، أو يُرِيَه خُضْرةً أو بياضًا إن كان ما يقصده خيرًا ، ويُرِيه حُمرةً أو سوادًا إن كان ما يقصده لا خير فيه (١٤١٣).

(وقد) عكف على هذه الاستخارة خاصة الناس فضلاً عن عامَّتهمْ (ورؤيا) المؤمن الصادق وإن كانت لا تكاد تخطئ ، فالاستخارة بواسطتها لا تُشْرع، وفيها عدول عن تعليم الرسول الأعظم ﷺ، وعن الدعاء الجامع لخيرى الدنيا والآخرة. وهذا يتنافى مع كمال الإيمان وحُسن اليقين الذى يقتضى التخلى عن البدع، والتحلِّى بالسنن .

(وقد) ذكر العلامة الصاوى فى تفسير آية: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ**﴾(●): صلاة الاستخارة ودعاءها، ثم قال: فإن لم يكن يحفظ هذا الدعاء فليقل: (**اللهم خِرْ لى وَاخْتر لى**)، كما روى عن عائشة عن أبى بكر رضي الله عنهما. واعلم أن هذه الكيفية هى الواردة فى الحديث الصحيح . وأما الاستخارة بالمنام أو بالمصحف أو السبحة، فليس واردًا عن النبى ﷺ ؛ ولذا كرهه العلماء ، وقالوا: إنه نوع من الطِّيرة.

٢ ـ **استخارة السُّبحة**: ويعملها صاحب الحاجة أو تُعمل له . (وطريقتها) أن يأخذ الشخص مسبحة فيُتَمْتِمُ عليها بحاجته ثم يحصر بعض حَبَّاتها بين يديه ويعدُّها، فإن كانت فرديَّة عدل عما نواه ، وإن كانت زوجية اعتبر ما نواه خيرًا وسار فيه. (ولعمرى):ما الفرق بين هذه الطريقة وما كان يُتبع فى الجاهلية الأولى من إطلاق الطير فى الجو، وهو ما سماه الشرع الشريف

(١٤١٣) وقد ذكر صُورًا أخرى، فارجع إليها فى ص ٣٧١.

(●) سورة القصص: آية ٦٨ .

بالطِّيرة ونهى عنها .

٣ ـ **استخارة الفنجان**: ويعملها عادة غير صاحب الحاجة، ويقوم بعملها رجل أو امرأة. (وطريقتها): أن يشرب صاحب الحاجة القهوة المقدمة إليه ثم يُكفئ الفنجان، وبعد قليل يقدمه لقارئه[١٤١٤] فينظر فيه بعد أن أحدثت فضلات القهوة به رسومًا وأشكالاً مختلفة، شأنها فى ذلك شأن كل راسب فى أى إناء إذا انكفأ ، بل إن مجرد صَبِّ الماء على أرض متربة يُحدث بها صُوَرًا وأشكالاً هندسيَّةً وجُغرافية يَعجز عنها أصحاب الفن، فيتخَيَّل ما يُريد، ثم يأخذ فى سرد حكايات كثيرة لصاحب الحاجة، فلا يقوم من عنده إلا وقد امتلأت رأسه بهذه الأُسطورة.

(وبعضهم): يعتمد فى معرفة سارق الشىء على آخر يُسَمَّى صاحب المندل، (وطريقته): أن يوضع الفنجان مملوءًا ماء على كَفِّ شخص مخصوص فى كَفِّه تقاطيع مخصوصة، ويكون ذلك فى يوم معلوم من أيام الأسبوع، ثم يأخذ العَراف فى التعزيم والهمهمة بكلام غير مفهوم، وينادى بعض الجن ليأتوا بالمتهم السارق، (وبعد) برهة تظهر خيالات فى الفنجان ذاهبة وآيبة، فيوهم العراف مَنْ حوله أن المتهم قد ظهر .

(وبعضهم): يضع القُلَّةَ على كَفٍّ آخر ويُتَمْتِمُ بما شاء فيسير حامل القلة إلى مكان الشىء الضائع ، فيتوهَّم الحاضرون أن عامل المندل يعلم ما خفى وهو بهتان عظيم. (ولعمرى) إن كان هذا حقًا ، فَلِم أَتْعَبت الحكوماتُ أنفسها فى معرفة المسروق وتبيُّن الظالم من المظلوم؟ ولِم لَمْ تلجأ فى تبيُّن حقائق الأمور إلى هؤلاء الدجالين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ؟ مع أن سيد الأنام ﷺ لم يَدَّع هذا المقام لنفسه. بل يحكم بالظاهر ويَكِلُ السرائرَ إلى الله: ﴿**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾ [١٤١٥].

(وعن) أُمِّ سلمة أن النبى ﷺ قال: (**إنما أنا بَشَر مِثلكُم ، وإنكم تختصمون**

(١٤١٤) الدجال.

(١٤١٥) الأعراف: من الآية ١٨٨ .

إليَّ، ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحنَ بحُجَّتِه من بعض، فاقضى على ما أسمع، فَمنْ قضيتُ له بحقِّ أخيه شيئًا ، فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعةً من النار). [أخرجه الجماعة]

٤- **استخارة الورق (الكوتشينة)**: وهى لا تخرج عن سابقتها ، غير أن صاحب الحاجة يُعطى ورقتين مُصَوَّرًا فيهما رجل وامرأة فيُسرُّ إليهما ما يريد ، ثم يأخذهما الدجال ، فيخلطهما بباقى الأوراق ، ثم يأخذ فى رصِّها بطريقة فَنِّيَّة، فيُصادفُ وجود رجل بجوار امرأة ، أو وجود رجل أو امرأة فى طريق ، أو وجود واحد منهما بجوار أوراق يرمز إليها بالمال أو الفرح أو القضاء أو ما إلى ذلك، فيأخذ فى سرد ما يُمليه عليه خياله، فلا يقوم الشخص - المغفل - من مقامه هذا إلا مُقتنعًا بحقيقة ما يقول (وما هو) إلا رجم بالغيب .

٥ - **استخارة الرمل**: (وطريقتها): أن يُخَطِّطَ الشخص فى الرمل خُطوطًا متَقَطِّعةً، ثم يَعُدُّهَا بطريقة حسابية معروفة لديهم، فينتهى منها إلى استخراج بُرجِ الشخص فيكشف عنه فى كتاب استحضره لهذا الغرض ، فيسرد عليه حياته الماضية والمستقبلية. (وهذا) الكلام بعينه الذى قيل له (هو نفس) الكلام الذى يقال لغيره، ما دام بُرْجَاهُما قد اتفقا .. (وهذا) لا شك نَصْبٌ واحتيال.

٦- **استخارة الودع**: (ولا تقوم به) إلا امرأة، وهى تُسَمَّى فى العُرف (بالغجرية) ، (وطريقتها): أن يُخرج الإنسان - المُغفَّل - من حافظته شيئًا من النقود ويُسرُّ بحاجته إلى ذَكَر الودع، ثم يَطرحُه على الوَدَع، فتأخذه بيديها وتُلقيه على الأرض بعد خَلْطه . (وهى) فى الغالب تكون امرأة ذكية نَابِهةٌ ، لها فراسة خاصَّة فى ذوى الحاجات، فتسلك سبيلاً فى الكلام يتفق مع مزاج الشخص، فيُجيبُها بالموافقة، فتستمر فى طريقها، فلا يقوم من عندها إلا وهو مقتنع بصدقها ، وبينها وبين الصدق كما بين السماء والأرض.

٧- **استخارة الكفِّ**: وهى لا تخرج عن سابقتيها من جهة قوة فراسة قارئ الكف، يُساعده على ذلك اختلاف خطوط باطن الكف، وما يستخلصه من ميول الشخص وموافقته له على بعض الأشياء.

(ثم) بعد ذلك يقول صاحب (الدين الخالص):

(ولا شك) عندى وعند العقلاء أن جميع هذه الطرق من استخارة الفنجان حتى النهاية لا تخرج عن أنها نوع من العرافة المنهى عنها، والذى يقول الرسول ﷺ فيه: (**مَن أتى عَرَّافًا ـ أى: ذهب إليه ـ فسأله عن شىء: لم تُقبل منه صلاة أربعين ليلة**). [أخرجه أحمد ومسلم عن حفصة]

ويقول: (**من أتى عرافًا أو كَاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد** ﷺ). [أخرجه أحمد والحاكم عن أبى هريرة بسند صحيح]

(وقد) قالت عائشة رضي الله عنها: من زعم أنه يعلم ما فى غَد، فقد أعظم على الله الفرية (١٤١٦)؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ (١٤١٧). [أخرجه ابن جرير الطبرى]

(ثم) بعد ذلك يختم كلامه فى (الدين الخالص) بقوله: (ولا أدرى) بعد ذلك كيف يعكف الناس على أمثال تلك التُّرهات وهذه الأباطيل ، معرضين عن هدى محمد ﷺ وما جاء به؟

فعلى الأخ المسلم ، والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذاه على هذا الأساس الصحيح الوارد على لسان معلمنا الأول صلوات الله وسلامه عليه، وحذار أن يقعا فى شباك هؤلاء النصابين المحتالين عن طريق تلك الاستخارة الغير شرعية بجميع أنواعها ... والله الموفق للصواب،،

(٩٥) ما حَقُّ العُصفور .. فما فوقها .. إذا أردتُ اصطيادها .. يا رسول الله؟

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: (**ما مِنْ إنسانٍ يقْتلُ عُصفورًا فما**

(١٤١٦) أى: الكذب.

(١٤١٧) النمل: من الآية ٦٥.

فوقها [١٤١٨] **بغير حَقِّها إلا يسأل الله عنها يوم القيامة)** [١٤١٩] قيل : يا رسول الله، وما حَقُّها؟ قال: **(حقُّها أن تذبَحَهَا فتأكُلَها** [١٤٢٠]**، ولا تقطَع رأسَهَا فترمِيَ** [١٤٢١] **به)**. [رواه النسائى والحاكم، وقال: صحيح الإسناد]

وعن الشَّرِّيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(مَن قتل عُصْفورًا عَبَثًا** [١٤٢٢] **عَجَّ** [١٤٢٣] **إلى الله يوم القيامة يقول: يا ربِّ، إنَّ فلانًا قتلنى عَبَثًا، ولم يقتلنى منْفعَةً)**. [رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه]

ففى هذين الحديثين الشريفين بروايتيهما .. يرشدنا النبى ﷺ إلى ضرورة أن نؤدى هذا الحق المشار إليه فى الحديث الأول لهذا العصفور .. أو لتلك الحمامة .. وغيرهما .. حتى لا يكون هناك هذا العبث الذى سيكون معناه أن هذا القاتل.. لا رحمة فى قلبه .. وهذا هو أهم ما ينبغى علينا أن نلاحظه .. بالنسبة للتعامل مع جميع الحيوانات بصفة عامة:

فعن معاوية بن قُرَّة عن أبيه ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله إنى لأرحَمُ الشاةَ أن أذبحها [١٤٢٤]، فقال: **(إن رَحِمتَها رَحِمكَ الله**[١٤٢٥]**)** رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ، والأصبهانى، ولفظه: قال: يا رسول الله إنى آخذ شاة وأريد أن أذبحها فأرحمها ، قال: **(والشاةَ إن رحمتَها رحمك الله)** . (يعنى) أن الله يُثيبُ على رحمة الحيوان كما يُثيب على رحمة الإنسان.

وعن ابن عباس ﷺ أن رجلاً أضجع شاةً [١٤٢٦]، وهو يُحِدُّ شفرته [١٤٢٧]،

(١٤١٨) أى: فما هو أكبر حجمًا منها كالحمامة ونحوها .

(١٤١٩) أى: يسأله الله سبحانه عنها ، أى: عن سبب قتلها .

(١٤٢٠) لأنها ما خُلقت إلا من أجل الانتفاع بلحمها .

(١٤٢١) أى: تلقيها ولا تنتفع بها.

(١٤٢٢) أى: بلا فائدة ولا غرض صحيح.

(١٤٢٣) أى: رفع صوته بالشكوى إلى الله يوم القيامة.

(١٤٢٤) أى: لا أجرؤ على ذبحها رحمةً بها.

(١٤٢٥) وفى هذا دليل على وجوب الرحمة بالحيوان.

(١٤٢٦) أى: أنامها على جنبها استعدادًا لذبحها.

(١٤٢٧) أى: يشحذها ويرققها . . والشفرة، أى السكين.

فقال النبى ﷺ: (**أتُرِيد أن تُمِيتَها موتَتَيْنِ** [١٤٢٨]، **هَلاَّ أحْدَدْتَ شَفْرَتَكَ قبل أن تُضْجِعَهَا**).

[رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والحاكم ، واللفظ له، وقال: صحيح على شرط البخارى]

ففى هذا الحديث إرشاد إلى وجوب الرحمة بالحيوان عند الذبح ، فلا يُجَرُّ بعنف ، ولا تعرض عليه السِّكِّين فينظر إليها ، ولا تُشحذ أمامه ..الخ. وفى الحديث الصحيح: (**إن الله كتَبَ الإحْسَانَ على كُلِّ شىء، فإذا قتلتم فأحسنُوا القتلَةَ، وإذا ذَبَحْتُم فأحْسِنُوا الذِّبحةَ، ولْيُحِدَّ أحدُكم شَفْرَتَهُ،ولْيُرِحْ ذَبِيحتَهُ**)

[رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه]

(وفى حديث ابن عمر) أن رسول الله ﷺ أَمَرَ أن تُحدَّ الشِّفار وأن تُوارَى عن البهائم، وقال: (**إذَا ذبَحَ أحدُكم فليُجْهِزْ**). [رواه أحمد وابن ماجه]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مَرَّ بفتيانٍ من قُرَيشٍ قد نَصَبُوا طيرًا أو دجاجة يترامَوْنَها[١٤٢٩]، وقد جعلوا لصاحبِ الطَّيْرِ كُلَّ خاطئَةٍ من نَبْلِهِمْ[١٤٣٠] فلما رأوا ابن عمر تَفَرَّقُوا ، فقال ابن عمر: من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعنَ مَنِ اتَّخَذَ شيئًا فيه الرُّوحُ غَرَضًا [١٤٣١] .

[رواه البخارى ومسلم]

وعن أبى مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته ، فرأينا حُمَّرَةً [١٤٣٢] معها فرخان، فأخَذْنَا فرخَيْهَا، فجاءت الحُمَّرة فجعلت تُعْرِشُ[١٤٣٣]، فجاء النبى ﷺ فقال: (**مَن فجع هذه بِوَلَدَيْها**[١٤٣٤]؟ **رُدُّوا ولدَيْها إليها**) ورأى قَرْيةَ نملٍ قد حرقناها، فقال: (**من حَرقَ هذه؟ قلنا: نحن،**

(١٤٢٨) لأنها تحس أن السكين إنما تُحَدُّ لذبحها، فتتمثل الموت فكأنها ماتت قبل موتها .

(١٤٢٩) أى: يتخذونها غرضًا يرمونه بالنبال على هيئة الرهان.

(١٤٣٠) أى: جعلوا له أجرة على ذلك كل السهام التى تخطئ المرمى.

(١٤٣١) الغرض: أى هدف المرمى.

(١٤٣٢) وهى طائر أحمر اللون وجمعه حُمَّر بتشديد الميم.

(١٤٣٣) أى: تبنى عريشًا وهو العش.

(١٤٣٤) أى: من آلمها وأحزنها بسلب ولديها منها.

قال: إنه لا ينبغى أن يُعذَّب بالنار إلا رَبُّ النار). [رواه أبو داود]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى يؤديا لهذا الطير .. أو الحيوان .. حقه .. وبدون عبث كما جاء فى حديث (الشَّرِّيد) ﷺ .. الذى حَذَّرنَا فيه النبى ﷺ من هذا الفعل المشين الذى سنُسأل عنه يوم القيامة .. (وعلى) الأخت المسلمة .. أن تلاحظ بصفة خاصة أن وضع ساقها على الطير الذى تقوم (بتزغيطه) ووضع الحبِّ فى فمه بتلك الصورة الغير طبيعية .. يُعتبر تعذيبًا لهذا الطير .. ولسوف تُسأل عن هذا أيضًا يوم القيامة.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعًا من أهل الرحمة .. حتى نُرحم إن شاء الله فى الدنيا والآخرة .. والله ولى التوفيق ،،

(٩٦) بماذا تُوصينا إذا أردْنَا أنْ نتناولَ طعامًا .. وما هذه الجِلْسَةُ يا رسول الله؟

عن عبد الله بن بُسْر ﷺ قال: كان للنبىِّ ﷺ قَصْعَةٌ (١٤٣٥) يقال لها الغَرَّاءُ(١٤٣٦) يحملُها أربعةُ رجال، فلما أضْحَوْا (١٤٣٧)، وسَجَدُوا الضُّحَى (١٤٣٨)، أُتىَ بتلك القَصْعَة، يعنى وقد أُثْرِدَ فيها (١٤٣٩)، فالتَفُّوا عليها ، فلَمَّا كَثُروا جَثَا رسولُ الله ﷺ (١٤٤٠)، فقال أعْرابىٌّ: ما هذه الجِلْسةُ (١٤٤١)؟ قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ الله جعلنى عبدًا كريمًا (١٤٤٢)، ولم يجعلنى جبَّارًا عنيدًا)** (١٤٤٣)

(١٤٣٥) هى الصحفة التى يوضع فيها الطعام، وجمعها قصاع وقصع وقصعات.

(١٤٣٦) أنثى الأغر وهو الحسن أو الأبيض من كل شىء.

(١٤٣٧) أى: دخلوا فى الضحى، وهو وقت ارتفاع الشمس وانتشار ضوئها وحرارتها.

(١٤٣٨) يعنى صلوها.. وعبَّر عن الصلاة بالسجود لأنه أهم أركانها .

(١٤٣٩) أى: ملئت بالثريد وهو الخبز المندى بالمرق ونحوه .. وهو بركة كما ورد فى الأثر .

(١٤٤٠) أى: جلس على ركبتيه مستوفزًا تواضعًا لله ورغبة فى سرعة القيام.

(١٤٤١) تعجب الأعرابى من تلك الجلسة لأنهم كانوا يتربعون على الطعام طلبًا للامتلاء.

(١٤٤٢) أى: سخيًا معطاء.

(١٤٤٣) أى: لا متكبرًا متمردًا.

ثم قال رسول الله ﷺ: (**كُلوا من جوانبها، ودَعُوا ذِرْوَتها** [١٤٤٤] **يُبارِكْ لكم فيها**). [رواه أبو داود وابن ماجه]

ففى هذا الحديث الشريف .. نستطيع وبوضوح أن نقف على عدة ملاحظات إيجابية ينبغى علينا جميعًا كمؤمنين أن ننتفع بها .. (وهى) أن قصعة الرسول ﷺ ـ التى كان يُوضع الثريد فيها ـ كانت تسمى بالغَرَّاء .. ـ وهى أنثى الأغر وهو الحسن ـ وتلك إشارة ينبغى علينا أن ننتفع بها حتى نُسمى أبناءنا . (بل) وأدواتنا التى نستعملها فى طعامنا وشرابنا .. بتلك الأسماء الحسنة التى تبشر بالخير وتجعل الإنسان سعيدًا برؤيتها ـ ولاسيما إذا كانت حسنة فعلاً ـ وكذلك إذا كان يتناول فيها طعامًا أو شرابًا حلالاً.

(وإذا) كانت هذه القصعة: يحملها أربعة رجال ـ كما جاء فى نصِّ الحديث ـ فإن هذا يشير إلى كرم النبى ﷺ المنقطع النظير .. والذى إن دل على شىء فإنما يدل على أنه صلوات الله وسلامه عليه كان أُسْتاذًا للبشرية فى الحرص على أن تكثر الأيدى على قصعة طعامه الذى هو خير طعام .. (وأيضًا) إذا كانت القصعة قد أُتى بها لكى توضع بين أيدى الرجال .. بعد أن صلوا صلاة الضُّحى .. فإن هذا معناه .. أنه ينبغى علينا ـ كمؤمنين ومؤمنات ـ أن نلاحظ هذا .. حتى تكون هناك بركة فى هذا الطعام وحتى لا تمتد يد الشيطان فيه .. (بل) وحتى نكون قد بدأنا بالخير الذى ينبغى علينا أن لا نُحرم منه .. ولاسيما بالنسبة لصلاة الضحى.

(فعن) أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (**يُصبح على كل سُلاَمَى** [١٤٤٥] **من أحدكم صدقة ، فكلُّ تسبيحة صدقةٌ ، وكلُّ تحميدة صدقةٌ ، وكلُّ تهليلة صدقةٌ ، وكلُّ تكبيرة صدقةٌ، وأَمْرٌ بالمعروف صدقة ، ونَهْى عن المنكر صدقةٌ ويَجزِى** [١٤٤٦] **من ذلك ركعتان يركعهما من الضُّحَى**).

[رواه أحمد ومسلم وأبو داود]

(١٤٤٤) أى: أعلاها.

(١٤٤٥) أى: عظام البدن ومفاصله.

(١٤٤٦) يجزى ـ بفتح أوله ـ بمعنى يكفى ، أو بضمه ، ويكون من الإجزاء.

(وإذا) كان النبى ﷺ قد جثا أمام القصعة ، بمعنى أنه جلس على ركبتيه مستوفزًا تواضعًا لله، ورغبةً فى سرعة القيام .. (فإنه) بهذا كذلك يخالف العادة التى كان يجلسها أو يفعلها الأعراب إذا ما جلسوا أمام قصعة كهذه . لكى يتناولوا طعامًا .. فإنهم كانوا يتربعون طلبًا للامتلاء .

(وقد) ورد الترغيب فى عكس هذا .. (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**المسلم يأكُل فى معًى واحد ، والكافرُ فى سبعة أمعاء**).

[رواه مالك والبخارى ومسلم وابن ماجه ، وغيرهم]

أى: أن من شأن المؤمن التقليل من الأطعمة وغيرها من حظوظ الدنيا، وأما التوسع فيها وتناولها بشراهة ونَهم والإفراط فى ذلك ، فهو من شأن الكفار الذين نظرهم مقصور على هذه الدار .. (وأما) مَن يعلم أن الدنيا دار فناء، وأن الآخرة هى دار القرار ، فإنه يغلب عليه الزهد فى الدنيا والتقلل من طيباتها والاستعداد للآخرة.

وفى رواية للبخارى: أن رجلاً كان يأكل أكلاً كثيرًا فأسلم، فكان يأكل أكلاً قليلاً ، فَذُكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (**إن المؤمنَ يأكلُ فى معًى واحد، وإن الكافر يأكلُ فى سبعة أمعاء**) .

قال العينى: (حكى القاضى عياض عن أهل الطب والتشريح أنهم زعموا أن أمعاء الإنسان سبعة: المعدة ، ثم ثلاثة أمعاء بعدها متصلة بها: البواب، والصائم، والرقيق، وهى كلها رِقاق، ثم ثلاثة غلاظ: الأعور، والقولون، والمستقيم وطرفة الدبر. فالمؤمن يكفيه ملء أحدها ، والكافر لا يكفيه إلا ملء كلها) وقال النووى: (الصفات السبعة فى الكافر، وهى الحرص، والشَّره، وطول الأمل، والطمع، وسوء الطبع، والحسد، وحب السَّمن) وتأويل الأمعاء بهذه بعيد.

وقال القرطبى: (شهوات الطعام سبع: شهوة الطبع ، وشهوة النفس ، وشهوة العين، وشهوة الفم، وشهوة الأذن، وشهوة الأنف، وشهوة الجوع، وهى الضرورية التى يأكل بها المؤمن ، وأما الكافر: فيأكل بالجميع) .

(وإذا) كان النبى ﷺ قد قال فى ختام الحديث: (**كُلُوا من جوانبها، ودَعُوا ذروتها يُبارَكْ لكُم فيها**)، فقد ورد فى توضيح هذا المعنى (عن) ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: (**البركَةُ تنزلُ وسَطَ الطعام**[١٤٤٧]، **فكلُوا من حافتَيْهِ**[١٤٤٨] ، **ولا تأكلوا من وسَطِه**).

[رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه ، كلهم عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عنه، وقال الترمذى واللفظ له: حديث حسن صحيح]

ولفظ أبى داود وغيره: قال رسول الله ﷺ: (**إذا أكلَ أحدكُم طعامًا فلا يأكل من أعلى الصَّحْفة ، ولكن ليأكُلْ من أسفلها ، فإن البركة تنزل من أعلاها**[١٤٤٩]) .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى ينتفعا به .. سواء كان هذا فى بيوتنا أو خارجها .. (بل) وعلينا أن نوجه أبناءنا إلى تلك الآداب المحمدية .. (فقد) ورد عن عُمر بن أبى سَلَمة رضي الله عنهما أنَّه قال: قال لى رسول الله ﷺ: (**سَمِّ الله، وكُل بيمينك، وكُلْ مِمَّا يليك**) [متفق عليه]

والله ولى التوفيق ،،

(٩٧) لماذا نأكلُ ولاَ نشبعُ . .يا رسول الله؟

عن وَحْشىِّ بن حَرْب بن وحشىٍّ بن حرب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله: إنَّا نأكُلُ، ولا نَشْبع؟ قال: (**تَجتَمِعُون على طعامكم أو تَتَفرَّقُون؟**) قالوا: نَتفرَّق. قال: (**اجتمِعُوا على طعامِكُم، واذكُروا اسم الله تعالى يُبَارَكْ لكُم فيه**). [رواه أبو داود، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**طَعَامُ الاثنينِ كافى الثلاثة، وطعامُ الثلاثةِ كافى الأربعة**). [رواه البخارى ومسلم]

(١٤٤٧) أى: فى المكان المتوسط من القصعة.

(١٤٤٨) تثنية حافة، وهى الجانب أو الطرف.

(١٤٤٩) أى: من وسطها لأنه يكون عادة أعلى من الجوانب.

وعن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**طعامُ الواحدِ يكفى الاثنين ، وطعامُ الاثنين يكفى الأربعةَ ، وطعامُ الأربعة يكفى الثمانيةَ**) [رواه مسلم والترمذى وابن ماجه ، ورواه البزار من حديث سمرة دون قوله: (**وطعامُ الأربعةِ يكفى الثمانيةَ**) وزاد فى آخره: (**ويدُ اللهِ على الجماعة**)]

ففى الحديث الأول يسأل النبى ﷺ هؤلاء الذين أخبروه بأنهم يأكلون ولا يشبعون: أتجتمعون على طعامكم أو تتفرقون ؟ فلما كان جوابهم هو أنهم يتفرقون .. قال لهم: (**اجتمعُوا على طَعَامِكُم، واذكُروا اسْم الله تعالى يُبارك لكُمْ فيه**)، وذلك لأنه بالاجتماع على الطعام، وبذكر اسم الله تعالى تنزل البركة ويمتنع الشيطان من الوصول إلى الطعام .

وفى الحديث الثانى يشير النبى ﷺ إلى أن مطلق طعام القليل يكفى الكثير .. قال المهلب: (المراد بهذه الأحاديث: الحض على المكارم والتقنع بالكفاية، وليس المراد الحصر فى مقدار الكفاية ، وإنما المراد المواساة، وأنه ينبغى للاثنين إدخال ثالث لطعامهما، وإدخال رابع أيضًا بحسب ما يحضر) . وقال ابن المنذر:(يُؤخذ من حديث أبى هريرة استحباب الاجتماع على الطعام وأن لا يأكل المرء وحده).

وقال فى الفتح: (وفى الحديث أيضًا الإشارة إلى أن المواساة إذا حصلت حصلت معها البركة فتعُمُّ الحاضرين ، وفيه أنه لا ينبغى للمرء أن يستحقر ما عنده فيمتنع من تقديمه، فإن القليل قد يحصل به الاكتفاء بمعنى حصول سدِّ الرمق وقيام البنية لا حقيقة الشبع) .

وكذلك بالنسبة لحديث جابر، فإن المراد به أن الله تعالى يبارك فى الطعام حتى يكفى ضعف عدد الذين أُعدَّ لهم الطعام.

وإذا كان حديث جابر ﷺ يشير إلى هذا .. فإنه حسبنا أن نقف على حديثين شريفين صحيحين يرويهما ـ أيضًا ـ سيدنا جابر رضى الله عنه ، فيقول فى أولهما (١٤٥٠):

(١٤٥٠) كما جاء فى الجزء الأول من (الدين الخالص) ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠.

(عَطِشَ الناس يوم الحُديبية ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبين يديه رَكْوة [١٤٥١] ، وقالوا : ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشربُ إلا ما فى رَكْوتكَ ، فوضع صلى الله عليه وآله وسلم يده فى الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فتوضَّأنا وشربنا . قيل لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كُنَّا مائة ألف لكفَانَا، كُنَّا خمس عشرة مائة). [أخرجه الشيخان]

وقال فى الحديث الثانى: كنا فى حفر الخندق، فرأيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خَمْصًا [١٤٥٢] شديدًا، فانكفأتُ [١٤٥٣] إلى امرأتى فقلت: هل عندك شىء؟ فإنى رأيتُ برسول الله ﷺ خَمْصًا شديدًا ، فأخرجت إلىَّ جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بُهيمةٌ[١٤٥٤] داجنٌ [١٤٥٥] فذبحتُها وطحَنت الشعير، ففرغَتْ إلى فراغى [١٤٥٦] ، وقطَّعتها فى بُرمتها[١٤٥٧] . ثم ولَّيتُ إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تَفْضَحْنى [١٤٥٨] برسول الله ﷺ وبمن معه فجئتُه فسارَرْتُه فقلت: يا رسول الله ذَبَحْنَا بُهيْمةً لنا وَطحنَّا صاعًا من شَعير كَان عندنا . فتعال أنت ونفر معك، فصاح رسول الله ﷺ، فقال: **(يا أهل الخَندق، إن جابرًا قد صنع سُورًا [١٤٥٩] فَحَيَّهَلا بكم)**[١٤٦٠] فقال رسول الله ﷺ: **(لا تُنزِلَنَّ بُرْمَتكُم ولا تَخْبُزُنَّ عجينكم حتى أجىء)**. فجئتُ وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناسَ حتى جئتُ امرأتى، فقالت: بك وبك[١٤٦١]. فقلت: قد فعلتُ الذى قُلْتِ،

(١٤٥١) الركوة بفتح فسكون: ما يُعد للماء ، وجمعها ركاء .

(١٤٥٢) الخمص بضم فسكون ، أو بفتحتين، أو بفتح فسكون: الجوع.

(١٤٥٣) فانكفأت: أى رجعت إلى امرأتى ، واسمها سُهيلة.

(١٤٥٤) البُهيمة: تصغير بُهمة، وهى ولد الضأن ذكرًا كان أو أنثى .

(١٤٥٥) والداجن: التى تألف البيت وتتربى فيه .

(١٤٥٦) أى: فرغت امرأتى من طحن الشعير مع فراغى من ذبح البُهَيْمة .

(١٤٥٧) والبُرمة: بضم الباء: أى القدر .

(١٤٥٨) ولا تفضحنى برسول الله ، تعنى تحذيره من أن يأتى بمن لا يكفيهم الطعام القليل الذى عندها .

(١٤٥٩) والسُّور ، بالضم غير مهموز ـ كلمة فارسية ـ معناها الوليمة والطعام الذى يُدعى إليه.

(١٤٦٠) وحَيَّهَلا: أى تعالوا وعجلوا.

(١٤٦١) (بك وبك) أى: فعل الله بك كذا، وفعل بك كذا. وهذا كناية عن الكلام الذى عاتبت به زوجها حيث خالف قولها: لا تفضحنى برسول الله . و(بارك) أى: دعا بالبركة.

فأخرجتُ له العجينَ فَبَصَقَ فيه وبارك ، ثم عمد إلى بُرمتنَا فبصَقَ فيها وبارك. ثم قال: (**ادْعى خابزةً فَلْتَخبِزْ معك، واقْدحِي من بُرمتكم ولا تُنزلوها**) فأقسم بالله لأكلوه حتى تركوه وانحرفوا، وإن بُرمتنا لتغُطُّ [١٤٦٢] كما هى، وإن عجيننا ليُخبَزُ كما هو . [أخرجه الشيخان]

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة أن ينتفعا بكل هذا.. وأن ينفذا المراد منه .. حتى يكونا من أهل البركات المشار إليها فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾[١٤٦٣].. وعليهما أيضًا أن يُكثرا من الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. الذى حدثنا سيدنا جابر عن بركاته التى نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا أهلاً لها .. وأن يكرمنا بها فى الدنيا والآخرة .. والله ولى التوفيق ،،

(٩٨) ما هىَ الخامسةُ التى أخَّرتها إلى يَوْمِ القيامةِ من أجلِ أُمتكَ .. يا رسول الله ؟

عن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ عام غزوة تَبُوك قامَ من الليل يُصلِّى ، فاجتمع رجال من أصحابه يَحرُسُونه [١٤٦٤] حتى إذا صلَّى وانصرف إليهم، قال لهم:

(**لقد أُعْطيتُ الليلَةَ خَمسًا مَا أعْطيهُنَّ أحد قبلى: أمَّا أنا فأرسلْتُ إلى الناسِ كلهم عامَّة، وكان مَنْ قبلى إنما يُرسَل إلى قومه** [١٤٦٥] ، **ونُصرْتُ على العَدُوِّ بالرُّعْبِ ولو كان بينى وبينه مسيرةَ شهرٍ لَمُلِىءَ منه** [١٤٦٦]،

(١٤٦٢) وغطت القدر: أى غلت، وغطيطها: صوتها.

(١٤٦٣) الأعراف: من الآية ٩٦.

(١٤٦٤) لأنهم كانوا يخشون عليه من المنافقين .

(١٤٦٥) وهذا معناه أن رسالة الرسول ﷺ كانت عامة .. وهذا ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .

(١٤٦٦) يعنى: أن الله يقذف الرعب فى قلوب أعدائه وبينهم وبينه مسيرة شهر.

وَأُحلَّت لىَ الغنائم أَكْلُها (١٤٦٧)، **وكان مَنْ قَبْلِي يُعظِّمون أكلَهَا، وكانوا يَحرقُونهَا، وجُعلَت لى الأرض مساجد**(١٤٦٨) **وطهورًا** (١٤٦٩)، **أينما أدركتنى الصلاةُ تَمسَّحْتُ وصَلَّيْتُ، وكان مَن قبلى يُعَظِّمون ذلك، إنما كانوا يُصَلُّون فى كنائسهمْ وَبيعهمْ، والخامسةُ هى مَا هِى** (١٤٧٠) **؟ قيل لى: سَلْ، فإنَّ كُلَّ نبِىٍّ قد سأَلَ** (١٤٧١)، **فأخَّرتُ مسألتى إلى يوم القيامة** (١٤٧٢)، **فهِىَ لَكُم ولمن شهد أن لا إله إلا الله)** (١٤٧٣). [رواه أحمد بإسناد صحيح]

وعن عبد الرحمن بن أبى عَقيل ﷺ قال: انطلقتُ فى وَفْد (١٤٧٤) إلى رسول الله ﷺ فأتيناه فأنَخْنَا بالباب(١٤٧٥) وما فى الناس أبْغضُ إلينا من رَجُل نَلِجُ عليه (١٤٧٦)، فما خرجنا حتى ما كان فى الناس أحَبَّ إلينا من رَجُل دُخلَ عليه، فقال قائل منَّا: يا رسول الله، ألا سألتَ رَبك مُلْكًا كَمُلْك سُليمانَ (١٤٧٧) ؟ قال: فضحكَ ثم قال: (**فَلَعَلَّ لصاحبكم عند الله أفضَلَ من مُلك سُلَيْمانَ** (١٤٧٨)، **إن الله لَم يَبْعَثْ نَبِيّاً إلاَّ أعطاه دَعْوةً، فمنهم مَن اتخذَهَا دُنيا فأُعْطِيَهَا** (١٤٧٩)، **ومنهم مَنْ دَعَا بها على قومه إذْ عَصَوْهُ فأُهلِكُوا بها**(١٤٨٠)، **فإن الله أعطانى**

(١٤٦٧) جمع غنيمة، وهو ما يؤخذ من الكفار فى الحرب.

(١٤٦٨) أى: أماكن للصلاة.

(١٤٦٩) أى: جعل لى ترابها طهورًا أتيمم منه إذا لم أجد الماء.

(١٤٧٠) هذا التعبير تفخيم لشأنها.

(١٤٧١) أى: دعا الله بدعوة وأجيبتْ دعوته فى الدنيا.

(١٤٧٢) لتكون شفاعة يرحم الله بها هذه الأمة.

(١٤٧٣) يعنى: لكل مَن مات من هذه الأُمة ولم يُشرك بالله شيئًا.

(١٤٧٤) الوفد جمع الوافد، وهم القوم يفدون على أمير ونحوه، وجمع الوفد وفود.

(١٤٧٥) يعنى: أبركنا رواحلنا ببابه.

(١٤٧٦) يعنى: وليس فى الناس أحد هو أشد بُغضاً إلى قلوبنا منه ﷺ. (ونلج) يعنى: ندخل عليه.

(١٤٧٧) فإنه كان ملكًا عظيمًا حيث سَخَّر الله له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب.. وسخر له الشياطين من كل بناء وغواص يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل.. الخ.

(١٤٧٨) ولعل هنا ليست عن بابها من التَّرجِّى بل هى للتحقيق، فإن ما أُعطيه نبينا ﷺ فى الآخرة من شفاعات متعددة وخصائص جمة تفوق على كل ما أُعطيه إخوانه من الرسل عليهم السلام.

(١٤٧٩) وذلك كسليمان عليه السلام حيث قال: ﴿ **وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي** ﴿٣٥﴾ ﴾[ص].

(١٤٨٠) وذلك كنوح عليه السلام حيث قال: ﴿**رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا** ﴿٢٦﴾ ﴾[نوح]، وكموسى عليه السلام حيث قال: ﴿**رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ** ﴾ [يونس: ٨٨].

دعوةً فاختبأتُها عند ربى شفاعةً لأُمَّتِى يومَ القيامة) .

[رواه الطبرانى والبزار بإسناد جيد]

فهذه الخامسة المشار إليها فى الحديثين ـ وفى أحاديث أخرى وردت فى الصحاح وغيرها ـ هى: الشفاعة الكبرى التى أخَّرها عند الله تعالى من أجلنا إلى يوم القيامة.

(وحتى) ننتفع بهذا الموضوع الهام الذى نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً له ..فإننى أرى أن أقف مع الأخ القارئ على ما جاء حوله..فى (الدين الخالص)[١٤٨١] ، حيث يقول تحت عنوان:

الشفاعة

وهى لغةً: الوسيلة والطلب، وعُرفًا: سؤال الخير للغير، وهى تكون من الأنبياء والعلماء العاملين والشهداء والصالحين .

(فعن) عثمان بن عفان ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**يشفعُ يومَ القيامةِ ثلاثةٌ: الأنبياءُ، ثم العلماء، ثم الشهداء**) [آخرجه ابن ماجه]

ثم يقول: (والحق) أن الشفاعة من باب القضاء المُعلَّق فنفعها ظاهرى. (هذا) واعلم أن النبى ﷺ هو أول فاتح لباب الشفاعة: يفتحه بالشفاعة فى فصل القضاء، وهى الشفاعة العظمى المختصة به، أى: التى يغبطه بها الأولون والآخرون، وهى المقام المحمود المشار إليه بقوله تعالى: ﴿**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ [١٤٨٢].

(فعن) أبى هريرة ﷺ قال: سُئل النبى ﷺ عن المقام المحمود فى الآية ، فقال: (**هو المقام الذى أشفع فيه لأُمَّتِى**) .

[أخرجه أحمد والترمذى والبيهقى فى الدلائل]

(وعن) ابن عمر ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**إن الشمس تَدنو يومَ القيامة حتى**

(١٤٨١) ج١ ص ١٠٠ وما بعدها .

(١٤٨٢) الإسراء: ٧٩.

يبلغ العَرقُ نِصْفَ الأُذُن، فبينما هم كذلك، استغاثوا بآدمَ، فيقول: لستُ صَاحِبَ ذلك، ثم بموسى فيقول كذلك، ثم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: فيشفع ليُقْضَى بين الخلق، فيمشى حتى يأْخُذَ بِحَلْقَةِ باب الجنَّةِ، فيومئذٍ يبعثه اللهُ مقامًا مَحْمودًا يَحمدُه أهْلُ الجمعِ كُلُّهُم)

[أخرجه البخارى وابن جرير]

(وعن) أُبَيٍّ بن كعب أن النبى ﷺ قال: (**إذا كان يوم القيامة كُنْتُ إِمَامَ الأنبياء، وخَطِيبهُم، وصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غير فخرٍ**).

[أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وقال: حسن صحيح]

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لكلِّ نبيٍّ دعوة مُستجابة يدعو بها ، وأُريد أن أَخْتَبِئَ دعوتى شفاعةً لأُمَّتى فى الآخرة**) أخرجه مالك والبخارى واللفظ له ، ومسلم وزاد: (**فهى نائلة إن شاء الله تعالى مَن مَاتَ من أُمَّتى لا يُشركُ بالله شيئًا**).

(وعن) جابر رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: (**شفاعتى لأهل الكبائر من أُمَّتى**(١٤٨٣)) [أخرجه أحمد والنسائى وابن حبان وأبو داود والترمذى وزاد: قال جابر: (**من لم يكُنْ من أهلِ الكبائرِ فما له وللشَّفاعةِ**) قال الترمذى: هذا حديث غريب] .

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: (**أنا سيدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ، هل تَدْرون مِمَّ ذلك؟ يجمع اللهُ الأولينَ والآخرينَ فى صَعيدٍ واحد، فينظرهم الناظر ويُسمعُهم الداعِى ، وتدنو منهم الشمس، فيبلغُ الناسَ من الغَمِّ والكربِ ما لا يُطيقُون ولا يحتملُون، فيقول الناسُ: ألا تَرونَ إلى ما أنتم فيه؟ ألا تنظرون مَن يَشْفَعُ لكم إلى ربكم؟ فيقول بعضُهم لبعض: عليكم بآدمَ، فيأتونَهُ فيقولون له: أنت أبو البشر خلقَكَ اللهُ بيده، ونفخ فيك من رُوحه**(١٤٨٤) **، وأسجد لك ملائكته، وأسكنكَ الجنةَ. اشفعْ لنا إلى ربِّك . ألا**

(١٤٨٣) وأما حديث: (لا تنال شفاعتى أهل الكبائر من أُمَّتى): فموضوع.

(١٤٨٤) (من روحه): الإضافة لتعظيم المضاف. . أى: أن الله تعالى نفخ فى آدم رُوحًا خلقها بلا أب ولا

ترى إلى ما نحنُ فيه وما بلَغْنا؟ فيقول آدم عليه السلام: إن ربى غَضِب اليوم غَضَبًا لم يَغْضَبْ قبله مثله، ولن يغضبَ بعده مثله . وإنه نهانى عن الشجرة فعَصيْتُه (١٤٨٥) نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحًا عليه السلام فيقولون: يا نُوحُ، أنت أول الرسُل إلى أهل الأرض، وقد سَمَّاكَ الله عبدًا شكورًا (١٤٨٦)، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قد كانت لى دعوة دعوتُها على قومى (١٤٨٧) نفسى نفسى نفسى اذهبُوا إلى غيرى، اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام.

فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقولون: أنت نبىُّ الله وخليلُه من أَهْلِ الأرض، اشفع لنا إلى ربك، أَلاَ ترى إلى ما نحنُ فيه؟ فيقول: إن ربى قَد غضب اليوم غَضَبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. وإنى قد كنت كذبتُ ثلاث كَذبات (١٤٨٨) فذكرها ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: أنت رسول الله، فَضَّلَكَ برسالته وبكلامه على الناس (١٤٨٩) . اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟

(١٤٨٥) وكانت هذه المعصية قد وقعت منه سهوًا قبل النبوة ، كما قال الله تعالى: ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه]، غير أن الأمر عَظُم لديه نظرًا لعلو مقامه فعد نفسه عاصيًا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. فالعصيان صورى لا حقيقى لأن العصيان ملابسة الكبيرة قصدًا، والقصد هنا منتف لقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾.

(١٤٨٦) قال الله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾والآية رقم٣من سورة الإسراء .

(١٤٨٧) وهى التى يقول الله تعالى مشيرًا إليها فى سورة نوح: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦] أى: أحدًا .

(١٤٨٨) أى: فى الصورة لا فى الحقيقة لتنزههم عن الكذب والمخالفات، وذلك قوله عليه السلام: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾[الصافات]. وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء:٦٣] وقوله فى شأن سارة: (هى أُختى) وهى من المعاريض.

(١٤٨٩) أى: أهل زمانه . . و(الكليم) وصف غالب عليه كالحبيب لنبينا ﷺ ، وإن شارك الكليم فى التكليم والخليل فى الخلة على وجه أكمل وأعلى .

فيقول: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ،ولن يغضب بعده مثله، وإنى قتلتُ نفسًا (١٤٩٠) لم أُومَر بقتلها نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيقولون: أنت رسولُ الله وكَلمته (١٤٩١) ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه ، وكلمتَ الناس فى المهد، اشفعْ لَنَا إلى ربك، أَلا ترى إلى ما نحنُ فيه؟ فيقول: إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضبْ قبله مثله، ولن يغضبَ بعده مثله (ولم يذكر ذَنْبًا) (١٤٩٢) نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فيأتوننى فيقولون: أنت رسولُ الله وخاتمُ الأنبياء، وقد غفر اللهُ لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، اشفعْ لنا إلى ربك، أَلاَ ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطَلِقُ إلى تحت العرش فأقعَ ساجدًا لربِّى ، ثم يفتحُ الله علىَّ من محامده وحُسْنِ الثناء عليه ـ بما ـ لم يفتحه على أحد قبلى ثم يُقال: يا محمد، ارفعْ رأسك وسَلْ تُعطَهْ، واشفَعْ تُشَفَّعْ، فأرفعُ رأسى فأقول: أُمَّتِى يا رب(١٤٩٣) ،

(١٤٩٠) وقد أشار الله تعالى إلى هذا فى قوله: ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾ [القصص: ١٥] فقد استعظمه لكونه لم يؤمر به، ومثله لا يقدح فى العصمةلأنه خطأ.

(١٤٩١) أى: وُجِدَ بقوله تعالى: (كُن) لا بتوسط ما يجرى مجرى الأصل والمادة، وسمى (رُوحًا) لأنه حدث عن نفخة جبريل فى درع مريم بأمر الله تعالى .

(١٤٩٢) فى رواية أحمد والنسائى: (إنى اتخذتُ إلهًا من دون الله) . والمراد بالذنب ما فرط من خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامه ﷺ ، وليس بذنب حقيقة لمنافاته العصمة. (مع ملاحظة): أن المراد بغضب الله تعالى لازمه وهو إيصال العقوبة إلى المستحق.

(١٤٩٣) إن قيل: إن الحديث فى الشفاعة العظمى وهى عامَّة، فكيف يخصها بقوله: (أمتى)؟ (فالجواب) أن فيه حذفًا تقديره أنه أذن له فى الشفاعة العظمى فشفع. ثم خص أُمته بشفاعة أخرى. يدل عليه ما فى حديث حذيفة وأبى هريرة أن النبى ﷺ قال: يجمع الله الناس .. (الحديث) وفيه: فيأتون محمدًا ﷺ فيقوم فيؤذن له (يعنى فى الشفاعة) وترسل الأمانة والرحم (لعظم أمرهما تصوران مُشخصتين كما يريد الله) فتقومان جنبتى (بفتحات: أى جانبى) الصراط وشمالاً فيمر أولهم كالبرق، ثم كَمَرِّ الريح، ثم كمرِّ الطير وشدِّ الرجال ـ بالجيم. جمع رجل. وفى رواية بالحاء المهملة: جمع رحل. وشدها: جريها البالغ ـ تجرى بهم أعمالهم ، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم (الحديث) أخرجه مسلم (ص٧٠ ج٣) نووى. وبهذا يتصل الحديث لأن الشفاعة التى لجأ إليه الناس فيها هى الشفاعة العظمى ثم حلت الشفاعة فى أمته فقال ﷺ: (أُمتى أُمتى).

أُمَّتِى يا رب ، فيقال: يا محمد أدخل من أمتكَ من لا حسَابَ عليهم من الباب الأيمن من أبوابِ الجنةِ . وهم شُركاءُ الناسِ فيما سِوَى ذلك من الأبوابِ. ثم قال: والذى نفسى بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهَجر (١٤٩٤). **أو كما بين مكة وبُصرى).**

[أخرجه أحمد والشيخان والترمذى]

ثم بعد ذلك يقول (١٤٩٥) : فعلى المُكَلَّف أن يعتقد أن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم شافع مقبول الشفاعة ، وأنه أول شافع، وأول مَن يُقضَى بين أُمَّته، وأنه أول مَنْ يجوز على الصراط بأُمته .

(روى) أبو سعيد أن النبى ﷺ قال: (**أنا سَيِّد ولد آدم ولا فخر، وأنا أولُ مَن تَنْشَقُّ الأرضُ عنه يوم القيامةِ ولا فخر، وأنا أولُ شافع وأوَّل مُشَفَّع ولا فَخْر، ولواءُ الحمدِ بيدى يوم القيامةِ ولا فَخْر**) [أخرجه ابن ماجه]

(وعن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: (**أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة، وأول مَن ينشَقُّ عنه القبر، وأولُ شافعٍ وأول مُشَفَّع**) [أخرجه مسلم وأبو داود]

ثم يقول: (وللنبى) ﷺ شفاعات أخرى (منها): إدخال قوم من أُمته الجنة بغير حساب (ومنها): إخراج الموحِّدين من النار. ويشفع لقوم فى رفع درجاتهم، ولمن مات بالحرمين مؤمنًا ، ولمن سأل له الوسيلة بعد إجابة المؤذِّن.

(فعن) جابر أن النبى ﷺ قال: (**مَن قال حين يسمعُ النداءَ: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصَّلاة القائمة ، آتِ محمدًا الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثْه مقامًا محمودًا الذى وعدتَهُ. حلَّت له شفاعتى يوم القيامة**) .

[أخرجه السبعة (١٤٩٦) إلا مسلمًا]

(ويشفع) لعمه أبى طالب فى إخراجه من غمرات النار إلى ضحضاح يصل

(١٤٩٤) (هجر) بفتحتين: بلد قرب المدينة المنورة (وبُصرى) بضم فسكون: بلد بالشام. والمراد تقرير اتساع ما بين جانبى أبواب الجنة لا تقديره على التحقيق .

(١٤٩٥) (فى الدين الخالص) ج١ .

(١٤٩٦) أى: أخرجه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

إلى كعبيه (فعن) جابر ـ أيضاً ـ أنه قال: سئل النبى ﷺ هل نفعتَ أبا طالب بشىء؟ قال: (**أخرجتُه من النار إلى ضحضاح**[1497] **منها**) [أخرجه البزار] قال الهيثمى: وفيه من لم أعرفه .(وأبو طالب) أقل أهل النار عذابًا (لحديث) ابن عباس أن النبى ﷺ قال: (**إن أهونَ أهلِ النارِ عذابًا أبو طالب، وهو مُنتَعِل بنعلين يغلى منهما دِماغُه**). [أخرجه مسلم]

(ويشفع) النبى ﷺ لغير هؤلاء (روى) بريدة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (**إنِّى لأشفعُ يومَ القيامةِ لأكثر مما على وَجْه الأرضِ من حَجَر ومَدَر**). [أخرجه أحمد والبيهقى]

(وعن) عمران بن حصين أن النبى ﷺ قال: (**يخرج قومٌ من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون الجنة، يُسَمَّون الجُهَنَّمِيِّين**) [أخرجه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه]

(وقد) سُمُّوا بذلك استذكارًا لما كانوا فيه ليزدادوا فرحًا على فرح . ا هـ بتصرف.

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يَذْكُرَا كل هذا حتى يحرصا دائمًا وأبدًا على أن يكونا أهلاً لشفاعة الرسول ﷺ (بل) وحتى لا يكونا إن شاء الله تعالى من أهل النار التى فيها من العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال إنسان. قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ**[1498] **يَشْوِى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[1499]،ولهذا فقد قال الله تعالى:﴿**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾ [1500] وقال ﴿**لَا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [1501] .

(١٤٩٧) ضحضاح بوزن خلخال، أى: قريب القعر.

(١٤٩٨) (المُهل): ماء عكر كدرديِّ الزيت الأسود يغلى فى البطون كغلى الحميم. وقيل: هو النحاس المذاب.

(١٤٩٩) الكهف: ٢٩ .

(١٥٠٠) آل عمران: ١٨٥ .

(١٥٠١) الحشر: ٢٠ .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعًا من الفائزين بشفاعة الرسول ﷺ حتى ننجو من النار وندخل الجنة .. اللهم آمين ،،

(٩٩) مَن هُو المحرومُ .. يا رسولَ الله ؟

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كُنَّا عند رسول الله ﷺ ، فجاءه رجل فقال : يا رسول الله مات فلانٌ. قال: (**أليس كان معنا آنفًا**) ؟ قالوا: بلى، قال: (**سبحان الله، كأنها أَخْذَةٌ على غَضَبٍ ، المحروم مَنْ حُرِمَ وَصِيَّتَه** (١٥٠٢)).

[رواه أبو يعلى بإسناد حسن]

(ورواه) ابن ماجة مختصرًا، قال: قال رسول الله ﷺ: (**المحروم مَن حُرِم وصيَّتَهُ**) .

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى موضوع من الأمور الهامة التى رُبَّما لا نفكر فيها .. ولا نعمل لها حسابًا .. ألا وهو موضوع الوصية التى ينبغى أن تكون جاهزة قبل أن يختطفنا الموت من غير نُذُرٍ سابقة، ولا أمارات دالَّة عليه . كما أشار النبى ﷺ إلى هذا فى قوله للرجل الذى أخبره بأن فلانًا قد مات: (**أليس كان معنا آنفًا؟**)، ثم عقَّب قوله هذا بقوله: (**سبحان الله كأنها أَخْذَة على غضبٍ**) أى: كأن الموت أخذه بسبب غضبة هيَّجت دمه وقتلته .

(ويُحتمل) أن يكون المعنى: كأنها أخذة من الله وعقوبة بسبب غضَبه عليه .. ثم قال أيضًا بعد ذلك: (**المحرومُ مَن حُرِم وَصيَّته**) أى: أن فُلانًا هذا قد حُرِم من كتابة وصيته التى كان ينبغى عليه أن يحرص على كتابتها حتى لا يُحرم من الثواب والأجر فى الآخرة .. (ولكنه) قَصَّر فى بيان ما له وما عليه وأهمل المطلوب منه قبل موته ..(وذلك) لأن الوصية هى آخر عمل من أعمال الدنيا

(١٥٠٢) والوصية آخر عمل من أعمال الدنيا .. وقد شرعت ليتنفع بها فى الآخرة .. فمن حُرِمها فقد حُرِم خيرًا كثيرًا .. ولا سيما إذا كانت الوصية تتعلق بما له وما عليه من الحقوق .. والتبرئة من مخالفة شرع الله بعد وفاته.

شرعت لينتفع بها العبد فى الآخرة .. فمن حُرِمها فقد حُرِم خيرًا كثيرًا .. (ولهذا) فقد قال الرسول ﷺ فى حديث رواه ابن عمر رضي الله عنهما:

(ما حَقُّ امرئ مسلم له شىء يُوصِى فيه، يبيتُ فيه ليلتين) (وفى رواية): (ثلاث ليال، إلا ووصيَّته مكتوبة عنده) قال نافع: سمعت عبدالله بن عمر يقول: (ما مرت علىَّ ليلة منذ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا وعندى وصيتى مكتوبة).

[رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه]

فمعنى: **(ما حقُّ امرئ مسلم)** أى: لا يحق ولا ينبغى عليه (له شىء يوصى فيه) أى: يريد أن يوصى فيه .. و(شىء): يشمل الوصية بالمال وغيره **(يبيت فيه ليلتين)**: أصله أن يبيت ليلتين .. فحذفت أن فارتفع الفعل.. وحول معنى (ثلاث ليال) كما جاء فى الرواية الثانية .. قال النووى: (والحاصل أن ذِكْر الليلتين أو الثلاثة لرفع الحرج لتزاحم أشغال المرء التى يحتاج إلى ذكرها ففسح له هذا المقدار ليتذكر ما يحتاج إليه ..).

والمعنى المراد من قوله: **(ووصيته مكتوبة عنده)** أن وصية الرجل ينبغى أن تكون مكتوبة عنده ومُعَدَّة دائمًا .. وإنما أورده بتلك الصورة قصدًا للمبالغة وحثًّا على كتابة الوصية .. (قال) النووى: (ويُستفاد من الحديث الحث على الوصية وجواز الاعتماد على الكتابة والخط ولو لم يقترن ذلك بالشهادة والندب إلى التأهب للموت والاحتراز قبل الفوت.. لأن الإنسان لا يدرى متى يفجؤه الموت).

وقال القرطبى: (ذِكْر الكتابة مبالغة فى زيادة التوثُّق.. وإلا فالوصية المشهود بها متفق عليها .. ولو لم تكن مكتوبة والله أعلم) . (واستدل) بقوله: (ووصيته مكتوبة عنده على أن الوصية تُنفَّذ وإن كانت عند صاحبها، ولم يجعلها عند غيره، وكذلك لو جعلها عند غيره وارتجعها..) كما استدل بقوله (له شىء) على صحة الوصية بالمنافع وهو قول الجمهور.. ومنعه ابن أبى ليلى وابن شبرمة وداود وأتباعه واختاره ابن عبد البر .

(وقال) فى الفتح: (وفى الحديث الحض على الوصية .. ومطلقها يتناول الصحيح .. لكن السلف خَصُّوها بالمريض .. وإنما لم يُقيد به فى الخبر لاطراد العادة به. (وقوله): (مكتوبة) أعم من أن تكون بخطه أو بغير خطه .. ويُستفاد منه أن الأشياء المهمة ينبغى أن تُضبط بالكتابة لأنها أثبت من الضبط بالحفظ لأنه يخون غالبًا) ا هـ .

هذا ، وإذا كان عبدالله بن عمر ﷺ قد قال بعد ذلك فى نص الحديث الأخير: (ما مرت علىَّ ليلة منذ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا وعندى وصيتى مكتوبة) .

وذلك لأنه عليه رضوان الله كان من أشد الصحابة اتباعًا للسنن ومبادرة إلى امتثال أمر الشارع والمواظبة عليه: فإننا نرجو كذلك وتشبهًا بالرجال أن نفعل مثله .. قبل فوات هذه الفرصة السانحة التى نعيشها إلى تلك اللحظة أن نحياها.

(فقد) رُوى عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**من ماتَ على وصية مات على سبيل** (١٥٠٣) **وسُنَّة** (١٥٠٤)، **ومات على تُقًى** (١٥٠٥) **وشهادةً** (١٥٠٦)، **ومات مغفورًا له** (١٥٠٧)). [رواه ابن ماجه] والله ولى التوفيق ،،

(١٠٠) ماذا قال رسولُ الله ﷺ عندما سَمع قومًا من أصحابه يتنازعُونَ بينهم فى القَدر؟

عن أنس ﷺ قال: خرج النبى ﷺ وهو يريد الحجرة فسمع قومًا يتنازعون بينهم فى القَدر وهم يقولون: ألم يقل الله: إنه كذا وكذا؟ ألم يقل الله آية كذا

(١٥٠٣) أى: على طريق واضحة مستقيمة حيث بيَّن ما له وما عليه ولم يترك مجالاً للمنازعات والقضايا بعده.

(١٥٠٤) أى: اتباعًا لوصية الشرع وتنفيذًا لها .

(١٥٠٥) أى: على حالة من التقى والخوف من الله عز وجل جعلته يجتهد فى إبراء ذمته بالوصية.

(١٥٠٦) أى: مات مشهودًا له بالخير أو كما يموت الشهيد فى سبيل الله .

(١٥٠٧) يعنى: إذا عدل فى وصيته ولم يَجُر .. أى الظلم.

وكذا؟ قال: ففتح النبى ﷺ باب الحجرة فكأنما فُقِىء فى وجهه حَبُّ الرُّمَّان، فقال: (**أبهذا أُمرتُم؟ أوبهذا بُعثْتُمْ؟ إنما هلكَ الذين من قبلكُم بأشباه هذا، ضربوا كتابَ الله بعضه ببعض، أمركم اللهُ بأمرٍ فاتبِعُوه، ونهاكم عن شىءٍ فانتهوا**).

[أخرجه الدارقطنى فى الأفراد، والشيرازى فى الألقاب، وابن عساكر عن أنس][(١٥٠٨)]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**أبهذا أُمرتُم؟ أم بهذا أُرسِلْتُ إليكم؟ إنما هلك مَن كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر، عزمتُ عليكم ألاَّ تنازعوا فيه**). [أخرجه الترمذى وهو حديث حسن]

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**أبهذا بُعِثتم؟ أم بهذا أُمِرتُم؟ ألاَ لاَ ترجعُوا بعدى كُفَّارًا يضربُ بعضكُم رقاب بعض**).

[أخرجه ابن الضريس والطبرانى فى الأوسط]

وعن ابن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**أبهذا أُمرتُم؟ أو لهذا خُلِقْتُم؟ أن تَضْربوا كتاب الله بعضًا ببعض، أُنْظرُوا ما أُمِرتم به ،فاتبعوه، وما نُهيتُم عنه فانتهوا**) . [أخرجه نصر المقدسى فى الحجَّة]

(ففى) هذه الأحاديث الشريفة يشير النبى ﷺ إلى خطورة هؤلاء القدريين وغيرهم وهم الذين تجرءوا على الله تبارك وتعالى ووصل الأمر بهم .. أن فرقة منهم وهم (المرجئة) قالوا[(١٥٠٩)]: ليس لله على عباده فريضة إلا الإيمان. ومن آمن فقد عرفه، ومن عرفه فليفعل ما يشاء .. والإيمان عندهم هو الإقرار بالشهادتين فقط، وسُموا المرجئة لأنهم أرجئوا العمل والطاعات أى أخَّروها عن الإقرار . والفرائض عندهم ليست عبادات بل طاعات .. صاروا إلى خمس فرق منها المريسية أتباع بشر المريسى الذى يقول: إن السجود للصنم ليس بكفر إنما

(١٥٠٨) فى مجمع الزوائد.. قال: فلم يسمع الناس بعد ذلك أحدًا يتكلم فى القدر حتى معبد الجهنى . . فأخذه الحجاج فقتله. . رواه أبو يعلى.

(١٥٠٩) كما جاء فى كتاب (العلو للعلى الغفار) فى صحيح الأخبار وسقيمها: للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ.

هو دليل على الكفر . وأن القرآن مخلوق. ومنهم السيبائية الذين يقولون بأن الله سَيَّب خلقه ليعملوا ما شاءوا .

(والجهمية) الذين قالوا: إن الله سبحانه وتعالى لا يعلم ما يكون حتى يكون وأن كلام الله وعلمه حادث، وأنه لا فعل لأحد غير الله وأفعال العباد اضطرارية ، وهم أتباع جهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم أول زنديق أظهر بدعة القول بخلق القرآن (والجهمية): صاروا إلى طوائف كثيرة منهم المعطلة والزنادقة الذين يقولون: لا رب ما دام يُدرك بالحواس، وكل ما يُدرك بالحواس فهو مخلوق فليس برب.

(والجبرية): هم الذين ينسبون الفعْل كله لله، وينفون عن الخلق الكسب والاستطاعة .. وقد صاروا إلى طوائف منها النجارية: زعموا أن الله يعذب الناس على فعله لا فعلهم . ومنها السابقية، قالوا: السعيد لا تضره ذنوبه، والشقى لا تنفعه طاعته.

(والكرامية) وهم أتباع محمد بن كرام ، قالوا: إن معبودهم محلٌّ للحوادث وإنه جسم له حد واحد من الجانب الذى على العرش ولا نهاية له من الجانب الآخر. وهم يرون التلفظ بالشهادتين كافيًا ولو مع بقاء النفاق والزندقة فى القلب، وأن الله له ثقل تنفطر منه السماء ..الخ تلك الأقوال الشنيعة التى يبرأ الله منها ورسوله .. كما نبرأ منها نحن المؤمنين كذلك براءة الذئب من دم ابن يعقوب .. وتعالى الله عن كل ما قالوه وزعموه عُلُوًا كبيرًا .

وقد قرأت أن أحد هؤلاء المجادلين وهو صبيغ بن عسل من أهل مصر ذهب إلى عمرو بن العاص ﷺ يسأله عن تفسير قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ (١٥١٠) فقال له عمرو بن العاص: ليس عندى علم ذلك، وإنى مُرسلك إلى مَن عنده علم ذلك. ثم يبعث به بعد ذلك إلى عمر بن الخطاب ﷺ ومعه كتاب يقول فيه: يا أمير المؤمنين، إن هذا الرجل يسأل عن متشابه القرآن . فلما قدم الرجل وقرأ عمر الكتاب، غضب حتى استبان فى وجهه الغضب، وقال: مَن

(١٥١٠) سورة طه: الآية ٥ .

أنتَ ؟ قال: أنا عبدالله صبيغ، فقال: وأنا عبد الله عمر، وقام إليه يضربه بعرجون النخل حتى أدمى رأسه . فيقول له صبيغ: حسبك يا أمير المؤمنين قد ذهب والله الذى كنتُ أجده فى رأسى ، ثم نفاه إلى البصرة ، وأمر أن يُهجر سنة فلا يكلمه أحد.

وروى النيسابورى فى تفسيره بإسناده: أن علىً بن أبى طالب ﷺ سأله سائل عن القدر؟ فقال: طريق دقيق لا تمش فيه ، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ؟ فقال: بحر عميق لا تَخُضْ فيه. فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القَدر؟ فقال: سرٌّ خَفِىٌّ لله لا تُفْشه ، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القَدر؟ فقال على ﷺ: يا سائلُ، إن الله تعالى خلقك كما شاء أو كما شئتَ ؟ فقال: كما شاء . فقال: إن الله يبعثك يوم القيامة كما شئتَ أو كما يشاء ؟ فقال: كما يشاء. فقال: يا سائل لك مشيئة مع الله؟ أو فوق مشيئته ؟ أو دون مشيئته؟ فإن قلت مع مشيئته ادعيتَ الشركة معه، وإن قلتَ دون مشيئته استغنيتَ عن مشيئته ، وإن قُلْت فوق مشيئته كانت مشيئتك غالبة على مشيئته . ثم قال: ألستَ تسأل الله العافية؟ قال: نعم . قال: فمنْ ماذا تسأله العافية؟ أمن بلاء ابتلاك به؟ أو من بلاء غيره ابتلاك به؟ قال: من بلاء ابتلانى به. فقال: ألستَ تقول: (**لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم**) قال: بلى . قال: هل تعرف تفسيرها؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين علِّمنى مما علَّمك الله. فقال تفسيرها: أن العبد لا قدرة له على طاعة الله ولا على معصيته إلا بالله عز وجل . يا سائل إن الله يُسقم ويداوى، منه الداء ومنه الدواء، اعقل عن الله . فقال السائل: عقلت . فقال له: الآن صرْتَ مسلمًا .. قوموا إلى أخيكم المسلم فخذوا بيده، ثم قال علىٌّ كرم الله وجهه: لو وجدتُ رجلاً من أهل القدر لأخذتُ بعنقه، ولا أزال أضربه حتى أكسر عنقه فإنهم يهود هذه الأمة.

وهذا القول الأخير الذى قاله على ﷺ بالإضافة إلى ما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بهذا المشَوَّش الذى أرسله إليه عمرو بن العاص من مصر .. معناه أن القدريَّ هذا ـ بالإضافة إلى غيره من الزنادقة الضالين المضلين ـ ليسوا بمسلمين بهذا المعنى الكبير من مفهوم.

وعلى هذا، فإننى أحذر الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. من الانشغال بمثل هذه الخلافات العقائدية التى لا تؤدى غالبًا إلا إلى الكفر والعياذ بالله .. وعليهما أن يلاحظا .. أن الصحابة عليهم جميعًا رضوان الله ماتوا .. وما عرفوا الجوهر والعرض، ولا الجبر والاختيار، ولا العمل والاستطاعة، ولم يسأل واحد منهم: هل الصفات عين الذات أم هى بائنة عن الذات؟ وهل القرآن قديم أم مخلوق؟ وهل القِدَم أو الحدوث فى الصوت والمعنى، أم فى اللفظ؟

وقد ماتوا رضى الله عنهم وما عرفوا الكلام فى الجهة، ولا أن الله فى كل زمان ومكان، ولا أن الله لا يُحدُّه زمان ولا مكان.. ماتوا ولم يجنحوا إلى كيف وهل ـ وإلى مسائل وأغلوطات لا مدخل للعقل فيها، ولا قوة له عليها ، سكتوا عنها كما سكت الصادق المصدوق، وفوضوا فى المتشابه وقبلوه على مراد الله.

أى: كان شعارهم فى هذا هو المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ**﴾: أى آيات واضحات بيِّنات ، قد أُحكِمْنَ بالبيان والتفصيل ..﴿ **هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ أى: هُنَّ أصل الكتاب الذى فيه عماد الدين من الفرائض والحدود، والأحكام ، وسائر الأمور الضرورية ﴿**وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ أى: وآيات أخرى متشابهات فى التلاوة ، مختلفات فى المعانى ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**﴾ أى: فى قلوبهم ميل عن الحق وانحراف عنه ﴿**فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ**﴾ أى: ما تشابهت ألفاظه ﴿**ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ أى: طلبًا لتفسيره على أهوائهم الباطلة، دون الحق الذى أبانه الله فأوضحه بالمحكمات من الآيات ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ**﴾ أى: وما يعلم تأويل المتشابه ـ أى معناه ـ إلا الله وحده ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ**﴾ أى: والعلماء المتمكنون فى العلم ، يقولون: صدَّقنا بالمتشابه من الكتاب وإن لم نعلم تأويله. ﴿**كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**﴾ أى: كل من المحكم والمتشابه مُنزَّل من عند الله . ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾(١٥١١) أى: وما يتعظ إلا أصحاب العقول .. الذين نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا جميعًا منهم، حتى لا نضل أو نَزِلَّ، كما ضل وزَلَّ أصحاب العقول الخربة. اللهم آمين،،

(١٥١١) آل عمران: ٧ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى بتصرف يسير.